أثر الانتفاضة الفلسطينية في الآخر (الإسرائيلي)

دراسة في الأدب الإسرائيلي

دكتور
عمرو عبد العلي علام



علام، عمرو عبد العلي
أثر الانتفاضة الفلسطينية في الآخر (الإسرائيلي)/تأليف
عمرو عبد العلي علام
ط1- القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
١٣٦ ص، ٢٤ سم .
تدمك ٥-١٥٣-٣٨٠-٩٧٧
١ - الانتفاضة الفلسطينية
أ - العنوان
رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٧٠٧٥
٩٥٦,٩٠٣

الناشر

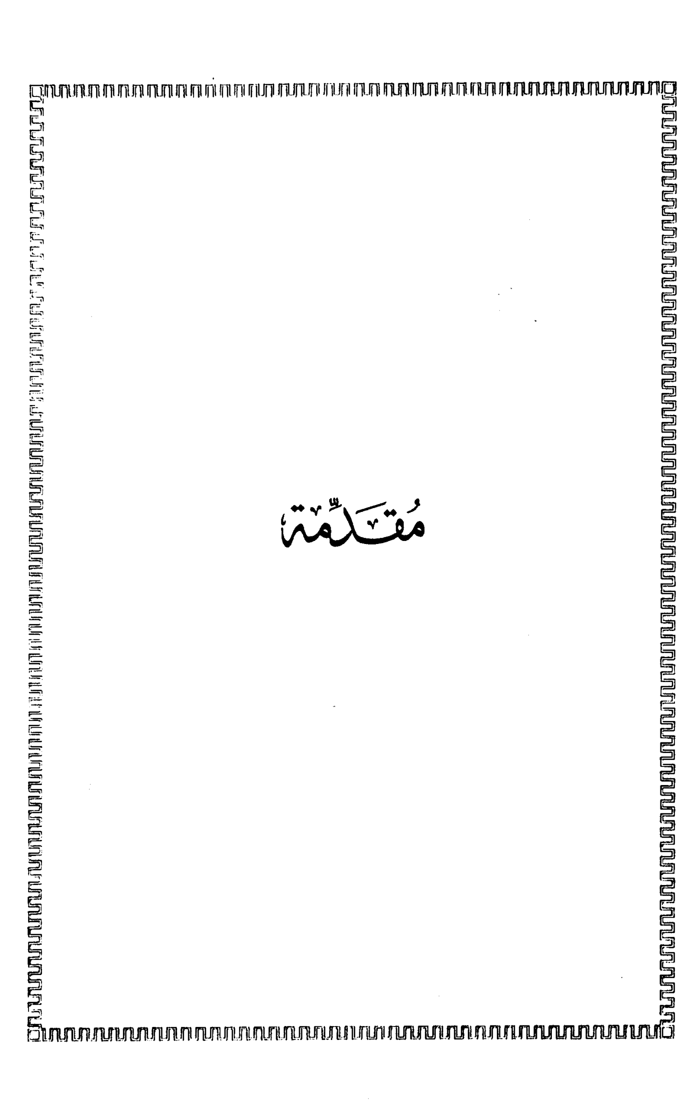


دار العلوم للنشر والتوزيع - القاهرة

هاتف : ٢٥٧٦١٤٠٠(٢٠٢) فاكس: ٢٥٧٩٩٩٠٧(٢٠٢)

البريد الإلكتروني:

daralaloom@hotmail.com daralaloom2002@yahoo.com



مُقَدِّمَة

مقدمة

جاء المهاجرون اليهود إلى أرض فلسطين مدعين لأنفسهم حقوقاً تاريخية على هذه الأرض، محل النزاع تارة، وحقوقاً دينية تارة أخرى، وهي ادعاءات غرستها الحركة الصهيونية في نفوس هؤلاء اليهود، حتى يسهل التعامل في دفعهم تجاه فلسطين، التي وصفتها الصهيونية بأنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وروج الصهيونيون الأوائل هذا الشعار وتشدقوا به، رغبة منهم في تحقيق أهداف الصهيونية على أرض الواقع بدفع يهود الشتات ناحية فلسطين (الأرض التي تدر لبناً وعسلاً)، وما أن وطأت أقدام اليهود أرض فلسطين حتى فوجئوا بجموع الفلسطينيين أمام أعينهم، فتجرعوا وقتها أولى خداعات الصهيونية، لا سيما وقد فطن الفلسطينيون لمخططات التهويد والاستعمار، واتخذت العلاقات الفلسطينية اليهودية جولات عديدة من الصراع منذ ما قبل قيام الدولة وحتى وقتنا هذا.

ومن هنا أصبح الفلسطيني في نظر (الآخر) الصهيوني، ثم بعد ذلك (الآخر) الإسرائيلي، هو بمثابة الوجه الثاني الذي يمكن أن يرى من خلاله مدى صحته أو بطلان ادعاءاته، بمعنى، أن المهاجرين الصهاينة نظروا للصراع مع الفلسطينيين على أنه رهان على نجاح الأيديولوجية الصهيونية في تحقيق أحلامها وآمالها على أرض فلسطين، بادعاء الحق الديني تارة، والحق التاريخي تارة أخرى. وأخذ الصراع مع (الآخر) ـ سواء أكان فلسطينياً أم إسرائيلياً ـ اتجاهات عديدة انصبت جميعها في آلية إدارة الصراع على كافة المستويات الإدراكية والمعرفية.

وكان الأدب العبري قبل قيام الدولة والأدب الإسرائيلي بعد قيامها، هو المتنفس الطبيعي الذي حاول المفكرون والأدباء اليهود من خلاله، أن يعبروا عن مشاعرهم ومشاعر إخوانهم تجاه آليات الصراع مع الآخر (الفلسطيني)، وانقسموا على أنفسهم إلى فريقين:

(١) أدباء مجندون لخدمة الحركة الصهيونية وتبرير كافة المطامع الصهيونية في الاستيلاء على الأرض، وفي التعامل بمنتهى العنف والقسوة مع الفلسطينيين.

(٢) أدباء مناهضون للحركة الصهيونية التي خدعت جموع اليهود وجاءت بهم إلى هذه الأرض ليدورون في فلك هذا الصراع الذي لم ينته بعد. وقد وصف هؤلاء المفكرون الإسرائيليون؛ أمثال الأديب الإسرائيلي مئير شاليف ادعاءات الصهيونية بالحق الديني والتاريخي لليهود في فلسطين بالأساطير، ووضعوها في قفص الاتهام وقالوا أنها السبب في كل المحن التي وقعت فيها دولة إسرائيل، وكانت الصهيونية في نظرهم هي السبب الرئيسي

لكل الحروب التي خاضتها إسرائيل منذ حرب ١٩٤٨، ومروراً بالانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية، وحتى حرب لبنان ٢٠٠٦ . وهو الأمر الذي جعل بعض المفكرين الإسرائيليين، أمثال الأديب الإسرائيلي الشهير أبراهام يهوشواع، ينادون بالانفصال عن هذه الأيديولوجية والبحث عن بديل جديد يتوافق مع الواقع المعيشي لدولة إسرائيل، رغبة منهم في العيش كشعب مثل سائر الشعوب وكبشر ينعم بالأمن والراحة، بعد أن سئموا الحروب والدماء وفقد الأعزاء في مواجهة الحروب والانتفاضة.

وبطبيعة الحال، انعكست حالات الصراع في عدد من الأعمال الأدبية لبعض الأدباء الإسرائيليين، الذين شعروا بأن وجودهم على هذه الأرض يتناقض مع جذرية الوجود العربي الفلسطيني. واختلفت معالجتهم للصراع باختلاف الظروف والأحداث بين الطرفين.

ويمكننا القول، بأن معالجة الصراع مع "الآخر" (الإسرائيلي)، على هذا النحو، قد سار في عدة اتجاهات عبر مسار تطور الأدب العبري الإسرائيلي، اختلفت في فتراتها الزمنية على ضوء الحروب التي خاضتها إسرائيل، والتي كانت بمثابة فواصل زمنية قاطعة في مراحل هذا الأدب وفي تاريخ هذه الدولة؛ إلا أن الانتفاضة الفلسطينية – الأولى أو الثانية- كانت أشد فتكاً من هذه الحروب، لاسيما وقد تحولت إلى شبح يطارد "الآخر" (الإسرائيلي)، في كل مكان دون أن يعرف وجهته أو زمانه أو مكانه أو ماذا سيفعل به.

أثر انتفاضة الأقصى في الآخر (الإسرائيلي):

لم تكن زيارة شارون لساحة المسجد الأقصى، هي وحدها التي أشعلت لهيب انتفاضة الأقصى، بل ثمة تراكمات نفسية وحالة من اليأس والإحباط تغلغلت في نفوس الفلسطينيين من جراء المماطلات الإسرائيلية في تنفيذ اتفاقيات أوسلو وغيرها، علاوة علي الممارسات الوحشية لجيش الاحتلال الإسرائيلي تجاه الشعب الفلسطيني. إن خيبة الأمل والانكسار وضياع الحقوق، كل هذا كان كافيا لانطلاق شرارة الانتفاضة الفلسطينية التي كان لها أثرها الكبير في النفسية اليهودية الإسرائيلية علي كل المستويات الاجتماعية والنفسية والسياسية.

ولأن الأدب، كما يقولون، مرآة للمجتمع، يعكس ما يعتمل في النفس البشرية من مشاعر وأحاسيس، ويرصد التغيرات الاجتماعية والبشرية، فهكذا كان الأدب العبري المعاصر راصدا لهذه الظاهرة الفلسطينية الفريدة في مناهضة الاحتلال ومقاومته.

ولم تكن الأديبة الإسرائيلية المعاصرة "أورلي كاستل بلوم" (١٩٦٠ -) في

منأى عما يحيط بها وبمجتمعها من هلع ورعب وفزع، راح يعيشه الآخر (الإسرائيلي) منذ بدء الانتفاضة الفلسطينية (انتفاضة الأقصى)، فكتبت روايتها "أشلاء" (٢٠٠٢) لتعبر، كما تقول، عن فزع أم تحاول الحفاظ علي حياة أبناءها، فحولت بيتها إلى ساحة من التدريبات، أخذت تعلم فيها أبناءها كيف ينبطحون أرضا في حالة حدوث انفجار، وكيف لا يرتادون الأماكن المزدحمة، فأصبحت دور السينما والمطاعم وأماكن الترفيه أماكن محظورة، من يذهب إليها فهو أشبه بمن يغامر بحياته. . وقد انعكست كل هذه المشاعر في روايتها "أشلاء" التي بينت لنا الأثر العظيم للانتفاضة الفلسطينية في كل المناحي الحياتية للإسرائيليين علي المستوى النفسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

فعلي المستوي النفسي، جاءت معظم شخصيات الرواية وهي في حالة من الرعب والفزع والارتباك إلى حد اليأس، من جراء العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون، حيث انتشرت الأعمال الفدائية، وارتمي الفلسطينيون في أحضان الموت، في الأتوبيسات، ومحطات القطار، والمقاهي والتجمعات التجارية (المول) وصالات الديسكو، وانتشرت الكمائن على الطرق في الضفة الغربية وقطاع غزة. لقد زرع الفلسطينيون الموت والدمار في كل مكان" (الرواية، ص ١٢ – ١٣). "لقد امتلأت تلك البقعة من هذا الكون بخوف عظيم" (الرواية، ص ١٣ ـ ١٤).

إن "برجسون"، أحد أبطال الرواية، يري الموت في إسرائيل "وقد أحاطها من كل جانب، فهو يري أن إسرائيل مقبرة كبيرة تقبع فيها مستوطنات عديدة، ما زال يعيش بها أناس سوف يرون الموت قريبا. فكل يوم قتلي جدد، وجنازات، وعمليات استشهادية، وحوادث إطلاق نار، وصواريخ، وأحزمة ناسفة، دون أن يكون هناك حلا" (الرواية، ص ٢١٩).

وهكذا، جعلت الانتفاضة الموت شيئا عاديا في المجتمع الإسرائيلي (الرواية ص ٢٦٠)، لاسيما وقد عكست الرواية الوضع النفسي السيئ الذي يعيشه هذا المجتمع، فها هي إحدى شخصيات الرواية تسمي أبناءها "عوز"، و"أوشر" و"حيروت"، وهى كلمات عبرية تعنى "الملاذ" و"السعادة" و"الحرية"؛ وكأنها تبحث عن هذه الأشياء دون جدوى (الرواية، ص ٢٢٧).

وعلي المستوي الاجتماعي والاقتصادي، فقد أرهقت انتفاضة الأقصى الميزانية العامة لدولة إسرائيل، من جراء المخصصات المالية الجسيمة التي اقتطعتها الحكومة الإسرائيلية من بعض الوزارات لصالح القطاع الأمني في إسرائيل. وقد بينت لنا "كاستل بلوم" في روايتها، كيف أن الوضع الأمني أخذ يلتهم الموارد الاجتماعية لدولة إسرائيل،

فانتشر الفقر وزاد عدد الإسرائيليين الذين يعيشون من تحت خط الفقر في ظل الانتفاضة الفلسطينية المستمرة، "فقد نشر التقرير السنوي لمعدل الفقر في إسرائيل في شتي وسائل الإعلام، وأظهر أعداداً ضخمة من الأسر التي تعيش من تحت خط الفقر، "إنها أسر تعيش بالكاد" (الرواية، ص ١٥). كما تأثرت السياحة في إسرائيل بصورة ملحوظة من جراء العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون، حيث توقفت الرحلات الجوية إلى إسرائيل، وأصبحت الطائرات شبه فارغة، (الرواية، ص ١٦٧).

وعلى المستوي السياسي، أظهرت هذه الرواية مدى التخبط السياسي الذي يعيشه السياسيون الإسرائيليون تجاه هذا التصعيد الخطير ومحاولاتهم البائسة لتهدئة الجمهور، وضبط النفس تارة والاندفاع نحو العنف تارة أخرى (الرواية، ص ١٣)، حيث تسخر "كاستل بلوم"، في الرواية، من رئيس دولة إسرائيل، "فمنذ أن انتخب (رؤفين تقوع) رئيسا لدولة إسرائيل وهو يتجول بين جنازة وأخري لقتلى الانتفاضة. ويتنقل أيضا من مستشفي إلى آخر لزيارة الجرحى والمصابين" (الرواية، ص٧٩)، وكأن دور رئيس الدولة هو حضور الجنازات وزيارة جرحى الانتفاضة من الإسرائيليين: وقد انتقل هذا الارتباك السياسي بدوره إلى القادة العسكريين الإسرائيليين، فرجال الأمن يشكون حتى فيمن يعبث بحقيبته (الرواية، ص ٩٠). لقد جعلت الانتفاضة الفلسطينية بعض الإسرائيليين يصفون دولتهم، في هذه الرواية، بأنها "دولة قذرة" (الرواية ص ١٠٣)، كما وضعت الصهيونية في قفص الاتهام ونسب إليها كل المحن التي وقعت فيها دولة إسرائيل.

ويقع هذا الكتاب في فصلين، يحمل عنوان الفصل الأول منه (مأزق الصهيونية في الحروب الإسرائيلية)، فقد ارتأيت أن أضع أمام القارئ؛ في هذا الفصل؛ قصة الصهيونية منذ البداية وأهدافها، ونجاحاتها وإخفاقاتها في نظر المفكرين الإسرائيليين، وكيف تحولت الحروب الإسرائيلية إلى جرائم ارتكبت باسم الصهيونية، الأمر الذي جعل المجتمع الإسرائيلي يضعها في قفص الاتهام، وينظر إليها على أنها السبب في كل المحن التي وقعت فيها دولة إسرائيل منذ حرب ١٩٤٨ وحتى انتفاضة الأقصى.

يتناول هذا الفصل موقف المفكرين الإسرائيليين من الصهيونية بعد كل حرب خاضتها دولة إسرائيل منذ حرب ١٩٤٨، وحرب يونيو ١٩٦٧، وحرب أكتوبر ١٩٧٣، وحربي لبنان ١٩٨٢ و ٢٠٠٦، ووصولاً إلى انتفاضة الأقصى، وهي القشة التي قسمت ظهر البعير فيما يتعلق بالموقف من الصهيونية، لأنها كانت أشد فتكاً من كل الحروب التي خاضتها إسرائيل، لاسيما وقد نظر إليها المجتمع الإسرائيلي على أنها شبح أخذ يطارد الإسرائيليين في كل مكان ويؤرق المسئولين في مضاجعهم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الفصل كان

ضمن مباحث رسالة الدكتوراه الخاصة بي والتي تحمل عنوان (اتجاهات نقد الصهيونية في الرواية العبرية المعاصرة خلال الثمانينيات والتسعينيات)، ولكنني زدت عليه طبقاً لمجريات الأحداث وتطورات الموقف فيما يتعلق بحربي لبنان وانتفاضة الأقصى والموقف من الصهيونية.

أما الفصل الثاني في هذا الكتاب فيحمل عنوان (أثر الانتفاضة الفلسطينية في الآخر "الإسرائيلي"، دراسة تحليلية لرواية "أشلاء" للأديبة الإسرائيلية أورلي كاستل بلوم). وفيه يتم التنقيب بالبحث والدراسة في أثر الانتفاضة الفلسطينية في كل المناحي الحياتية للإسرائيليين على المستوى النفسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، من خلال عمل أدبي إسرائيلي، كتبته أديبة إسرائيلية تأثرت بشدة بأحداث الانتفاضة؛ وعكست في عملها هذا مدى تأثر المجتمع الإسرائيلي بالعمليات التي يقوم بها الناشطون الفلسطينيون على كل المستويات؛ حتى اتهم بعض النقاد الإسرائيليين كاتبة هذا العمل بالانهزامية والتنصل من المسئولية، لأنها كشفت عن تصدع المجتمع الإسرائيلي وانهياره في مواجهة الانتفاضة، حيث تعد هذه الرواية تأريخاً واقعياً لحالة المجتمع الإسرائيلي إبان انتفاضة الأقصى، ويمكن اعتبارها مرجعًا تاريخيًا يعتمد عليه في وصف المجتمع الإسرائيلي إبان فترة الانتفاضة.

وزيل هذا الكتاب بملحق إحصائي يحتوى على حقائق وأرقام فيما يتعلق بالانتهاكات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني والعمليات الاستشهادية وأحداث الانتفاضة بين الجانبين، ورد الفعل الإسرائيلي من هدم للمنازل والقيام بعمليات اغتيال للناشطين الفلسطينيين.

د. عمرو عبد العلي علام

القاهرة فى يوليه ٢٠٠٧

E.mail: dr_amrelaly@yahoo.com
amrelaly@hotmail.com



الفصل الأول

مأزق الصهيونية في الحروب الإسرائيلية
(انعكاس في الأدب العبري الإسرائيلي)

مأزق الصهيونية في الحروب الإسرائيلية

(انعكاس في الأدب العبري الإسرائيلي)

أولاً: نشأة الصهيونية وأهدافها:

لم تكن الصهيونية يومًا إلا حركة يهودية تاريخية استغلت شيوع ما يسمى بالمسألة اليهودية وهدفت إلى حلها بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، لتعتلى مسرح الأحداث التاريخية المتوترة إبان فترة تكوينها كحركة ثم يسدل الستار في النهاية بتحقيق هدفها الأسمى، وهو قيام كيان يهودي مستقل بعيدًا عن حياة الشتات التي عاشها اليهود ومازالوا عبر فترات تاريخية طويلة تجرع خلالها اليهود - بسبب تكوينهم النفسي - شتى أنواع المعاملة الإنسانية من قبل سلطات البلاد التي كانوا يعيشون فيها.

والمتتبع لتاريخ اليهود عبر عصور عديدة، سيجد أن الصهيونية ما هي إلا نتاج لعدة عوامل وظروف صاغها السلوك البشرى اليهودي على أرض الواقع، قادت في النهاية إلى ظهور الصهيونية ومن بعدها قيام دولة إسرائيل في العصر الحديث، وهي إشكالية لا يمكن فهمها إلا من خلال تتبع الوجود اليهودي وما شكله من اضطرابات وأحداث منذ ما قبل الصهيونية وحتى قيام دولة إسرائيل.

ولكي ندرك تمامًا ماهية الأيديولوجية الصهيونية، علينا أن نتجه بأنظارنا أولاً ووفقًا لتطور تاريخ الصهيونية إلى يهود وسط أوربا وشرقها، لأنها تعد المنطقة المركزية الأولى للتفاعلات والأحداث والأفكار التي صاغت الصهيونية، وقادت في النهاية إلى ظهورها.

"لقد ثبت بناء على شواهد كثيرة تاريخية ودينية أن اليهود قد رحلوا إلى الشاطئ الشمالي من البحر الأسود وترانسكا فانيا وطوران في القرن الأول الميلادي، كانوا في خلال هذه الفترة متأثرين بالثقافة والعادات الاجتماعية والدينية المأخوذة عن جيرانهم الهالينيين. ويؤكد المؤرخون على أن كثيرين من يهود فلسطين قد وصلوا منذ ما قبل المسيح بقرون عديدة (بعد سقوط الهيكل الأول في القرن السادس ق. م) إلى شواطئ روسيا، وانتشروا عبر منطقة القوقاز. ووفقًا للأدلة التاريخية فإن هناك جماعة يهودية استقرت في جورجيا حوالي عام ١٣٢ ق. م مع اندحار ثورة بركوخبا(*) ضد الرومان ... وبعد ذلك بمرحلة

(*) ثورة بركوخبا: حدثت هذه الثورة في فترة الحكم الروماني بعد الدمار الذي لحق بمدينة القدس، بعد حصارها وتدمير المعبد الثاني - الذي حدث عام ٦٩ ميلادية - وسبى عدد من اليهود، حينما =

متأخرة ظهر اليهود في أجزاء أخرى من روسيا، وقد استقروا في البداية في كييف ولتوانيا حوالي القرن الثامن الميلادي. وفي بداية القرن الخامس عشر الميلادي كانت هناك جماعة يهودية في منطقة بيلوروسيا. ووردت أول إشارة لليهود في تاريخ موسكو عام ١٤٧٤. وكانت أكبر هجرة مؤثرة في تاريخ اليهود تلك التي حدثت في اتجاه شرق أوروبا في اتجاه الغرب نحو ألمانيا ... وبتأثير ما لاقاه اليهود على يد الحملات الصليبية هاجرت عشرات الآلاف من الأسر من غرب أوروبا إلى شرقها، وشجعهم على ذلك ترحيب حكام تلك البلاد للاستفادة بهم في التنمية. واعتبارا من القرن السادس عشر فصاعدا تجددت حياة اليهود في غرب أوربا ووجدوا وطنا آمنا نسبيا في شرق أوروبا، نظرًا للامتيازات التي تمتعوا بها من حرية دينية وحكم ذاتي وما إلى ذلك. وقد عاش اليهود في روسيا وبولندا داخل إطار أطلق عليه (منطقة الاستيطان) وكان يشمل بولندا ولتوانيا وبيلوروسيا وأوكرانيا، وهي المناطق التي سمح لليهود بأن يعيشوا فيها حتى منتصف القرن التاسع عشر"[1].

وحتى عشية عصر التنوير اليهودي (الهسكالاه[*])، عاش اليهود حياة منعزلة متقوقعين داخل حدودهم وأماكن إقامتهم. وهي حياة يمكن القول إنها كانت بعيدة تمامًا عن مواكبة التغيرات الفكرية والحضارية التي تدور من حولهم، حيث أصبحت العزلة اليهودية في حارات اليهود ومنطقة الاستيطان اليهودي أبرز ما اشتهر به اليهود آنذاك، حيث وقف الحاخامات اليهود بالمرصاد لأية محاولة للخروج على الطابع الانعزالي الذي طبع حياة اليهود من قبلهم.

= انتهز أحد الكهنة اليهود ويدعى " شمعون اللاوى "، الذي عرف فيما بعد ببركوخبا، انشغال روما بحروبها مع الفرس (البيزنطيين) وضعف الحكومة المركزية، فقاد تمردًا محدودًا ونصب نفسه ملكًا على اليهود هناك مدعيًا أنه " المسيح المنتظر "، ولكن سرعان ما قضت روما على هذا التمرد بقيادة أدريان الذي هدم ما كان من مبان في القدس وأعاد بناءها من جديد على الطراز الروماني. (انظر: د. منى ناظم، فلسفة التاريخ الأوروبي في مفهوم الرباني نحمان كروخمال، دراسة نقدية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٨، ص٧٦).

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت، العدد١٠٢، يونيو ١٩٨٦، (ص ١٠).

(*) الهسكالاه: هي حركة تنوير يهودية نادت بانفتاح اليهود واندماجهم اجتماعيًا وثقافيًا ولغويًا بالأمم التي يعيشون بينها، وطرحت تعديلات جذرية في الدين اليهودي والعبادة، وكان من روادها اليهودي الألماني " موسى مندلسون " الذي قام بالترجمة الألمانية للعهد القديم، وذلك في محاولة للتخلص من سيطرة الدين اليهودي على مجريات الحياة اليهودية، وكان شعار الهسكالاه في روسيا هو (كن يهوديا في بيتك وإنسانًا خارج بيتك).

وقد اتخذت مناطق الانعزال اليهودي مسميات عديدة مثل الشتتل(*)، والقاهال(*) والجيتو(*) الذي يعد أشهر الأشكال الانعزالية اليهودية في العالم؛ بحيث أصبح يطلق على سبيل التعميم على شتى أشكال الحياة اليهودية الانعزالية. وقد لعب الدين اليهودي في الجيتو دورًا فاعلاً؛ بحيث لا يمكن فهم هذه الحياة اليهودية التي عاشها اليهود في شرق أوروبا وإدراكها بمعزل عن الدين اليهودي وقوانينه التي تحكمت في المأكل والملبس والتعليم والزواج والختان ويوم السبت وشتى أنواع الحياة الإنسانية لليهود عبر عقود كثيرة. ومن هنا كانت لسلطة الحاخام قدسيتها في تنظيم إيقاع الحياة داخل هذا الجيتو.

ويمكن القول، إن الحياة الانعزالية التي عاشها اليهود قد تدخلت بشكل رئيسي في صياغة النفسية اليهودية الجيتوية، بحيث أصبح التقرب منها ومحاولة إدراكها أمرًا صعب المنال في غالب الأحيان، مما استرعى انتباه عدد من حكام البلاد التي كان يعيش بينها اليهود فكان منهم من ألغى " القاهالات " وأخضع اليهود للإدارة العامة، وهناك من فرض عليهم الخدمة العسكرية الإجبارية بأضعاف المدة العادية.

أما عن حياة اليهود في غرب أوروبا، فلم تختلف كثيرًا عنها في شرق أوروبا؛ حيث استمر اليهود في حياتهم اليهودية الانعزالية، وبعد قيام الثورة الفرنسية شهد اليهود معاملة أفضل، بعدما ألغيت عنهم القيود الاقتصادية، وأعيد النظر في مسألة دخولهم الجمعيات الكنسية المكونة من الحاخامات والعلمانيين ومسألة الترقية في الجيش.

(*) الشتتل: هي كلمة يديشية تعنى (المدينة الصغيرة)، وهو عبارة عن تجمع سكاني من اليهود يتراوح بين ألف وعشرين ألفًا، وكانت الحياة تدور فيه حول المعبد اليهودي، والمنزل اليهودي ثم السوق الذي يلتقي فيه اليهود بالأغيار. (انظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص١٣).

(*) القاهال: هي كلمة عبرية تعنى جمهورًا أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد، أو طائفة أو الطائفة اليهودية في إحدى مدن الشتات اليهودي. ويعنى بها الخلية الأساسية لتنظيم حياة اليهود في منطقة إقامتهم. وكانت مهام القاهال مشابهة لمهام الدولة تجاه مواطنيها. وتعد تجسيدًا للحكم الديني من قبل الحكومة. (انظر: المرجع السابق، ص ١٣).

(*) الجيتو: أصل هذه الكلمة محاط بكثير من الشكوك. ومن المحتمل أن تكون الكلمة قد استخدمت للمرة الأولى لوصف حي من أحياء البندقية، والذي يقع بالقرب من مسبك لصهر المعادن يسمى (جيتو أو جتو) كان محاطًا بأسوار وبوابات في عام ١٥١٦ وخصص كمكان لإقامة الطائفة اليهودية. وهناك من وجدوا أصلاً للتسمية في العبرية من الفعل (جت) بمعني الانفصال أو الطلاق، وفي اليديشية، وفي اللاتينية وفي اليونانية، وفي الجوتية ولكن ليس هناك شك في أن مصدرها هو كلمة (الجيتو نوفو) معمل سبك المعادن، وهو مكان الحي اليهودي المنعزل الأول، في البندقية، عام ١٥١٦ (انظر: المرجع السابق، ص ١٦).

الاتجاه نحو الصهيونية وفشل حركة التنوير اليهودية (الهسكالاه):

" في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر كانت أوروبا قد سئمت الحكم الاستبدادي الذي كان يسودها في ذلك الحين على يد الملوك والنبلاء والقساوسة الذين حطموا روح الشعوب. وحينئذ بدأ العلماء والفلاسفة في بث آراء جديدة عن دور الدولة وعن حق الإنسان في عرض رأيه في مختلف شئون الحكم. وقد سميت هذه الحركة " حركة التنوير الأوربية Enlightenment "[1].

ولم يكن لهذه الحركة هدف إلا تنوير العقل الإنساني وتشجيعه على لفظ الإرث التقليدي الموجود والاتجاه به نحو العلمانية والتحضر، بعدما تفشت بين جموع الشعوب غياهب الرجعية والتقوقع داخل الذات الإنسانية ومجاراتها بروح الإيمان فحسب.

ولم يكن اليهود أيضا في منأى عن هذه الحركة التنويرية الأوربية. فبينما كانت الحياة اليهودية تسير بشكل عادى بين أسوار الجيتو، انطلقت حركة " الهسكالاه " أو حركة التنوير اليهودية على يد موشيه مندلسون لأول مرة عام ١٧٥٠ بهدف تحطيم عزلة اليهود ودفعهم نحو الاندماج والذوبان في المجتمعات التي كانوا يعيشون بينها. " ورويدًا رويدًا بدأت الآراء الجديدة عن حرية الإنسان تدخل إلى حارات اليهود الضيقة، وحينئذ بدا اليهود يشعرون بجو (بيت هامدراش) الضيق الخانق (مركز للعبادة والدراسة في آن واحد)، وبعالم الربانيم (الحاخامات التلموديين) القاسي المتزمت. ولم يعد يرى كثير من اليهود أي معنى لبعدهم الزائد عن الشعوب التي بشرت بحب الإنسانية وبالحرية، وتفجرت في كل ناحية هتافات (لنخرج من الجيتو) و(لنتقرب من الشعوب) و(لنتعلم لغاتهم) و(لنتثقف ونتعلم الحكمة والمعرفة). وبذلك بدأت حركة تثقيف عصرية بين اليهود، كانت بدايتها في ألمانيا، عبر عنها بما يسمى حركة التنوير اليهودية أو (الهسكالاه) وهو الاصطلاح الذي استخدمه يهودا جيليتس لأول مرة عام ١٨٣٢ للدلالة على عصر النهضة الثقافية اليهودية الذي استمر من عام ١٧٥٠ إلى ١٨٨٠ "[2].

وعلى الرغم من أثار هذه الحركة التي أشعلت الثورة ضد النظام الحياتي للجيتو وسيطرة الدين اليهودي على أدق تفاصيل الحياة للنفس اليهودية، فإن مندلسون لم يع تمامًا طبيعة النفس اليهودية القائمة على إثارة القلائل والمشكلات. " فقامت الثورة فيما بعد ضد

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٣٩).

(٢) نفس المرجع، (ص ٤١).

الهسكالاة نفسها بعد انتكاستها الكبرى في أعقاب الاضطرابات التي وقعت في روسيا عام ١٨٨١ وظهور قوانين مايو(*) التي أفقدت اليهود الأمل في الاندماج والذوبان في الشعب الروسي "[١].

لقد كانت هناك ثمة مؤشرات تشير إلى احتمال فشل هذه الحركة وبزوغ نجم حركة جديدة قامت على أنقاضها وهى الحركة الصهيونية. فعلى الرغم من جنوح المجتمع اليهودي نحو التحرر من القيود الدينية ورفع شعار (كن يهوديًا في بيتك وإنسانًا خارج بيتك)، فإن ما يسمى بـ" المشكلة اليهودية " وجد بعدًا جديدًا تمامًا أمام التحدي الخاص بالتحرر والاندماج في المجتمعات غير اليهودية، " وبدأ الموضوع بالمدارس الخاصة بالمجتمع غير اليهودي التي فتحت أبوابها أمام اليهود ... حيث كانت المدارس العامة والعلمانية تغلق أبوابها بالطبع يوم الأحد وفي الأعياد (العامة)، بينما تظل مفتوحة يوم السبت وفي أعياد اليهود. فماذا يفعل اليهودي الذي يرسل أبناءه إلى تلك المدارس؟ فهل يمتنع عن إرسالهم خوفًا من تدنيس السبت؟ أم يقول لابنه اذهب إلى المدرسة ولا تكتب شيئًا؟ وإذا كان هناك امتحان يوم السبت، فماذا يفعل الابن؟ فهل يكتب ويدنس السبت؟ أم يطلب امتحانًا خاصًا له؟ وماذا إذا لم يسمح له المدرس؟ وماذا إذا جاء الامتحان المصيري في عيد الغفران اليهودي الذي يأتي يوم السبت؟ هل يدنسه ثم يستغفر؟ أم يفقد السنة الدراسية كلها؟ أم يعيش فى منأى عن كل هذا ويشعر بأن الأمر غير متعلق به؟ "[٢].

وأيًا كانت إجابة اليهودي على كل هذه الأسئلة، خصوصًا وهو يتساوى في الحقوق مع الآخرين وسط المجتمعات التي يعيش فيها، فإن التحرر الذي سعت إليه حركة الهسكالاه لم يكن يعنى القضاء على مثل هذه المشكلات التي واجهت اليهود.

ويعلق شلومو افينيرى على هذه المعضلة التي واجهت اليهود في سعيهم نحو التحرر

(*) قوانين مايو: مجموعة من القوانين المؤقتة أصدرتها الحكومة الروسية في مايو ١٨٨٢ وبمقتضاها أصبح من المحظور على أعضاء الجماعات اليهودية في روسيا أن يعيشوا أو يمتلكوا أي عقار إلا في المدن الموجودة داخل منطقة الاستيطان اليهودي. ومن ضمن هذه القوانين ألا يسمح للصهيوني بالسكن خارج المدن الخاصة بهم، وإذا خرج اليهودي من قريته لا يسمح له بالعودة، ومن حق السكان الروس طرد السكان اليهود من قراهم. (انظر: د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، الجزء الرابع، ١٩٩٩، ص ٣٧٩).

(١) د. أحمد حماد: الأدب الطليعي الحديث، الضال في دروب الحياة، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩١، (ص ١٥).

(٢) شلومو آفنيرى: " شيئلوت حفراه اومدينيوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية في إسرائيل دار نشر كيتر، القدس، ١٩٧٧، (ص١٧).

قـائلاً: " كـان جيل الهسكالاه اليهودية مطالبًا بإيجاد حل لهذه التحديات الجديدة بأسلوب كلاسيكى (كـن يهـوديًا في بيـتك، وإنسـانًا خـارج بيتك). بينما حقيقة هذا الانشطار إلى نـصفين والـتغيرات بهـذه الـصيغة تشير إلى الموقف الصعب الذي واجهه اليهودي في عصر التحرر ... فمن الواضح أن اليهودي كانت له هوية مزدوجة: فهو (مناحم - مندلى) في بيته. أما في خارج بيته فهو (موريس). وفي بيته تشعل زوجته شموع السبت، بينما في خارج بيته يتوجه إلى أعماله يوم السبت. وهذا هو التمزق الجديد في ظل التغييرات الجديدة، وهذا هو الثمن الذي دفعه اليهودي في مقابل التحرر "[1].

وفي خـضم هـذه المشكلات الكبيرة التي واجهت جيل الهسكالاه وكان أبرزها ازدواج الهـوية الـيهودية، لأن اليهودي هو أيضًا ألماني وبولندي وروسي، انسلخت حركة الإحياء القومـي الـيهودي الـتي قامـت علـى أنقاض حركة التنوير اليهودية، وظهر جيل ما يسمى بالحـركة القومـية الـيهودية. وقـد استغل هذا الجيل الموقف المتعثر لحركة التنوير اليهودية؛ فحاربـوا الأفكـار الاندماجـية الـتي نـادى بهـا المتـنورون اليهود، وصوروا الاندماج بأقبح المظاهـر؛ إذ عـدّ ضـعفًا في الشخـصية، وليس كعملية تاريخية لها منطقها وقوتها الدافعة، وساعدهم في ذلك ظهور عصر القوميات في أوروبا.

" لقـد عـاش معظـم يهـود أوروبـا آنذاك في شرقها، وهناك اختلطوا بالقوميين الذين سـعوا في ذلـك الـوقت إلى إيجاد هوية مستقلة لهم: فقد صارع البولنديون من أجل هويتهم أمـام الألمـان من ناحـية، والروس من ناحية أخرى. وكشف الأوكرانيون عن تاريخهم أمام الـروس مـن ناحـية، والبـولنديين من ناحـية أخرى، والمجريون أيضًا سعوا من أجل هوية لهم أمام الألمان، وكذا السلافيون الجنوبيون والرومان والسلوفاك. واليهـود بين كل هـذا في الوسـط "[2] يعيشون ازدواج الهوية.

ولم يكـن ظهـور القومـيات الأوربـية إلا بـادرة أمـل لليهود أو للقوميين اليهود الذين أخذوا زمام المبـادرة متأثرين إلى حد كبير بظهور هذه القوميات، لتبدأ فترة جديدة في تاريخ اليهود، وهى فترة الإحياء القومي.

" وهكـذا، مهـدت الحـركات القومـية في المجـتمعات الأوربـية في هذه الفترة الطريق لظهـور حـركة يهـودية علـى غـرار تلـك الحركات، وفي أواخر القرن التاسع عشر أصبح الـسؤال المطروح: لماذا لم يفعل اليهود مثلما فعل اليونان والعرب والإيطاليون والمجريون،

---

(1) شـلومو آفـنيرى: " شـيئلوت حفراه اومدينيوت بيسرائيل "(قضايا اجتماعية وسياسية في إسرائيل)، مرجع سابق، (ص18).
(2) نفس المرجع (ص20).

والبولنديون وغيرهم من الشعوب الأخرى للسعي خلف دولة مستقلة "[١].

ويمكن القول، إن حركة الهسكالاه على الرغم من فشلها فإنها كانت المحرك والدافع لشباب اليهود إلى التفكير في مواكبة الحركات القومية الأوربية، لاسيما وقد انخرط شباب اليهود في ظل حركة التنوير اليهودية في قراءة العلوم المختلفة ومحاكاة الثقافات الأوربية المتحضرة والدراسات الإنسانية الأخرى، فظهر عدد من المفكرين والسياسيين اليهود ينادون بإنشاء كيان يهودي خالص في ظل المناداة بحرية الأقليات في أوروبا؛ ليقضوا على مخاوف الاندماج بين الشعوب التي كانت محل خلاف بين كثير من المفكرين اليهود آنذاك.

" وقد هاجم دعاة الاستنارة أيضًا فكرة المسيح المنتظر ونادوا بأن على اليهود أن يحصلوا على الخلاص بأنفسهم، الأمر الذي فسره الصهيونيون على أنه من الممكن العودة إلى فلسطين دون انتظار لمقدم المسيح. كذلك فإن مفكري الهسكالاه انتقدوا الشخصية اليهودية بسبب هامشيتها وطالبوا بتحويلها إلى شخصية منتجة وأكدوا على أهمية العمل الزراعي واليدوي. وهذه قضية ورثها الصهاينة ودعاة معاداة السامية[*] "[٢].

وقد أدت كل هذه العوامل إلى تكوين نويات الصهيونية، فتكونت حركات يهودية على أيدي عدد من المثقفين اليهود الذين تأثروا بالحركات القومية الأوربية وهامت فلسطين في أفق هذه الجماعات الصغيرة التي بدأت تلوّح بفلسطين كوطن قومي لليهود، وأصبحت الدعوة إلى الهجرة لفلسطين تمثل المحك الرئيسي والهدف الأسمى لتلك الجماعات، مثل جماعة " البيلو[*] "، وجماعة " زورو بابل " التي تأسست عام ١٨٨٣ في أوديسا بزعامة " ليوبنسكر " الذي كان هدفه إقناع اليهود في الغرب بالاهتمام بإحياء كيان يهودي مستقل

---

(١) Zachary Lockman ,comarades and gnemies (Arab and Jewish workers in Palestine ١٩٠٦-١٩٤٨ , university of california press , july ١٩٩٦, p.٢٩.

(*) معاداة السامية: اصطلاح ردده الفكر الصهيوني لكي يشير إلى ما يدعيه الصهيونيون بوجود عداء دائم من الشعوب الأخرى ضد اليهود الذين يعارضون أبناء سام. برز هذا الاصطلاح في نهاية السبعينيات من القرن التاسع عشر. (انظر: أفرايم ومناحم تلمى، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة أحمد بركات العجرمى، دار الجيل للنشر، عمان، ١٩٨٨، ص٢٧).

(٢) انظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٤٤، ٤٣).

(*) البيلو: هي اختصار للكلمات الواردة في العهد القديم " بيت يعقوب اذهبوا فنذهب ". وهى منظمة شبابية يهودية أسست بروسيا في أعقاب أحداث ١٨٨١ التي قام بها الروس ضد اليهود. نادت هذه المنظمة بالعودة إلى فلسطين والاستيطان بها. (انظر: أفرايم ومناحم تلمى، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ٦٤).

في فلسطين. ومن ثم تأسست جماعة " أحباء صهيون "[*] أشهر الجمعيات اليهودية التي تأسست في أعقاب أحداث ١٨٨١ في روسيا، وتبلورت أركانها بصورة جذبت جموع اليهود، وأخذت من هذه الأحداث ذريعة وحجة للتشجيع على الهجرة والاستيطان في أرض فلسطين.

" وبمرور الوقت تكونت جمعيات (أحباء صهيون) في جاليسيا والنمسا وألمانيا وفرنسا وكندا وإنجلترا وأمريكا. وفي عام ١٨٩٣ نشر برنباوم كتابا دعا فيه إلى فكرة الإحياء القومي في فلسطين، وأخذ يدعو إلى عقد مؤتمر صهيوني دولي؛ ليشكل حركة سياسية من أجل هذا الهدف. وفي عام ١٨٩٤ انعقد في باريس مؤتمر للجمعيات الصهيونية في مختلف الدول. ولم تتوقف المطالب باجتماع عام لمؤتمر صهيوني. ولم تتحقق اللبنات الأولى لهذا الهدف إلا على يد تيودور هرتسل الأب الروحي للحركة الصهيونية "[1].

" إن الصهيونية كحركة سياسية لم تهدف إلا إلى توطين اليهود في فلسطين (أرض الميعاد) كوسيلة لحل ما يسمى بالمسألة اليهودية. وكلمة (صهيونية) اشتقها الكاتب اليهودي النمساوي ناتان برنباوم (١٨٦٤ / ١٩٣٧) من كلمة (صهيون) ليصف بها هذا الاتجاه السياسي (الجديد) بين صفوف اليهود وغيرهم "[2].

والجدير بالذكر أن زعماء الصهيونية قد فكروا قبل (الاتجاه نحو فلسطين) في مشروعات صهيونية كثيرة لتحقيق هدف إنشاء وطن قومي لليهود؛ حيث فكروا في استعمار أوغندة وقبرص وبعض دول أمريكا الجنوبية واستراليا وغيرها. ولكن فلسطين حازت على موافقة أغلبية القادة الصهاينة لاعتبارات دينية وسياسية كثيرة.

" وبالرغم من أن الحل الصهيوني ظهر متفرقًا. فنشر موشيه هس، والحاخام الصهيوني يهودا القلعى وكاليشر كتاباتهم وكتبهم متبنية لفكرة الهجرة الاستيطانية إلى فلسطين، فإنه بظهور هرتسل على الساحة عام ١٨٩٦ تحولت الصهيونية إلى حركة سياسية

(*) محبة صهيون: هي عبارة عن جمعيات صهيونية نشأت قبل تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية، وقد بدأ تأسيسها في روسيا عام (١٨٨١) بعد صدور قوانين مايو التي فرضت قيودا على حركة أعضاء الأقلية اليهودية في روسيا مما دفع الشباب إلى الهجرة وإعلان تأسيس جمعيات " أحباء صهيون ". (انظر د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٧٥، ص٥٩).

(١) شموئيل أتينيجر: " تولدوت عم يسرائيل باعت هاحداشاه "(تاريخ شعب إسرائيل في العصر الحديث) دار نشر حفرات دافير، إسرائيل، ١٩٦٩، (ص ١٨٤).

(٢) د. عبد الوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، دراسة في علم اجتماع المعرفة، عالم المعرفة، الكويت، العدد (٦٠-٦١) يونيو ١٩٨٨، (ص ٩٥).

منظمة واعية بالضغوط والضوابط الدولية . فقد اكتشف هرتسل حقيقة بديهية ، وهى أنه لتهجير يهود العالم لابد من الحصول على ترخيص دولي بذلك ، مع ضمان دعم إحدى الدول الكبرى "[١] .

لقد استغل هرتسل شيوع ما يسمى بمعاداة السامية واتخذ منها ذريعة وحجة ليكسب بها تعاطف دول أوروبا ومساندتها ؛ لتحقيق هدف الصهيونية المحوري إذ كان يقول : " لم تكن مشكلة اليهود مشكلة دينية أو اجتماعية بل هي مشكلة قومية- وينبغي علينا إيجاد حل لها طالما أن جماهير اليهود لا ترغب في الاندماج "[٢] .

وقد كانت أولى خطواته هي كتابه (دولة اليهود) الذي شرح فيه باستفاضة فكرة وضرورة إنشاء وطن قومي لليهود، ليضع حدًا نهائيًا لما يسمى بمعاداة السامية ، ويقضى على الشتات اليهودي نهائيًا .

وفي حقيقة الأمر ، لم يكن ما يسمى بمعاداة السامية إلا حجة أشاعها اليهود من أجل تعضيد الفكرة الصهيونية ولفت أنظار الشتات اليهودي نحو فلسطين ، لاسيما وأن أرض فلسطين كانت دومًا مفتوحة أمامهم حتى وقت الهروب اليهودي من الأحداث السياسية التي وقعت في روسيا ، ولكن لم يتجه إلا القليل منهم إليها ، وهو ما يعلق عليه شلومو أفنيرى قائلاً: " لقد كانت معاداة السامية ، في الحقيقة بكل مظاهرها في القرن التاسع عشر ، قوة دامغة للصهيونية . ولكن علينا أن نشير إلى انه من خلال مليوني ونصف مليون يهودي في روسيا القيصرية الذين هربوا من الأحداث التي وقعت ما بين عامي ١٨٨٢ و١٩١٤ ، قد توجهت الأغلبية منهم إلى أمريكا وكندا وإنجلترا ، وأمريكا الجنوبية وجنوب أفريقيا . وقلة فقط (أقل من واحد في المائة) هم الذين هاجروا إلى فلسطين ، وبهذا فإن الهجرات اليهودية السابقة لن تمثل أدنى نسبة منها توجهت إلى فلسطين ، وأقامت بها نواة حقيقية للاستيطان اليهودي الجديد الذي تحول مع مرور الأيام إلى دولة "[٣] .

" وبدأ هرتسل في تنظيم الجمعيات المختلفة في شرق أوروبا ، وتوجه إلى أثرياء الغرب (روتشيلد وآخرين) ، ثم دعا إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام ١٨٩٧ . وبعد عدة محاولات ومناورات دبلوماسية فاشلة عرضت إنجلترا مشروع أفريقيا لتوطين الفائض السكاني اليهودي في إحدى مناطق الإمبراطورية ، ولكن لم يكتب للمشروع أي نجاح ، وفي

([١]) د. عبد الوهاب المسيرى : الأيديولوجية الصهيونية ، مرجع سابق ، (ص ٩٥) .

([٢])Cohen aharon , Israel and the arab world -W.H.Allen , London ١٩٦٩ ,p٢٩.

([٣]) شلومو آفنيرى : " شينلوت حفراه اومدينيوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية في إسرائيل ، مرجع سابق ، (ص١٣) .

عام ١٩١٧ أصدرت الحكومة الإنجليزية وعد بلفور(*) الذي استمرت الحركة الصهيونية على أثره في المناورة السياسية والنشاط الدبلوماسي خارج فلسطين، وفي النشاط الاستيطاني داخلها إلى أن أنشأت الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ م[١].

وما بين أول مؤتمر صهيوني عالمي وحتى قيام دولة إسرائيل توالت المؤتمرات الصهيونية المنظمة التي سعت إلى تحقيق هدف الصهيونية الرئيسي بقيام كيان يهودي خالص، حيث تأسس البنك القومي (صندوق الاستيطان اليهودي) في المؤتمر الصهيوني الثاني عام ١٨٩٨، وتأسس الصندوق القومي اليهودي الذي خصص لشراء الأراضي في فلسطين في المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١.

ولم تكن المؤتمرات الصهيونية العالمية التي انعقدت على التي في منأى عن الخلافات التي وقعت بين القادة الصهاينة لتحقيق الهدف الحقيقي الذي يسعى إلى إنشاء كيان يهودي وضع المؤتمر الصهيوني الأول حجر الأساس له، بدعوى قيام مأوى ليهود الشتات. وعلى الرغم من الاتفاق على تحقيق نسق أيديولوجي واحد وهو إنشاء دولة يهودية في أرض فلسطين، فإنه كانت هناك اختلافات في وجهات النظر بين الزعماء الصهيونيين حول كيفية تحقيق هذا الهدف أو أسلوبه؛ مما أدى إلى شيوع اتجاهات وتيارات صهيونية عديدة؛ أدت في النهاية إلى انبثاق المدارس الصهيونية المعروفة التي يمكن أن نعرض لها بإيجاز كالتالي:

الصهيونية السياسية:

تعد الصهيونية السياسية اتجاهًا في الحركة الصهيونية بزعامة هرتسل. ويرى هذا الاتجاه ضرورة تقديم ضمانات قانونية وبحقوق سياسية شرط مسبق قبل أن يبدأ اليهود بالاستيطان في فلسطين. ومن أجل تحقيق هذا الهدف أسس هرتسل الهستدروت(*) الصهيونية العالمية.

(*) نص وعد بلفور: عزيزى اللورد روتشيلد، يسعدني أن أبعث إليك باسم حكومة جلالة الملك ببيان التأييد التالي تلبية للرغبات اليهودية الصهيونية بعد أن حظي هذا البيان بموافقة الحكومة، إن حكومة جلالة الملك تعد راغبة في إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل قصارى جهدها لتحقيق هذا الهدف بشرط ألا يجرى أي شئ قد يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية أو بحقوق مكانة اليهود السياسية في أي بلد آخر. آرثر جيمس بلفور - وزارة الخارجية في ٢/ ١١/ ١٩١٧. (انظر: أفرايم ومناحم تلمى، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ١٥١).

(١) د. عبد الوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، (ص ٩٦).

(*) الهستدروت الصهيونية العالمية: أسسها بنيامين زئيف هرتسل خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد ببازل في سويسرا عام ١٨٩٧. وقد حدد المؤتمر الأول هدف الحركة الصهيونية ضمن مشروع بازل، وهو أن الصهيونية تصبو لأن تقيم للشعب اليهودي وطنًا في فلسطين يكون مضمونًا=

" ويؤمن الصهاينة السياسيون بأن المسألة اليهودية هي مشكلة الفائض اليهودي غير القادر على الاندماج، ولم تكن اليهودية مشكلة مطروحة بالنسبة لهم (على عكس موقف الصهيونية الدينية الثقافية). فلا يمكن حل المسألة اليهودية إلا بأن يصبح اليهود شعبًا مثل كل الشعوب وقومية مثل كل القوميات "[1].

الصهيونية التنقيحية:

تعد أهم تيارات الصهيونيات السياسية، ويعد هذا التيار الصهيوني استمرارًا لفكر هرتسل والصهيونية السياسية، ويعد جابتونسكى المفكر الأساسي لهذا التيار. ويؤمن الصهيونيون أصحاب هذا التيار بأن " معاداة السامية " وفشل الاندماج هما اللذان أديا إلى ظهور حركة القومية اليهودية والصهيونية، ويرون أن المشكلة مشكلة يهود وليست مشكلة يهودية، وينظرون إلى اليهودية على أنها تراث تاريخي يمكن الاستغناء عنه تمامًا، ويتفقون مع هرتسل على تغليب الجانب القومي على الجانب الديني.

الصهيونية العمالية (الاشتراكية):

يؤمن الصهيونيون العماليون أو الاشتراكيون بأن ما يسمى بالمسألة اليهودية هي مشكلة فائض سكاني يهودي غير قادر على الاندماج، وليست مشكلة الديانة اليهودية فقط، أي أنها مشكلة الوضع الاقتصادي والاجتماعي لبعض قطاعات اليهود ... وتتلخص المشكلة، حسب التصور الصهيوني العمالي، في أن التركيب الاجتماعي والحضاري لليهود يختلف عن التركيب الاجتماعي والحضاري للشعوب التي يعيشون بينها. ومن هنا فليس هناك حل إلا الهجرة، وفي رأى سيركين مؤسس الصهيونية الاشتراكية، أنه ينبغي تشكيل الدولة اليهودية على أساس تعاوني أي تأسيس الاقتصاد على أساس العون المتبادل وعلى ملكية العمال لوسائل الإنتاج أو ملكية المستهلكين لمؤسسات التموين.

الصهيونية الدينية:

تنطلق الصهيونية الدينية من معارضة فكرة انتظار اليهود " للمسيح المنتظر " أو " المسيح المخلص " ليقودهم صوب أرض فلسطين، تلك الفكرة التي اعتمد عليها يهود الشتات على مدى عقود كثيرة. ودعا الصهيونيون الدينيون إلى إقامة مستوطنات في فلسطين كمقدمة لظهور المسيح المنتظر.

= بموجب القانون العام. (انظر: أفرايم ومناحم تلمى، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ١٢١).

([1])د. عبد الوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، (ص ٩٦).

الصهيونية الروحية:

قاد آحاد هاعام أحد زعماء الصهيونية هذا التيار الصهيوني، فقد كان يرى أن حل المسألة اليهودية لن يأتي إلا بإنشاء مركز روحي يكون مركزًا ثقافيًا وتعليميًا لليهود في الشتات وحصنًا منيعًا في وجه خطر الاندماج الذي هدد يهود الشتات، أي أنه يجب تأهيل قلوب اليهود أولاً في البعث الروحي والأخلاقي لليهود. ورأى آحاد هاعام أن أرض فلسطين لن تحل المشكلة اليهودية إلا بإنشاء هذا المركز القومي الروحي، وبالاستيطان العملي في فلسطين بمعدل معتدل [1].

الصهيونية العملية:

رأى الصهيونيون العمليون أن حل ما يسمى بالمسألة اليهودية لن يتم إلا عن طريق جهود اليهود الذاتية والعملية لا عن طريق المناورات السياسية والدبلوماسية وكان فايتسمان من أهم قادة هذا الاتجاه.

أهداف الصهيونية

سعت الأيديولوجية الصهيونية منذ الإرهاصات الأولى إلى تحقيق عدة أهداف لحل ما يسمى بالمسألة اليهودية، ويمكن القول، إنه على الرغم من اختلاف الآراء والتناقضات بين التيارات الصهيونية باختلاف مدارسها، فإن هناك اتفاقًا واسعًا بينها حول الأهداف المرجوة. فلم يكن الاختلاف بين هذه التيارات إلا اختلافًا فقط في كيفية وأسلوب تحقيق الأهداف الصهيونية ويمكن لنا أن نعرض بإيجاز لأهداف الصهيونية، بصرف النظر عما تحقق منها أولم يتحقق بعد، في النقاط التالية:

(١) " الاتجاه نحو فلسطين " كان شعارًا صهيونيًا اتفق عليه الجميع من أجل قيام كيان يهودي خالص أو وطن قومي لشتات اليهود. ورأى الزعماء الصهيونيون أن أرض فلسطين هي أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. واتجهت الأنظار إلى أرض فلسطين لاعتبارات دينية يهودية وسياسية أيضًا ولاعتبارات تاريخية حسبما يزعم الصهيونيون، حيث أشاع هؤلاء وجود نزعة تاريخية تربط بين يهود الشتات وأرض فلسطين.

" كما أن الوعد الإلهي والأنبيائي لبنى إسرائيل بإنهاء تشتتهم من خلال العودة إلى صهيون، كان هو المبدأ المركزي الذي يحرك الصهيونية، ويضفي عليها صفة

---

[1] انظر: أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، (ص٣٨٢).

الشرعية . ويجرى تفسيره كحق تاريخي (أو واجب) من قبل العلمانيين، وكحق ديني من قبل الصهيونيين الدينيين . وهكذا زرعت الصهيونية في الوعي اليهودي عبر الأجيال فكرة العلاقة الوثيقة التي لا تنفصم بين الهوية الدينية والهدف السياسي لكل مرحلة "[1].

(٢) " تجميع شتات اليهود " في أرض فلسطين ودمجهم وذوبانهم فيما عرف بين الزعماء الصهيونيين ببوتقة الانصهار، هو أمر مهم بالنسبة لتحقق الصهيونية وبدونه لا يمكن قيام دولة لليهود ومن هنا كان تشجيع اليهود في شتى بلدان العالم على الهجرة إلى أرض الميعاد . وعلى هذا الأساس تنظر الصهيونية إلى وجود الجماعات اليهودية المختلفة في الشتات على أنه (منفى) .

(٣) " نظرًا لأن مؤسسي الصهيونية جاءوا أساسًا من بين اليهود العلمانيين، الذين لم يكن لديهم حل في مواجهة ما يسمونه (معاداة السامية) العلمانية، فقد طرحوا حلاً علمانيًا لهذه المشكلة، وهو (الدولة اليهودية) ارتبط بالسعي الحثيث للتأكيد على مفهوم (الطبيعية) أو (لنكن شعبا مثل سائر الشعوب) "[2].

(٤) " باستثناء الجماعات اليهودية الدينية في إسرائيل، فإن الصهيونية تؤكد على القيم المادية وتميل إلى ترجمة القيم الدينية إلى مفاهيم مادية . فشعب إسرائيل قيمة، ولكن البعد القومي فيه أكبر من البعد الديني، و(أرض إسرائيل) قيمة ولكن يبرز فيها البعد الإقليمي (البيئة والآثار التاريخية والاكتشافات الأثرية) أكثر من مشاهد الأشواق النفسية، وتوراة إسرائيل قيمة ولكنها مجرد دليل على الحق الوراثي لليهود اكثر منها وجهة نظر قيميه أخلاقية أو عقيدة تتحكم في نظام الحياة بوحي من الخالق "[3].

وربما يفسر هذا اعتماد الصهيونية على أسطورة المقرا في حل الصراع العربي الإسرائيلي، ورفعها لشعار (عيسو يكره يعقوب) .

(٥) سعت الصهيونية إلى خلق نمط يهودي جديد غير نمط اليهودي الجيتوى في محاولة منها لإعداد جيل من الورثة الشباب يأتي من بعد جيل المؤسسين لاستكمال المسيرة، فجاءت شخصية الصبار[*].

---

(1) د. رشاد عبد الله الشامي : إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٢٤، أغسطس ١٩٩٧، (ص ٢١٣-٢١٤) .

(2) د. رشاد عبد الله الشامي : إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص ٢١٤) .

(3) نفس المرجع، (ص ٢١٥) .

(*) الصبار : أخذ ذلك المصطلح يتردد في أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة واستخدم للمرة الأولى في مدرسة " هرتسليا " الثانوية في تل أبيب، وهي مدرسة كانت تضم بين تلاميذها اليهود شبابًا=

(٦) هدفت الصهيونية أيضًا إلى ترسيخ مبدأ المصير المشترك ليهود دولة إسرائيل مع اليهود في كل مكان في العالم في محاولة منها لاستغلال بعض نفوذ اليهود بالخارج للعمل من أجل مصلحة دولة إسرائيل ومساندتها.

(٧) " بما أن صهيون أو (أرض إسرائيل) حسب التوراة، هي الرمز الرئيسي للصهيونية، فإن " هاعلياه "، أي الهجرة، هي الطقس الأول في الصهيونية، وهي حق لجميع اليهود والتزام يترتب على كل صهيوني، فإن محك تمسك بالمعتقد الصهيوني، هو موقف اليهودي من (قانون العودة) الذي يضمن تلقائيًا حق المواطنة الإسرائيلية لكل يهودي يهاجر إلى إسرائيل "[1].

(٨) أكد زعماء الصهيونية مرارًا وتكرارًا في المراحل المختلفة من تكوين الصهيونية كحركة أن أهداف هذه الحركة سوف تقوم بالطرق السلمية والدبلوماسية المختلفة، ولم تكن الحرب يومًا ضمن الأهداف الصهيونية المعلنة، وهو ما لم يحدث على أرض الواقع.

وهكذا، وضع الآباء المؤسسون للأيديولوجية الصهيونية هذه الأهداف نصب أعينهم، وحاولوا تحقيقها بشتى الوسائل الدبلوماسية الشرعية وغير الشرعية. وربما لم يخطر ببالهم ذات يوم أن مفردات أيديولوجيتهم سوف تخضع لمراجعة شاملة ودقيقة لكل إخفاقاتها من قبل الأجيال المتعاقبة، تمامًا مثلما حدث مع مطلع الثمانينيات، وبداية التسعينيات من القرن العشرين.

وقبل أن نتعرض لموجات النقد اللاذعة التي تعرضت لها الأيديولوجية الصهيونية قبل أن تدنو من تحقيق كل أهدافها، لا يمكننا أن نغفل حقيقة بعض الإنجازات التي نجحت الصهيونية في تحقيقها منذ المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ وحتى يومنا هذا. حيث كان حلم الصهيونية الأول التي سعت إلى تحقيقه منذ أول مؤتمر

= من مواليد فلسطين إلى جانب الذين هاجروا مع آبائهم، والذين كانوا غالبًا ما يتفوقون على أولئك المولودين في فلسطين بسبب قدومهم من حضارة أكثر تقدمًا. وفي محاولة لتعويض الشعور بالنقص كان اليهود من مواليد فلسطين، يلجئون إلى الإمساك بثمرات التين الشوكي وتقشيرها بأيديهم، ويدخلون في مسابقات التقشير هذه مع أبناء المهاجرين، وكانت تنتهي عادة بأن يكسب أبناء اليهود من مواليد فلسطين هذا التاريخي، ويتمكنون من نزع القشرة الشائكة ليحصلوا على الثمرة الحلوة. ومن هنا التصقت كلمة " التين الشوكي "(الصبار) بهذه الفئة من اليهود مواليد فلسطين، ثم انتشرت التسمية لتغطي ما يسمى بجيل " الصباريم "الذي أصبح يقصد به أولئك اليهود الذين ولدوا في فلسطين على الرغم من تخلفهم الحضاري، فإنهم أكثر قدرة على تحمل المشاق. (انظر: د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٢٩).

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص ٢١٤).

صهيوني لها، هو إنشاء كيان يهودي مستقل على أرض فلسطين، وقد نجحت الصهيونية بالفعل في تحقيق هذا الهدف أو الحلم؛ فخرجت دولة إسرائيل إلى حيز الوجود في ١٥ مايو ١٩٤٨. وقد سبق هذا الأمر بعض الإنجازات التي كان للصهيونيين الأوائل باع طويل في تحقيقها كتمهيد لانتزاع أرض فلسطين، وإعلان قيام دولة لليهود على حساب هذه البقعة من الأرض العربية. وقد تحقق هذا من خلال:

(١) الهجرات الصهيونية الخمس: شكلت الهجرة أهم عنصر من عناصر الاستعداد الصهيوني لاحتلال فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها، حيث نظر زعماء الصهيونية إلى تجميع الشتات اليهودي داخل فلسطين نظرة اهتمام بالغ؛ لما تشكله تلك الجماعات اليهودية من تكتل يؤدى إلى أغلبية يهودية في فلسطين تكون عمادًا ومرتكزًا للدولة اليهودية. وقد لعبت الوكالة اليهودية دورًا فاعلاً في استدراج اليهود ناحية فلسطين، فبالإضافة إلى الهجرات السرية أو غير الشرعية، كانت هناك الهجرات الصهيونية الخمس المعروفة [1]:

أ- الهجرة الأولى، واستمرت خلال الفترة من عام (١٨٨٢ - ١٩٠٣)، ووصل تعدادها حوالي ٢٥ ألف مهاجر يهودي.

ب- الهجرات الثلاث اللاحقة، وهى الهجرة الثانية (١٩٠٤ - ١٩١٤) وكانت تعدادها ٤٠ ألف مهاجر يهودي معظمهم من الشباب اليهودي المتحمس، والهجرة الثالثة (١٩١٩ - ١٩٢٤) وكان ٤٥٪ منهم من المهاجرين من روسيا، و٣٠٪ من بولندا، والهجرة الرابعة (١٩٢٤ - ١٩٣٤) كان نصفها من بولندا، وخمسها من روسيا، والخمس الباقي من باقي أنحاء أوربا.

ج- الهجرة الخامسة (١٩٣٢-١٩٣٨) وحملت إلى فلسطين ٢١٧ ألف يهودي، وكانت أقل صهيونية. " وقد تم ربط هذه الهجرات اليهودية التي كونت المستوطنات بعناصر ثلاثة: ادعاء الحق التاريخي، وفكرة الخلاص اليهودي، والأرض المختارة ... ونجح الفكر الصهيوني في إقناع اليهود بأن الاستيطان في فلسطين ليس مجرد ضرورة قومية بل لإثبات الذات، ولإظهار قدرة التفوق لدى الإنسان اليهودي "[2].

(٢) وعد بلفور: لجأ هرتسل في بداية الحركة الصهيونية إلى الخلافة العثمانية التي كانت فلسطين جزءا من المناطق التابعة لها، في محاولة للحصول على حق فتح باب الهجرة أمام

---

(١) انظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٨٦).

(٢) د. عبد الخالق عبد الله جبة: إسرائيل – الاستيطان والكيان، دراسة نقدية لسيرة يجال آلون الذاتية، مجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد١٦، يوليو ١٩٩٤، (ص٢٢).

اليهود إلى فلسطين، ولكنه فشل في ذلك، وقد حاول البحث عن بديل في منطقة العريش وسيناء عن طريق الإنجليز الذين كانوا يحتلون مصر آنذاك، ولكنه فشل في ذلك أيضًا. وبعد وفاته في عام ١٩٠٥ كان قد أعطى درسًا ظل ركنًا أساسيًا من أركان السياسة الصهيونية، وهو ضرورة الاعتماد على الدولة العظمى القوية لمساندة أهداف الصهيونية والعمل على تحقيقها. وبعد موت هرتسل واصل حاييم وايزمان المسيرة حتى استطاع الحصول على ما يعرف بـ (وعد بلفور) الشهير من وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت جيمس بلفور الذي يقضي بالعمل من جانب بريطانيا على مساعدة اليهود لإقامة كيان يهودي لهم في فلسطين، وعرف هذا التصريح باسمه في ٢/ ١١/ ١٩١٧.

(٣) إقامة المستوطنات اليهودية: نجحت الصهيونية نجاحًا ملحوظًا في دفع جموع اليهود إلى الاستيطان في فلسطين وشراء الأراضي العربية من الفلسطينيين في محاولة لوضع حجر الأساس للاستيطان الصهيوني الذي تحقق على أيدي الرواد الصهيونيين فيما عرف بالريادة، أو الطليعة(*) حالوتسيوت " حيث قام هؤلاء بشراء قطعة أرض وأنشئوا عليها أول مستعمرة زراعية لليهود وهي مستعمرة بيتح تكفاه (بوابة الأمل) ثم توالت بعد ذلك إنشاء المستوطنات مثل (ريشون لتسيون) و(زخارون يعقوب) و (روش بيناه)، وغيرها من المستوطنات الصهيونية. وقد ساعد على ذلك تأسيس كيرن قاييمت (الصندوق القومي اليهودي) في المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١، الذي خصص لشراء الأراضي العربية في فلسطين.

(٤) خلق مؤسسة عسكرية صهيونية: كانت مسألة الحفاظ على المنجزات الصهيونية موضع اهتمام الرواد الصهيونيين، لاسيما وأنهم كانوا يدركون تمامًا ضراوة المقاومة العربية حال تنفيذ مشروعهم الصهيوني على أرض فلسطين. ومن هنا نجحت الصهيونية في تكوين نويات عسكرية صهيونية من الشباب اليهود المهاجرين، شكلت فيما بعد الأعمدة الأساسية لجيش إسرائيل بعد قيام الدولة، حيث توالت عمليات إنشاء المنظمات العسكرية الصهيونية بعد مجيء لهجرات الصهيونية إلى فلسطين، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي (١):

(*) هيحالوتس: (الرائد ـ الطبقي)، وتعني ذلك الجزء من الجيش الذي يسير في المقدمة، وتعني في المجال الإستعماري أول من يقوم بالاحتلال أو من يشق الطريق أمام من يأتون بعده وهو اصطلاح أطلق على المجموعة اليهودية التي هاجرت إلى فلسطين من أجل تحقيق الحلم الصهيوني عن طريق العمل اليدوي الشاق. ويشيع استخدام هذا الاصطلاح في المصادر العربية بكلمة (رائد ـ طليعي) والإشارة إلى " دور الحالوتسيم " على أنه " جيل الرواد. (انظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص ٨١).

(١) انظر: أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، (ص٢٤٥).

الهاجاناه: منظمة عسكرية إسرائيلية، تأسست بعد عام (١٩١٧) بزعامة البولونى "ولهلم رابيل " كان شعارها " فلسطين لليهود ".

إتسل (المنظمة العسكرية القومية)، وهى منظمة يهودية مسلحة قامت عام (١٩٣١) بالاشتراك مع جماعة مسلحة من " بيتار " و " الهاجاناه " احتجاجًا على سياسة " الهاجاناه " الدفاعية.

لحى: وهى منظمة " المحاربون من أجل حرية إسرائيل ". وقد تشكلت هذه المنظمة من جماعة يهودية سرية عام (١٩٤٠) على أيدي " افراهام شتيرن ".

البالماح: هي اختصار الكلمة العبرية " بلوجوت ماحتس "(سرايا الصاعقة)، وقد تكون في عام (١٩٤١) وارتبط بحركة " الكيبوتس " وحزب " المابام (*) ". وكان يتميز أفراد هذه القوة العسكرية اليهودية بقدر كبير من التثقيف السياسي الذي يركز على مبادئ الصهيونية الاشتراكية.

(٥) قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين: كان قرار تقسيم فلسطين الصادر من الأمم المتحدة في الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ من أهم الإنجازات الصهيونية التي تحققت من خلال المساعي الدبلوماسية لرواد الحركة الصهيونية لدى القوى السياسية المؤثرة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية وخصوصًا أمريكا وفرنسا وبريطانيا وروسيا. حيث استغل رواد الصهيونية هذا القرار وبدءوا يعملون في إطار شرعي لكسب المزيد من الأراضي الفلسطينية، حتى استطاعوا الحصول بعد حرب ١٩٤٨ على ما يقرب من عشرين في المائة زيادة في الأرض عن قرار التقسيم. وقد مهد هذا القرار الطريق لقبول دولة يهودية وليدة بين أسرة الشعوب في المنطقة العربية، وتلاه بعد ذلك قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ التي حظيت باعتراف كثير من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة.

وهكذا، نجح الرواد الصهيونيون الأوائل في تهيئة المناخ الدولي المناسب لتحقيق حلمهم الكبير بإقامة دولة لليهود، وبعد اندلاع حرب ١٩٤٨ التي يطلقون عليها في الفكر الصهيوني (حرب الاستقلال) جنحت منطقة الشرق الأوسط نحو منعطف خطير، حيث توالت الحروب الإسرائيلية العربية بدءًا من هذه الحرب التي شكلت الشرارة الأولى لاندلاع سلسلة من الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد الدول العربية المجاورة، في محاولة لإثبات الوجود وتثبيت أركان الدولة اليهودية والحصول على مزيد من الأراضي العربية.

(*) مابام (حزب العمال الموحد): حزب شرعي طلائعي ذو ميول يسارية متطرفة، أنشأ في عام ١٩٤٨ عن طريق توحيد حزبي (الحارس الفتى) و (اتحاد العمال - عمال صهيون). وقد جاء في اتفاقية توحيد الحزبين أن الحزب موحد حول الأسس الفكرية، والأهداف العملية وحول الاعتراف بهدف ودور العمال في العالم. (انظر: نفس المرجع، ص ٢٩٠).

ويمكن القول، إن حرب ١٩٤٨ كانت بمثابة نقطة تحول كبيرة في تاريخ الحركة الصهيونية التي أكدت مرارًا وتكرارًا على تحقيق أهدافها بالطرق السلمية المختلفة، ثم تكشف لهؤلاء اليهود حقيقة تمسك الفلسطينيين بالوجود في هذه الأرض. وتعد هذه الحرب أيضًا بمثابة نقطة تحول كبيرة على المستوى الشخصي والإنساني بالنسبة لمن خاض هذه الحرب من الشباب الإسرائيليين حيث وجد هؤلاء أنفسهم، مع بدء المعارك العسكرية متأرجحين ما بين المثل العليا والأخلاق الإنسانية وبين الواجب العسكري الذي يلزمهم بالقيام بأعمال القتل والطرد وسفك الدماء ضد المواطن العربي الذي عاش معهم جنبًا إلى جنب قبل قيام الدولة وبدء العمليات العسكرية ضد القرى العربية، مما شكل لهم ما يمكن أن نطلق عليه بالورطة الأخلاقية. ومن هنا أدرك بعض اليهود حقيقة الصهيونية التي دفعت بهم نحو منعطف خطير، هدد حياتهم وجعلهم في وضع الاستعداد الدائم للحرب القادمة، لتأتي حرب تلو الأخرى لتجعل الإسرائيلي في حالة من الصدام العنيف ليس فقط مع الفلسطينيين أهل البلاد الأصليين، بل مع العالم العربي الذي يحيط بهم. وقد شكلت نتائج حرب ١٩٦٧، مع اتساع رقعة الأرض التي تسيطر عليها إسرائيل مخاوف عظيمة في قلوب قطاعات واسعة داخل المجتمع الإسرائيلي، وبدأ العرب الفلسطينيون يشكلون بالنسبة لهم عدوًا يمكن أن ينقض عليهم في أية لحظة. وقد شملت هذه الحياة الإسرائيلية المغلقة جيلاً كاملاً، منذ حرب ١٩٤٨، عاش في ظل الحرب والحصار المستمرين، الأمر الذي شكل لهم محنة وجودية أصبح من الصعب الفكاك منها بكل سهولة، الأمر الذي عمق من مخاوف المجتمع الإسرائيلي من المصير المجهول.

وإذا كان هذا هو الحال الذي نتج عن هذه الحرب التي انتصرت فيها إسرائيل على الجيوش العربية، فإن حرب ١٩٧٣ التي منيت فيها العسكرية الإسرائيلية بهزيمة أكدت لدى الجميع حقيقة جديدة، هي أنه لا يمكن لجيش إسرائيل أن يصول ويجول في الأراضي العربية المحتلة دون أن يدفع الثمن.

ويمكن القول أيضًا، إن الحلقة المفرغة من الحروب التي خاضتها إسرائيل منذ حرب ١٩٤٨، كانت سببًا مباشرًا في اتجاه بعض المفكرين الإسرائيليين لعمل مراجعة شاملة ودقيقة لمفردات الصهيونية التي أوقعتهم في فخ هذه الحروب التي لا طائل منها سوى مزيد من جثث القتلى وزيادة عدد الثكالى، ناهيك عن الدمار والخراب في الأرض الموعودة على نحو مخالف لما روجت له الصهيونية. ومع مطلع الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين، بدأ المفكرون الإسرائيليون في مقارنة الواقع المعيشي مع أهداف الصهيونية التي تسعى دولة إسرائيل إلى تحقيقها. وتم وضع علامات استفهام عديدة أمام إخفاقات الصهيونية في تجميع الشتات اليهودي داخل إسرائيل، وتفكك المجتمع الإسرائيلي

والصراعات الداخلية التي تمزقه، الأمر الذي جعل بعضهم يتساءل عن حقيقة الصهيونية، وهل هي حركة تاريخية أم لحظة تاريخية؟ أم أنها أيديولوجية كلاسيكية لا تتناسب مع الواقع المعيشي في دولة إسرائيل؟ أم أنها استنفذت قواها وفشلت في مواجهة التحديات التي واجهتها؟ كما طرحت التساؤلات عما فعلته في الشتات اليهودي حتى ذلك الحين؟ وهل هناك ضرورة لوجودها؟ إلى غير هذه الأسئلة التي تم طرحها بصراحة ووضوح على الساحة في إسرائيل.

الآراء النقدية للمفكرين الإسرائيليين حول الصهيونية:

كان مطمح الصهيونيين الأوائل منذ الإرهاصات الأولى لسعي الأيديولوجية الصهيونية لتحقيق أهدافها، هو العمل على نجاح المشروع الصهيوني وإخراجه من حيز المشروع إلى مرحلة التحقيق لحل ما يسمى بالمسألة اليهودية. وربما لم يخطر ببال أحد من الصهاينة، بعد أن حققت الصهيونية هدفها الأسمى، وهو إقامة دولة لليهود في فلسطين، أنه سيأتي يوم سيطالب فيه المفكرون الإسرائيليون بالانفصال عنها أو نقدها أو حتى مقتها واتهامها بأنها السبب في الكثير من المشكلات التي يواجهها الإسرائيليون على أرض الواقع الذي يعيشونه، إلى حد أنه في النهاية ظهر مفهوم جديد للصهيونية تمت الإشارة إليه بمصطلح (ما بعد الصهيونية)(*)، وهو ما يعني أن الصهيونية الكلاسيكية هي أيديولوجية قديمة عفا عليها الزمن، ولا ضرورة لوجودها على أرض الواقع بعدما تحققت أهم أهدافها، بينما لم تستطع أن تواجه التحديات التي ترتبت على تحقيق الأهداف والطموحات.

وترى سينتيا أوزيك " أن مفهوم (صهيونية) يشير إلى حركة تاريخية أوربية، أو بالأحرى، إلى لحظة تاريخية أوربية، ويشير كذلك، إلى الأرضية التي أنجبت الصهيونية، مثلما أنتجت الليبرالية، والاشتراكية، والقومية ... ويمكن تفسير تلك المفاهيم على عدة أوجه، حيث إنها عندما تصل لهدفها، تفقد معناها على أرض الواقع "[1].

(*) مؤسسو الصهيونية: يرى بعض المفكرين أن مصطلح (ما بعد الصهيونية) post Zionism إنما يقصد به تلك الكتابات التاريخية التي بدأ بعض المؤرخين الإسرائيليين الذين عرفوا باسم (المؤرخين الجدد) في كتاباتها اعتباراً من بداية الثمانينيات تباعاً، حيث أعادوا كتابة تاريخ الهجرات الصهيونية والصراع العربي الفكري، بعيداً عن الرؤية الصهيونية الرسمية، من جديد في ضوء المعطيات التي كشفت عنها الوثائق الرسمية التي أفرجت عنها السلطات الإسرائيلية. (انظر: أحمد بهاء الدين شعبان: ما بعد الصهيونية وأكذوبة حركة السلام في إسرائيل، ميريت للنشر والمعلومات، سلسلة الصراع العربي الأوروبي، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٧).

(١) سينتيا أوزيك: إسرائيل ليست صهيونية بل هي صهيون، صحيفة " هاآرتس " الإسرائيلية، ٥-١٠-١٩٩٧.

وتشير أوزيك كذلك إلى " أن الصهيونية عرفت كحركة قومية ، وقد مر الآن على قيام الدولة التي قامت تلك الحركة من أجلها أكثر من خمسين عامًا ، فقد ولدت إسرائيل من رحم الصهيونية ، ولكنها الآن ، باعتبارها دولة ، يجب أن تتحرر من المفاهيم التي كانت سببًا في وجودها ... كما أن استخدام مصطلح الصهيونية اليوم يشير إلى الضعف وعدم الوصول لهدف ، أي أنه وضع قابل للتغير . وهو لذلك يتيح التعرض لأخطار خارجية ، وبلبلة في القيم ، إلى درجة عدم الثقة داخليًا "[1] .

وترى أوزيك كذلك ، أن هناك ضرورة لاستقلال إسرائيل ، وهذا الاستقلال لن يتحقق إلا بالانفصال عن الصهيونية ، حيث تقول : " لقد كانت الصهيونية بمثابة معمل تفريخ لإسرائيل ، وعندما يتطور الجنين ينفصل عن أطرافه البدائية ، كذلك الحال بالنسبة لصهيون التي يجب أن تنفصل عن أطرافها الفوضوية ، ويكون مستقبل الصهيونية هو صهيون ذاتها ، لكي يسود الشعور بالاستقلالية التامة "[2] .

ويرى مايكل ايجنتايب ، أن هناك أمورًا لم تنجح الصهيونية ، بعد مرور قرن من الزمان عليها ، في حلها ، فالخلافات حول أمور عديدة مازالت موجودة بين اليهود أنفسهم وبقوة ، حيث يقول : " الآن ، وبعد مرور قرن على الصهيونية ، يتراءى لي تساؤل تم طرحه بشكل لم يتخيله الآباء المؤسسون مطلقًا . فهناك يهود يعدون إسرائيل هي مركز وجودهم ، كما أن هناك يهودا لا يبالون بإسرائيل ، بل تثير اشمئزازهم ، وهناك من يفسر الرسالة الصهيونية باعتبارها دعوة لاقتسام الأرض مع شعب آخر . وآخرون يؤمنون بأن الرب منح الأرض لهم وحدهم . ومازالت العلاقة بين الشتات والوطن محاطة بالخلافات كدأبها ؛ حيث يرغب بعض اليهود في الهجرة إلى الأرض ، بينما لا يرغب بعضهم الآخر في ذلك . وهناك في الشتات من يشير على الإسرائيليين أن يمنحوا الأمن لجيرانهم من العرب ، وآخرون لا يشيرون بذلك . كل تلك الخلافات لا تتيح حلاً ، ولم تقدم الصهيونية ردًا على ذلك أو على حتى المسألة اليهودية "[3] .

ويضيف مايكل قائلاً : " هناك خلاف أخير لم تتمكن الصهيونية من حله ، ألا وهو استخدام العنف في فض الاشتباكات داخل العائلة الصهيونية . على سبيل المثال في النزاع الدائم مع العرب كان هناك خلاف مستمر بين اليهود الذين يؤمنون بأن النظريات التي تدافع عن الحلم الصهيوني من شأنها أن تلوثه ، وبين أولئك الذين لا يعتقدون ذلك ...

---

(1) سنتيا أوزيك : إسرائيل ليست صهيونية بل هي صهيون ، نفس المرجع .

(2) نفس المرجع .

(3) مايكل ايجنتايب : في الطريق إلى الصهيونية الحقيقية ، صحيفة " هاآرتس " الإسرائيلية ، ٦-١٠-١٩٩٧

والسؤال الحقيقي هنا هو، هل استطاع الحلم الصهيوني أن يبرر العنف ضد اليهود الآخرين. ومن دواعي أسف معظم اليهود أنه استطاع ذلك بالفعل. فقد اغتيل رئيس الوزراء إسحاق رابين (*). قتل يهودي يهوديًا آخر باسم صهيون، كما أن الانتخابات تحسم بواسطة السلاح "(١).

أما والتر لاكوير، فإنه ينظر إلى الصهيونية على أنها حركة ضمن الحركات القومية تحول حلمها إلى واقع سياسي، ولكن دولة إسرائيل، تلك الدولة التي حلم بها الصهيونيون الأوائل لم تكن هي الحلم ذاته؛ فقد ابتعدت كثيرًا عن الدولة التي حلم بها هؤلاء الصهيونيون. ويقول لاكوير: " عندما ألفت كتاب A History of Zionism (تاريخ الصهيونية) في أواخر الستينيات، كان هناك بعض زعماء الحركة الصهيونية مازالوا على قيد الحياة، وقد أصيب كثير منهم بالإحباط بسبب نتائج هذا المشروع الذي كرسوا حياتهم من أجله. لأن دولة إسرائيل الحديثة لم تكن على النحو الذي تحدث به عنها هرتسل في روايته اليوتوبية. "(٢).

وعن مدى نجاح الصهيونية في تجميع الشتات اليهودي داخل إسرائيل يقول لاكوير: " عندما سألت جرشوم شولام عن سبب اتجاهه للصهيونية، تردد قليلاً ثم أجاب: (لأنني أردت وضع حد لجنون السفر المرضي عند اليهود. لكنهم الآن يسافرون أكثر من أي وقت مضى) ... لقد قامت الصهيونية كرد فعل ضد معاداة اليهودية، إلا أنها كانت أيضًا بمثابة تمرد ضد أسلوب الحياة اليهودي البائس، وخصوصا في شرق أوربا. وكانت تمثل حلمًا بمجتمع جديد وميلادًا لجنس يهودي جديد (ليس بالمعني البيولوجي). واليوم، وبعد مرور ١٠٠ عام على بازل، توجد حركة قوية، وخصوصا في إسرائيل، لا تعارض الاندماج فحسب بل تعارض التحرير أيضًا، وتنادي بالعودة إلى الشتتل (حتى إذا كان الشتتل مع وجود الإنترنت)... ومن هذا المنطلق فإن الفجوة بين الحلم والواقع كبيرة بالفعل مثلما أشار جرشوم شولام "(٣).

ويتساءل لاكوير عن مستقبل الصهيونية في هذا الوقت، وعن دور الشتات اليهودي في بناء مستقبل الدولة، ولكنه لا يعتقد أنه مستقبل مشرق أو مبشر، حيث يقول: " هل هناك

(*) إسحاق رابين: رئيس الوزراء الأوروبي الأسبق، وهو من اليسار الأوروبي، وينتمي إلى حزب العمل، وقد تم اغتياله في عام (١٩٩٥) على يد " يجال عامير " أحد المتطرفين الإسرائيليين بسبب اتفاقيات السلام التي أجراها مع الفلسطينيين.

(١) نفس المرجع.

(٢) لاكوير: القصة التي بدأت في بازل، صحيفة " هاآرتس " الإسرائيلية، ٧-١٠-١٩٩٧.

(٣) نفس المرجع.

مستقبل للصهيونية؟ فيما يبدو أن الصهيونية قد وصلت إلى ذروتها في عام ١٩٤٨، مع قيام الدولة، ثم مع الهجرة من الاتحاد السوفييتي السابق. حيث لم تتبق جماعات يهودية كبيرة يمكن أن تتجمع الآن (ومن يصدق ولو للحظة أن يهود أمريكا يمكن أن يهاجروا لإسرائيل؟) "[١].

جماعات رفض الصهيونية

منذ المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل عام ١٨٩٧، والمنظمة الصهيونية العالمية تطرح نفسها على أنها المنظمة الوحيدة التي عبرت عن آمال اليهود، وحولت تطلعاتهم إلى برنامج سياسي قابل للتنفيذ بالفعل، وقدمت الصهيونية نفسها منذ البداية كمتحدث رسمي لجموع اليهود في بلاد الشتات. وبعد مرور عدة سنوات على بداية أول مؤتمر صهيوني، وبعد أن بدأ البرنامج الصهيوني يدخل في أطواره التنفيذية بتحقيق بعض النجاحات مع بداية موجة الهجرات الصهيونية إلى فلسطين وقيام الدولة، ظلت الصهيونية تتحدث من هذا المنطلق متناسية وجود بعض جماعات الرفض الصهيوني، وأن دولة إسرائيل لا تضم كل اليهود حتى الآن، لأسباب أيديولوجية أو عقائدية، وأن من هاجروا إلى أرض فلسطين كانت تختلف استجاباتهم للصهيونية باختلاف الظروف الحضارية والأهداف الشخصية. " فبعض اليهود هاجروا إلى فلسطين للاستيطان فيها لأسباب دينية. وقد هاجر معظم يهود البلاد العربية لأسباب اقتصادية سعيًا وراء الرزق أو لأسباب سياسية... لذلك حينما تتاح لهؤلاء المهاجرين فرصة الفرار من أرض الميعاد إلى أرض الفرص الاقتصادية في الولايات المتحدة فإنهم يفعلون ذلك دون تردد ... إن اليهود سواء في الشرق أو الغرب، لم يتقبلوا الصهيونية تقبلاً أعمى، وإنما كانت تختلف استجاباتهم لها باختلاف الظروف والانتماء الحضاري أو الطبقي. فهناك بطبيعة الحال اليهود الصهاينة المؤمنون بالصهيونية كحل لما يسمى بـ" المشكلة اليهودية " في العالم لأن هذه الحركة تخدم مصالحهم الاقتصادية أو النفسية والحضارية، لكن كان هناك أيضًا يهود كثيرون في بلدان عديدة في أوروبا وأمريكا حاولوا التملص من الصهيونية، وكان هناك من اليهود من لهم تحفظات عليها، وكان هناك من رفضوها رفضًا كاملاً عن وعى أو عن غير وعى "[٢].

ومن هنا يمكن تقسيم جماعات رفض الصهيونية إلى الاتجاهات التالية:

---

(١) لاكوير: القصة التي بدأت في بازل، نفس المرجع.

(٢) هدى عبد السميع حجازي: بعض كلاسيكيات الرفض اليهودي للصهيونية، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (١٤) - العدد الأول، أبريل - مايو - يونيو ١٩٨٣، (ص ١٤٧).

(١) الرفض الديني للصهيونية:

ينبع الرفض الديني للصهيونية من خلال فكرتي (الخلاص) و(الاختيار)، فإذا كانت الصهيونية ترى أن اليهود هم شعب مثل سائر الشعوب يجب ألا يخضعوا إلا للقانون العلماني فقط، وأن المسائل الدينية والمحافظة على الوصايا اليهودية هي أمور تعوق تحرر الإنسان اليهودي وتعرقله عن مواصلة التقدم الحضاري والإنساني، فإن اليهودية ترى عكس ذلك تمامًا وهو الأمر الذي مثل منذ الإرهاصات الأولى للصهيونية صدامًا مباشرًا بين الحاخامات اليهود والقادة الصهاينة.

" وعندما ظهرت الصهيونية، أول ما ظهرت على المسرح السياسي الدولي، كانت الاستجابة اليهودية لها أبعد ما تكون عن الترحيب، واتخذت المنظمات اليهودية الرئيسية من الصهيونية موقفًا معارضًا أو موقفًا غير صهيوني، وأعلنت اللجنة التنفيذية لمجلس الحاخامات في ألمانيا عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول اعتراضها على الصهيونية، على أساس أن فكرة الدولة اليهودية تتعارض مع عقيدة الخلاص اليهودية، واتخذت كافة المنظمات اليهودية في إنجلترا وأمريكا مواقف مماثلة تعبر فيها عن رفضها للتفسير الصهيوني لليهودية على أنها انتماء قومي معلنين أن (إعلان فلسطين وطنًا قوميًا لليهود سيكون جريمة في حق الرؤى العالمية لأنبياء اليهود وقادتهم العظماء) "[١].

وقد بدأت الأزمة الدينية اليهودية عندما حاولت الصهيونية تحوير معنى الخلاص لدى اليهود على أساس أن الفكرة الصهيونية هي امتداد لفكر الخلاص في اليهودية، وقد سعت لتحقيق ذلك من خلال استغلال الظروف السياسية وتحويل المعنى الديني للخلاص إلى مضمون علماني يرفضه اليهود الدينيون.

" وتتلخص هذه الأزمة الدينية التي سببتها الصهيونية نتيجة لهذا التفسير الجديد الذي قدمته لمعنى الخلاص، في أن الديانة اليهودية صورت الخلاص في صورة لقاء بين الإنسان اليهودي وإلهه، فالفكرة دينية حشرية بمعنى أن هذا اللقاء المنتظر هو من بين الأحداث التي سيتم وقوعها بعد نهاية العالم، أو كما يسميها بعض علماء الأديان بالأشياء الأخيرة أو بأحداث ما بعد الموت "[٢].

وقد نظر بعض اليهود الدينيين إلى الصهيونية وقيام الدولة على أنهما يمثلان (التعجيل

([١]) انظر: د. عبد الوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، (ص ٢٢٨).

([٢])د. محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة. سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٤)، (ص ٢١).

بالنهاية) وهو ما يعارض الأمر الإلهي بانتظار المسيح المخلص، " وعلى الرغم من أن الصهيونية قد حققت هدف العودة بإنشائها لدولة إسرائيل فإن الصهيونية لم تحقق الخلاص المنتظر، ولم تغن عن قدوم المسيح المخلص، إذ لا يزال حال اليهود في العالم وموقفهم متوترًا وحساسًا كما أنهم لا يزالون مشتتين في أنحاء العالم. وأن من يقول بأن الصهيونية جمعت شمل اليهود أو ستجمع شملهم فهو خاطئ، وعلى هذا فالاعتقاد في أن الصهيونية إتمام للفكر الخلاصي اليهودي، أو إنجاز له إنما هو من صنع خيال بعض المتطرفين من الصهاينة الذين اهتموا فقط بالجانب التنفيذى لفكرة الخلاص الذي حولوه إلى خلاص علماني يحدث في العالم، ولا علاقة له بنهاية الأيام "[1].

وقد أثارت الصهيونية كذلك في تعرضها لمفهوم (الاختيار) لدى اليهود بعض الشكوك فمفهوم (الاختيار) له أصوله الثابتة في الديانة اليهودية، فاليهود هم شعب الله المختار وتربطهم بالرب علاقة خاصة، واليهودي مختار من قبل الرب الذي اصطفاه من بين جموع البشر وفضله عليهم، وهو ما يتعارض مع محاولات الصهيونية في مساواة الشعب اليهودي بسائر الشعوب، إذ كيف تهدم فكرة (الاختيارية) من قبل هؤلاء الصهاينة العلمانيين.

وينبع الرفض اليهودي للصهيونية من أن " فكرة الاختيار الديني عند الصهاينة قد تحولت إلى أفكار عنصرية سياسية، فيصير العنصري اليهودي عنصرًا متفوقًا، ويمنح هذا التفوق اليهود حقوقًا معينة تجب حقوق الآخرين؛ ولذا يصبح من حقهم الاستيلاء على فلسطين وطرد سكانها، وبدلاً من أن يخضع اليهودي لقوانين ديانته فإن عليه أن يخضع للقوانين العلمانية السائدة بغض النظر عما إذا كانت تتفق مع القوانين الدينية أم لا. وإذا كان المتدينون ينظرون إلى اللغة العبرية باعتبارها لغة دينية يحرم استخدامها في الشئون الدنيوية، فإن الصهاينة قد جعلوا منها لغة الحديث اليومية في الوطن الصهيوني ثم جعلوها اللغة الرسمية للدولة "[2]. ومن هنا يبقى السؤال الذي يطرحه اليهود الرافضون للصهيونية: " ما حكمة الاختيار إذا فسرت الصهيونية مفهوم (نهاية الأيام) على أنه اشتراك اليهودي بنصاب في مجتمع المساواة. وإذا تساوى مع الآخرين فما قيمة الاختيار؟ "[3].

---

(1) د. محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، (ص٢١).

(2) هدى عبد السميع حجازي: مرجع سابق، (ص ١٤٩).

(3) د. محمد خليفة حسن: الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، (ص ٢٦).

وتلك هي أهم الجماعات اليهودية الدينية المعارضة للصهيونية :

(أ) جماعة ناطورى كارتا[*](حراس المدينة) :

تعد ناطورى كارتا من أشهر الجماعات اليهودية التي تجاهر بعدائها الشديد للصهيونية والدولة . " وهى منظمة دولية تضم اليهود المتدينين في الولايات المتحدة وكل أنحاء العالم الذين يعارضون الصهيونية والدولة الصهيونية بشكل مبدئي لا مهادنة فيه ولا مساومة، وأكبر تجمع لهم في حي بروكلين في نيويورك وفي حي بناى براك في القدس ... وهى تدعو لإسقاط دولة إسرائيل وإقامة دولة فلسطينية في كل الأراضي الفلسطينية و تدويل القدس، وتعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية على أنها الممثل الوحيد و الشرعي للفلسطينيين "[1] .

" وتعد هذه الطائفة أن الصهيونية تمثل الخطيئة القاتلة ضد الرب ومصير اليهود، ويرون فيها نقيضًا كاملاً لليهودية الحقة ... وتقاطع الدولة الصهيونية ورموزها وشاراتها وأعيادها وثقافتها وتقاليدها، ويعدون التعاون مع الدولة نوعا من الضلال والكفر الديني، والمشاركة في الانتخابات عملاً وثنيًا ومساعدات الحكومة رشاوى لتغيير مواقفهم ... ويستخدم أعضاء (ناطورى كارتا) اللغة اليديشية[*] في معاملاتهم اليومية، ويقصرون استخدام العبرية على الصلاة والتعليم الديني ... ويمتنع أعضاء هذه الطائفة عن أداء الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي ... وترتبط هذه الطائفة بعلاقات ودية وطيبة مع السلطة الفلسطينية ويرفعون العلم الفلسطيني على مقرهم ... وينظرون لدولة إسرائيل باعتبارها

(*) ناطورى كارتا: كلمة آرامية تعنى (حراس المدينة). وقد اتخذت الجماعة هذه التسمية من قصة وردت في التلمود أتى فيها أن أحد الحاخامات أرسل اثنين من حوارييه لجماعات اليهود المقيمين في الأرض المقدسة ليرى ما إذا كانت لديهم معاهد لدراسة التوراة أم لا؟ ولكنهما لم يجدا لا معاهد ولا طلبة، فطلبا من أهل المدينة المقدسة أن يرسلوا لهما (الناطورى كارتا) أو (نواطير) أي (حراس المدينة)، فأتوا لهما برجال الشرطة. وبعد عرض الأمر على الحاخام قال: (هؤلاء ليسوا حراس المدينة، وإنما هم مخربوها)، إذ إن حراس المدينة الحقيقيين هم هؤلاء الذين يجلسون في المعابد والمعاهد الدينية ليصلوا أو يدرسوا التوراة. (انظر: هدى عبد السميع حجازي: مرجع سابق، ص١٥٠).

(1) هدى عبد السميع حجازي: مرجع سابق، (ص ١٥٠ـ١٥١).

(*) اليديشية: هي لغة خاصة باليهود في شرق أوربا عبارة عن خليط من العبرية والآرامية والألمانية وبعض الكلمات السلافية، وتكتب بالخط الطليعي. نشأت في ألمانيا في القرن التاسع عشر وحملها معهم اليهود إلى بولندا وروسيا حينما هاجروا إلى هناك في القرن الخامس عشر المعيشي. (انظر: د. رشاد عبد الله الشامي: لمحات من الأدب الطليعي الحديث مع نماذج مترجمة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٤، ص٥٥).

ثمـرة الغطرسـة الآثمـة، لأنها قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الرب وإرادته بـإعلانهم إقامـة دولـة إسـرائيل بدلاً من انتظار (المسـيح المنتظر) المخول وحدة لإقامة دولة إسرائيل "[1].

(ب) جماعة أجودات يسرائيل (وحدة إسرائيل):

تأسـست عـام ١٩٢٢ في بولـندا، ولا يؤمن أتباعها إلا بالتوراة وتعاليمها لحل مشاكل الـيهود والـيهودية. وقد حاربوا بضراوة الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية. وبعد صـدور وعـد بلفور ١٩١٧ قدموا احتجاجًا إلى عصبة الأمم المتحدة ضد الهيمنة الصهيونية علـى اليهود في فلسطين ... ولكن الحركة الصهيونية نجحت مع هذا في استيعاب الاجودات بعـد عـام ١٩٤٨، ولـذا فهـذا الحـزب الديني لا يرفض الدولة الصهيونية بشكل مبدئي في الوقت الراهن وإنما يحاول أن يفرض عليها مبادئ الشريعة اليهودية. وأصبح أعضاؤها الآن مـن المتـشددين الـذين يـصرون على التوسع الصهيوني بعد أن انخرطوا في سلك الصهيونية وانسحبوا من صفوف المعارضة[2].

" وفي عـام ١٩٤٨ تحـول (أجـودات يـسرائيل) إلى حـزب إسـرائيلي يعمـل في إطـار مؤسـسات الدولـة، عبر موافقته على المشاركة في مجلس الدولة المؤقت. وقد تم ذلك، بعد منافـسات داخلـية طـويلة بـشأن الموقـف من الدولة اليهودية، وبعد التوصل جميعًا مع باقي الأحزاب الدينية، إلى اتفاق مع الأحزاب الصهيونية الأخرى، بشأن بعض الشروط المتعلقة بـتمكين التيـار الـيهودي الأرثـوذكس مـن الحفـاظ علـى أنماطـه الحياتية في إطار الـدولة الجديدة "[3].

(ج) الطائفة السامرية:

تعـد الطائفة السامرية إحدى الجماعات البشرية الصغيرة المغلقة التي تعتنق ديانة منبثقة عـن الـيهود ويعيش أغلب أعضائها في (جبل جرزيم) قرب نابلس وهم يعلنون أنهم أحفاد الـيهود الـذين ظلـوا في (السامرة) بعد الغزو الآشورى وترحيل اليهود إلى بابل في عام ٧٢١ ق. م، وهـم يقاطعون استخدام العبرية في الحياة اليومية لقدسيتها ويتحدثون العربية بلهجة

---

(1) أحمـد بهـاء الـدين شـعبان: حاخامـات وجنـرالات، الدين والدولـة في إسـرائيل، نوارة للترجمـة والنشر، القاهرة، ١٩٩٦، (ص١١١).

(2) هدى عبد السميع حجازي: مرجع سابق، (ص ١٥٠).

(3) انظـر: د. رشـاد عـبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد(١٨٦)، ١٩٩٤، (ص١٤٢ـ ١٤٣).

سكان المنطقة المحلية ... وهى تعارض اليهود والصهيونية في احتلالهم للأرض العربية، وإعلانهم القدس كعاصمة لدولتهم، ومن هنا جاء قرار الإدارة الفلسطينية بتخصيص مقعد لها في مجلس الحكم الذاتي لها [١].

(٢) الرفض الاندماجي للصهيونية:

ينطلق رفض اليهود الاندماجيين للصهيونية من " افتراض فلسفي ديني يشبه من بعض الوجوه افتراض اليهود الأرثوذكس، وهو أن اليهودية هي أساسًا انتماء ديني وليست قومي سياسي "[٢]، "وهو الرفض الذي ينطلق من الإيمان بأن اليهود أقلية دينية، تعتنق الديانة اليهودية، وأنهم مواطنون عاديون يتجه ولاؤهم إلى الدول التي يعيشون فيها، وأن اليهود ليس لهم تاريخ يهودي مستقل، وإنما هم - كأقلية - يشاركون في تواريخ الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها. واليهودية الإصلاحية هي التعبير الديني عن هذا الاتجاه. ويتألف هذا التيار من أعضاء الطبقات المتوسطة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الذين لم يجدوا صعوبة اقتصادية أو حضارية في الاندماج في مجتمعاتهم. وقد تسبب إعلان دولة إسرائيل وصداقتها مع العالم الغربي الرأسمالي في تساقط الجمعيات التي تعبر عن هذا الاتجاه، فصهاينة الخارج، هم في نهاية الأمر يهود مندمجون في مجتمعاتهم، يدينون بالولاء الفعلي لها، وإن كانوا يمارسون أحاسيس صهيونية (قومية) خارج حدود أوطانهم "[٣].

" وتاريخ معارضة الاندماجيين للصهيونية طويل ويعود إلى الأيام الأولى للحركة الصهيونية ولعل من أهم الشخصيات اليهودية المعادية للصهيونية السير ادوين مونتاجو، وهو الوزير اليهودي الوحيد في وزارة سير لويد جورج (التي أصدرت وعد بلفور). وقد عارض السير مونتاجو الفكرة الصهيونية معارضة قوية، وبيّن أن فلسطين قد يكون لها وضع خاص وأهمية خاصة بالنسبة لليهود، ولكنها لها وضع مماثل وأهمية مماثلة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين "[٤].

(٣) الرفض الاشتراكي للصهيونية:

ينظر اليهود الاشتراكيون إلى اليهود على أنهم طبقة كادحة مثلها مثل أية طبقة أخرى،

---

(١) انظر: أحمد بهاء الدين شعبان: حاخامات وجنرالات، الدين والدولة في إسرائيل، مرجع سابق، (ص ١١٨).

(٢) هدى عبد السميع حجازي: مرجع سابق، (ص ١٥١).

(٣) د. عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، (ص ٢٢٩).

(٤) هدى عبد السميع حجازي: مرجع سابق، (ص ١٥٣).

وأن حل المسألة اليهودية يستلزم حلاً لكل المشكلات الاجتماعية لطبقات المجتمع تغير من مفهوم الوجود المستقل لليهود والوجود المستقل للمسألة اليهودية .

" ويشترك الرفض الاشتراكي للصهيونية مع أشكال الرفض اليهودية المختلفة في كثير من المفاهيم . فعلى سبيل المثال يرى الاشتراكيون اليهود الرافضون للصهيونية أن اليهود لا يشكلون جماعة قومية مستقلة وإنما هم أقلية دينية وحسب ، وأن حل المسألة اليهودية بالتالي لا يكون عن طريق الهجرة إلى (الوطن القومي) وإنما يكون عن طريق ثورة اجتماعية شاملة تغير البناء الطبقي للمجتمع ، وتحل كل مشاكل الطبقات الكادحة والأقليات المضطهدة "[1] .

(٤) قومية الشتات (الدياسبورا):

يختلف دعاة قومية الشتات مع اليهود الاشتراكيين والاندماجيين والدينيين في رفضهم للاندماج كحل للمسألة اليهودية ، لأنهم يؤمنون بتفوق اليهود وتفردهم وهو ما يتفق مع الصهيونية . ولكن هناك ثمة اختلاف بين الحركة الصهيونية ودعاة قومية الشتات ، الذين يؤمنون بأهمية الشتات في حياة اليهود حيث إن اليهود يمثلون أقلية قومية وتلك الأقلية تكونت في الشتات .

" ومن أهم دعاة قومية الشتات ، المفكر اليهودي الأمريكي آى . ف . ستون ... وقد ألقى ستون نظرة شاملة على منجزات الشتات ، فوجد أن الفترات التي ازدهرت فيها حياة اليهود مرتبطة بحضارات ذات رؤية تعددية ، سواء في الفترة الهلينية (في الإسكندرية) ، أو في الفترة التي سادت فيها الحضارة العربية في الأندلس (وشمال أفريقيا) ، أو في العصر الحديث في غرب أوروبا والولايات المتحدة . وهو يرى أن ازدهار حياة اليهود في الشتات وإسهاماتهم الحضارية ظاهرة إيجابية جديرة بالحفاظ عليها وتدعيمها "[2] .

وثمة تقابل بين دعاة قومية الدياسبوا والحزب العمالي اليهودي الاشتراكي (البوند)[*] الذي تأسس في بولندا عام ١٨٩٧ كاتحاد عام للعمال اليهود في روسيا وبولندا وليتوانيا . وقد عارض (البوند) أية عقيدة وطنية يهودية ، وكان من المحاربين الأشداء في الشارع اليهودي ضد الصهيونية من منطلق أن حل القضية اليهودية في جميع أنحاء العالم سيأتي عن طريق انتصار الاشتراكية ، ونظر (البوند) إلى دولة إسرائيل على أنها خطر شديد على الشعب اليهودي في العالم . وقد استوعبت إسرائيل عددا من أعضاء (البوند) الذين اعترفوا

---

(١) هدى عبد السميع حجازي : مرجع سابق ، (ص ١٥٥) .

(٢) د. عبد الوهاب المسيري : الأيديولوجية الصهيونية ، مرجع سابق ، (ص ٢٣٢) .

(*) البوند : كلمة عبرية تعني (الرابطة) .

بالدولة ولكنهم رفضوا الاعتراف بالصهيونية كحل للقضية اليهودية في العالم ومازالوا يتمسكون باليديش كلغة لهم.

ثانيا: مأزق الصهيونية في الحروب الإسرائيلية والانتفاضة (انعكاس في الأدب العبري الإسرائيلي):

ارتبط الأدب العبري الحديث منذ ما قبل قيام دولة إسرائيل وحتى وقتنا هذا ارتباطًا وثيقًا وقويًا بالأحداث السياسية والاجتماعية التي مر بها اليهود عبر فترات عديدة. ولما كان الأدب، بصفة عامة، هو مرآة للمجتمع وهو المعبر الحقيقي عما يعتمل في النفس البشرية وما تمر به من أحاسيس مختلفة، فإن الأدب العبري الحديث كان هو الآخر خير معبر عما مرت به جموع اليهود منذ فترة "الهسكالاة" ومروراً بفترة ما يسمى " بالإحياء القومي اليهودي "(الصهيونية) ووصولاً إلى ما بعد قيام الدولة وحتى يومنا هذا.

وفي الوقت الذي كان فيه هذا الأدب معبرًا عن تلك الأحداث التي مرت بها جموع اليهود في شتى بلدان أوروبا الغربية والشرقية فقد كان أحيانًا شريكًا رئيسًا أيضًا في صنع تلك الأحداث، لاسيما أنه كان الجسر التي عبرت من خلاله حركة "الهسكالاه" ومن بعدها الصهيونية، للوصول إلى النفس اليهودية ومخاطبتها. ولاشك أنه قد تحققت من خلاله بعض الأهداف التي سعت إليها حركتا "الهسكالاه" والصهيونية، فكان " أدبًا دعائيًا " و" أدبًا مجندًا " في أحيان كثيرة و" أدبا ناقدًا و" أدبًا رافضًا " في أحيان أخرى.

" إن الصهيونية بمعنى (الحركة اليهودية باتجاه فلسطين) لم تولد في مؤتمر بازل في العشرين من أغسطس عام ١٨٩٧، ولكن هذا المؤتمر كان تتويجًا علنيًا لسلسلة من الضغوط لعب فيها (الأدب الصهيوني) دورًا أساسيًا. وإذا كان العقد الأخير من القرن التاسع عشر هو البداية الرسمية لولادة الصهيونية السياسية، فإن (الصهيونية الأدبية) كانت قد بدأت قبل ذلك وشكلت في الحقيقة مادة (الصهيونية الفكرية) التي كتب عنها هس وبنسكر وسوكولوف وأحاد هاعام وهرتسل وغيرهم "[1].

ولكي ندرك التطور الذي طرأ على علاقة هذا الأدب بالصهيونية كفكرة وكحركة، فعلينا أن ندقق النظر في المراحل المختلفة التي مر بها هذا التطور للوقوف على أسباب ثبات هذه العلاقة وتغيرها، التي شكلت الحروب التي خاضتها إسرائيل منذ قيام الدولة، علامة فاصلة زمنيًا بين مرحلة وأخرى من مراحل تطور علاقة هذا الأدب بالحركة الصهيونية، بحيث أصبح هناك ما يعرف بأدب حرب ١٩٤٨، وأدب حرب ١٩٦٧، وأدب حرب ١٩٧٣ وانسحب هذا الأمر على ميادين أخرى كالتعليم والاقتصاد والمسرح والتطورات الاجتماعية الإسرائيلية الأخرى.

---

(1) غسان كنفاني: في الأدب الصهيوني، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٧٨، ط ٢، (ص ٣٥).

ومـن الأهمـية أيضًا أن نتعرف على الخريطة الأدبية في إسرائيل قبل التطرق إلى مراحل التطور الـتي صاحبت الأدب العبري الحديث والمعاصر بعلاقته بالصهيونية، حيث يقسمها الناقد الإسرائيلي جرشون شاكيد إلى ثلاثة أجيال:

الجيل الأول: ويمثله أدباء من مواليد العقد الأول والثاني من القرن العشرين، وينحدر هـؤلاء الأدباء مـن آباء هاجروا إلى فلسطين ضمن موجتي الهجرة الأولى والثانية. وكانت التجارب الاجتماعية التي صاغت هذا الجيل هي ذكرى هجرة الآباء والحرب العالمية الثانية وحرب ١٩٤٨. وهـم أقرب ما يكون إلى الأيديولوجية الصهيونية. وينتمي إلى هذا الجيل على سبيل المثال (سـاميخ يـزهار، وأهـارون مـيجد، وموشـيه شامير، وناتان شاحام، وحانوخ بارطوف، وبنيامين تموز، وغيرهم من الأدباء).

الجيل الثاني: ويمثله أدباء من مواليد الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. وهـم الأدباء الـذين ولـدوا في فلسطين، وهـناك مـن يطلـق علـيهم(جيل البلد) أو جيل البالماح(*). وقـد أثـرت في هذا الجيل حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٥٦، وينتمي إلى هذا الجيل على سبيل المثال (بنحاس ساديه، ودافيد شاحار، أ. ب. يهوشواع، وعاموس عوز، ويهوشـواع كـناز، وعماليا كاهانا كرمون، ويتسحاق أورباز، ويورام كانيوك، ويتسحاق بن نير، وغيرهم من الأدباء).

الجـيل الثالث: ويمثله أدباء من مواليد الخمسينيات والستينيات. وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ مـن الـتجارب التكوينـية لهـذا الجـيل، بالإضـافة إلى حـرب لبـنان والانتفاضـة الفلسطينية. ويتميز هذا الجيل بالتحرر من الأيديولوجيات والتركيز على الفرد. وينتمي إلى هـذا الجـيل مـن الأدبــاء (دافـيد جـروسمان، ومئير شاليف، وحانا بت شاحار، وأورلى كاستـل بلوم، وغيرهم).

وعلـى هـذا الأسـاس يمكـن الوقـوف علـى تطـور هذه العلاقة التي جمعت بين الأدب العبري الحديث/ المعاصر والصهيونية عبر هذه المراحل:

(١) مرحلة ما بعد الهسكالاه (الحركة القومية اليهودية):

سار الأدب العبري الحديث في خط متواز جنبا إلى جنب مع الأحداث التاريخية التي مر

(*) البالماح: هي اختصار الكلمة العبرية " بلوجوت ماحتس "(سرايا الصاعـقة)، وقد تكـــون في عام (١٩٤١) وارتـبط بحـركة " الكيـبوتس " وحـزب " المابـام ". وكان يتميز أفراد هذه القوة العسكرية اليهودية بالتمتع بقـدر كبير من التثقيف السكاني الذي يركز على مبادئ الصهيونية العالمية. (انظر: د. عبد الوهـاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص٩٧).

بها اليهود على مدار عقود عديدة منذ القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا. وإذا كان هذا الأدب قد حمل على عاتقه مهمة تنوير العقل اليهودي إبان عصر " الهسكالاه "، وقام بدور فاعل في هذا المجال حيث أسهم الأدباء العبريون في نقل الحضارة الأوربية واستلهامها، وأضاءوا حارات اليهود في الجيتو بنشر العلوم المختلفة، فقد قاموا بدورهم أيضًا خلال فترة ما يسمى بـ" الإحياء القومي اليهودي "(الصهيونية)، لاسيما وقد تحول معظم أدباء " الهسكالاه " إلى القومية اليهودية، حيث ساقتهم نداءات " الأدب المجند " ونادوا بحياة قومية ذات سيادة، وذلك بعد الانتكاسة الكبرى لحركة التنوير اليهوديه (الهسكالاه).

وقد لعبت الهسكالاه في شرق أوروبا في إذكاء روح التطلع إلى فلسطين عن طريق:

(أ) اتخاذ فريق كبير من الأدباء اليهود الروس من دعاة التنوير اليهودي اللغة العبرية كوسيلة من أجل الإحياء الثقافي اليهودي في روسيا.

(ب) تناول موضوعات في قصائدهم (حيث كان الشعر هو الغالب في كتابات هؤلاء الأدباء، باستثناء روايات أبراهام مابو) ترتبط بفلسطين وبالتاريخ اليهودي ومستقاة من المقرا. ونذكر في هذا المجال أشعار ميخا ليفنسون (ميخال) ويهودا ليف جوردون، على وجه الخصوص ورواية " محبة صهيون " لمابو"، التي كان لها أبعد الأثر في إيقاظ روح الارتباط بفلسطين لدى قطاعات عريضة من اليهود قراء العبرية في ذلك الوقت.

وعندما أعلن عن فشل حركة التنوير اليهودية في تحقيق أهدافها الرئيسية في الاندماج في الشعوب التي يعيشون بينها والتشبه أو التمثل بأبناء هذه الشعوب في الزي والسلوك والمهن المنتجة، في أعقاب حادثة اغتيال القيصر ألكسندر الأول في مارس ١٨٨١ واتهام اليهود باغتياله، وقيام موجة من الاضطهادات والمذابح ضد اليهود في روسيا، تحول معظم " المسكيليم "(المتنورين اليهود) إلى الطرح الصهيوني وبدءوا يبشرون به بين اليهود، واستخدموا الأدب كوسيلة فعالة من أجل تحقيق الهدف الجديد، ومن هنا كانت الصهيونية الأدبية أسبق من الصهيونية السياسية التي قامت على يد تيودور زئيف هرتسل بعد ذلك في عام ١٨٩٧ عام انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول.

ولم يكن معظم الأدباء العبريين في منأى عن الجهود السياسية التي قام بها الزعماء الصهيونيون في ذلك الوقت؛ فقد أعجبتهم فكرة (الاتجاه نحو فلسطين) وفكرة القومية اليهودية الخالصة، وأخذوا على عاتقهم مهمة تعليق قلوب اليهود بأرض فلسطين، أرض الميعاد التي تدر لبنًا وعسلاً، فأحيوا ذكريات الماضي اليهودي، وتحدثوا باسم الدين اليهودي تارة، وباسم أرض الأجداد والتاريخ تارة أخرى.

وقد عبر ليلينبلوم عن ذلك في مقاله (إحياء إسرائيل على أرض آبائه) بقوله: " علينا الكف عن الحياة كأغراب وعلينا العيش حياة قومية ذات سيادة ككل الشعوب. ويمكن أن تصبح الفكرة القومية، التي هي مصدر كل ضوائقنا، - بل ينبغي - أن تكون بمثابة منبع الخلاص. وعلينا أن نحاول جاهدين العودة إلى كوننا قومية منظمة، وذلك بدلا من كوننا يتامى في كل العالم "[1].

وهكذا، بدأت بوادر الاتجاه نحو إنشاء كيان يهودي مستقل، أخذت الحركة القومية اليهودية على عاتقها مسألة بلورته لتجنح في النهاية نحو دفع جموع اليهود في الشتات إلى فلسطين لإنشاء وطن قومي لهم هناك وإحياء ماضيهم ليقوم الأدب العبري في تلك الفترة بدور كبير وفاعل في مخاطبة جموع اليهود في شتى البلاد وتحويل أنظارهم صوب فلسطين. " وكان بيرتس سمولنسكن (١٨٤٢ - ١٨٨٥) هو أول من أسس هذه الحركة أدبيًا؛ حيث أوضح في أواخر الستينيات وخلال السبعينيات من القرن التاسع عشر خطورة التطرف في "الهسكالاه"[2] حيث كتب يقول: " من الحماقة أن يعتقد اليهود في أن "الهسكالاه" هي نور لهم وسوف يصبحون أكثر قوة من خلالها وأنها ستصبح مفخرة لهم "[3] " وفي خلال هذه الفترة بدأ الأدباء اليهود يؤمنون بالفكرة القومية ويروجون لها في الأروقة اليهودية، وأخذت هذه الحركة تتبلور وتعرض أهدافها بوضوح، بعد أن أصدر موشيه هس (١٨١٢ - ١٨٧٥) كتابه الشهير (روما وبيت المقدس) الذي دعا فيه إلى ضرورة تحول اليهود بكل كيانهم وجوانحهم نحو بيت المقدس لإحياء ماضيهم القديم على هذه الأرض "[4].

وفي حقيقة الأمر، لعب الأدب العبري الحديث في ذلك الوقت دورًا مهمًا في نقل أفكار هذه الحركة التي حملها على أكتافه إلى حيز الوجود، حيث قام الأدباء العبريون بدورهم في تمهيد الطريق للأفكار الصهيونية فأثاروا حمية اليهود عن طريق كتاباتهم وأججوا الشعور الديني والتاريخي لليهود تجاه فلسطين. ويمكن القول، إنه لولا جهود هؤلاء الأدباء، وخصوصا الشعراء، لما نجحت الصهيونية في تحقيق هدفها الأسمى، وهو قيام كيان يهودي مستقل في فلسطين، حيث هزت كتاباتهم بعنف أركان التجمعات اليهودية في شتى البلاد التي كانوا يعيشون بها، وداعبت أحاسيسهم الدينية وأحيت ذكرى الآباء الأولين ومهدت الأرض لكي تنثر فيها بذور الدعوة إلى الصهيونية والاتجاه نحو فلسطين.

---

(١) (نقلاً عن د. سعيد عبد السلام: الفكر اليهودي والبحث عن الجذور، دراسة في الأدب العبري الحديث، مكتبة الأهرام، القاهرة ١٩٩٩، (ص ٥١).

(٢) انظر: د. أحمد حماد: الأدب العبري الحديث، مرجع سابق، (ص ١٦، ١٧).

(٣) شلومو أفنيرى: " هارعايون هاتسيونى لجفاناف " (الفكرة الصهيونية بأنواعها)، دار نشر عم عوفيد، تل أبيب، ١٩٨٥، (ص ٧٦).

(٤) د. أحمد حماد: مرجع سابق، (ص ١٦، ١٧).

وقد تحقق هذا بإكثار الأدباء القوميين من الكتابة حول " معرفة الطبيعة في فلسطين، ومعرفة طبيعة البلاد، وإدراك الذكرى التاريخية الأثرية التي تكمن في هذه البلاد. وكذلك معرفة اللغة العبرية كلغة قومية، لغة الوطن الأبدي، ومن خلال معرفة المقرا كتعبير حاضر للذكرى التاريخية، الذي يربط الشعب بالحاضر تجاه البلاد الحقيقية، والإعلان المستقل للاستيطان في فلسطين عن طريق فلاحة الأرض وبناء مجتمع جديد والدفاع عنه، وكذلك مجموعة الطقوس الدينية التي شكلت الهوية المستقلة للصهيوني الذي يحقق فريضة الاحتفال بمواسم الطبيعة وجمع محاصيل الأرض "[1].

وهكذا هرع الأدباء العبريون في تلك الفترة، الذين آمنوا بفكرة ما يسمى بالقومية اليهودية، إلى تجنيد أقلامهم لخدمة هذه الحركة فتغنوا في كتاباتهم بأرض فلسطين. " وفي هذه المرحلة - مرحلة القومية - التي تبدأ من سنة ١٨٨١ وتستمر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أسست دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨، صارت الغلبة لدعاة القومية فأثاروا الحنين إلى الوطن الموعود، وتشجيع الهجرة إليه، والتأكيد على (الوحدة القومية لليهود) أينما كانوا، ومحاربة التيارات غير المماثلة للقومية أو المناوئة لها مثل التيار الديني المحافظ، وتيار الاندماج وتيار الاشتراكية العالمية. لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع، هي مرحلة تكثيف الجهود على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للسيطرة بشكل عملي على فلسطين، وفي مقدمة تلك الجهود تقوية اليشوف (الاستيطان اليهودي) في فلسطين "[2].

وهكذا، انطلق الأدب العبري الحديث نحو تحقيق الهدف ليعج بالنصوص التي تربط شتات اليهود بأرض فلسطين، ويقول كلاوزنر في هذا الصدد: " إن الأدب العبري الحديث نفسه عاد آنذاك للازدهار من جديد في (أرضه التاريخية) التي ولد فيها قبل آلاف السنين. فالأدب العبري الحديث ما هو إلا الحلقة الأخيرة في السلسلة الأدبية للثلاثة آلاف سنة الأخيرة "[3].

وقد حمل هذا الأدب أو أدب جيل الإحياء كما يطلقون عليه كل من " يهودا ليف جوردون وأبراهام مابو، وبيرتس سمولنسكين، ومندلي موخير سفاريم، وحاييم نحمان بياليك، وشاؤول تشرنحوفسكي، وآحاد هاعام، وميخا يوسف يرديشفسكي، ويوسف

---

(١) أليعازر شفايد: " زهوت يهوديت تسيونيت " (الهوية اليهودية الصهيونية)، مجلة " موزنايم "، ٦ أبريل ١٩٩٧، إسرائيل، (ص١٦).

(٢) انظر د. زين العابدين محمود: الأدب العبري الحديث، السمات والخواطر، القاهرة، ١٩٩٧، (ص ٨٦).

(٣) يوسف كلاوزنر: الموجز في تاريخ الأدب العبري الحديث ١٧٨١ - ١٩٣٩، تعريب: اسحق شموش، عكا، ١٩٨٦، (ص ١٥٦).

حاييم برينر، وجنسين، وحاييم هزاز، وأدب الهجرة الثالثة، خصوصا أبراهام شلونسكي، وناتان ألترمان، وليئة جولدبرج وعجنون. وفي كتاباتهم دعوا إلى (رفض الشتات) والاتجاه نحو فلسطين أرض الأجداد "[1].

" وإذا كان سمولنسكين قد أدرك أن فكرة الهجرة إلى فلسطين هي فكرة محفوفة بالمخاطر ضد معظم اليهود، دون هؤلاء الذين يتطلعون للدفن فيها فإنه أدرك أيضًا في السنوات الأخيرة أنه من الممكن إقامة مستوطنات هناك، وبهذا الأسلوب يمكن مغازلة اليهود بأن الأرض مستعدة لاستقبال سكان كثيرين تستطيع أن تستوعبهم "[2].

وعلى سبيل المثال، تغنى بياليك شاعر القومية اليهودية أو أمير الشعراء العبريين -كما يطلقون عليه- بأرض فلسطين [3] ويبرز أقوى تعبير عن قوميته اليهودية من خلال قصيدته (إلى العصفور)، حيث جعل بياليك العصفور في تلك القصيدة رسولاً يحكى له عن أرض أحلامه. وفي هذه القصيدة يحسد العصفور على قدرته على التنقل والحركة بحرية والذهاب إلى الأراضي المقدسة ويطلب منه أن يحكى له عن أمجاد الأرض المقدسة التي يشتاق إليها، تلك الأرض التي يزدهر فيها الربيع الأبدي.

أما أبراهام مابو فقد كانت " رواياته مليئة بالحنين للعودة إلى فلسطين، وربما كان هذا هو السبب الذي جعل بعض نقاد الأدب العبري الحديث يقولون عنه إنه كان صهيونيًا قبل أن تظهر الصهيونية، وأن رواياته كانت تعبر عن أولى إرهاصات الإحياء والبعث القومي في الأدب العبري الحديث "[4]. وكانت أشهر الروايات التي كتبها ووصف فيها أرض فلسطين كجنة عدن هي رواية (محبة صهيون) ١٨٥٣.

. كما يبرز حاييم هزاز أهمية أن يصبح اليهودي صهيونيًا ويؤمن بمبادئ الصهيونية ومفاهيمها التي تدعو إلى الاستيطان في فلسطين في قصته (الموعظة) فهو يقول على لسان بطل القصة يودقه: " ... إن الصهيونية واليهودية ليستا شيئا واحدا، بل هما شيئان يختلف كل منهما عن الآخر، وربما أيضًا هما شيئان يكمن كل منهما في الآخر. وعلى أية حال إنهما ليسا على حد سواء. فالإنسان الذي لم يستطع أن يكون يهوديًا فإنه يصبح صهيونيًا "[5].

---

(١) أليعازر شفايد: "زهوت يهوديت تسيونيت" (الهوية اليهودية الصهيونية)، مرجع سابق، (ص١٨).

(٢) شلومو أفنيري: " هارعايون هاتسيوني لجفاناف" (الفكرة الصهيونية بأنواعها)، (ص٧٦).

(٣) أنظر: دائرة المعارف العبرية، دار نشر حفراه، القدس، (ص ٦٨٨ : ٦٨٩).

(٤) د. أحمد حماد: مرجع سابق، (ص ١٣٨).

(٥) ايهود بن عيزر: " إين شأنانيم بتسيون، سيحوت عل محير هاتسيونوت" (أحاديث حول مردود الصهيونية)، دار نشر عم عوفيد، تل أبيب، ١٩٨٦، (ص١٦).

وفي روايته (ياعيش) " يشير هزاز إلى أهمية القدس في الوجدان اليهودي وأنه يأتي إليها اليهود من جميع أرجاء العالم لإقامة شعيرة استيطان (أرض إسرائيل) فهم يبنون بيوتا ويزرعون كرومًا ويتدفق عليهم المال من الأثرياء مجانًا من كل مكان من روسيا وبولندا وأمريكا وذلك لكي يقيموا فقط فريضة استيطان أرض فلسطين "[1].

ويعطي لنا زئيف يعابيتس في قصته (عيد الشجرة) ١٨٩٢ نموذجًا لليهودي الجديد القوى على أرض فلسطين. " ففي هذه القصة يصف الحياة في قرية (يهود) التي تقع بالقرب من (بيتح تكفاه) في ذلك الوقت. ويعابيتس الذي كان دينيًا وواحدًا من الأدباء العبريين الأوائل الذين وصفوا الحياة الجديدة في المستوطنات الأولى في فلسطين، يقدم لنا شخصية الصبي اليهودي الذي يعيش في فلسطين (نحمان يزرعائيلى) كنموذج لشخصية صبى إسرائيلي جديد قوى ونشيط، وهو يقابل بذلك شخصية اليهودي الجيتوى (الشتاتى) "[2].

وعمد بعض الأدباء إلى إبراز بعض رموز التاريخ اليهودي القديم في فلسطين في أعمالهم الأدبية، وذلك في إشارة منهم إلى أن اليهود سكنوا تلك البقعة من الأرض منذ العصر التوراتى، كما فعل مندلى موخير سفاريم في قصته (رحلات بنيامين الثالث) التي تحدث فيها عن نهر الأردن ومغارة المكفيلة وقبر راحيل وحائط المبكى[3].

كما ربط شموئيل يوسف عجنون بين فلسطين وتاريخ اليهود، ففي روايته (أمس البعيد) التي تعد أكبر رواياته؛ إذ تقع في ستمائة صفحة، يصف المصاعب الحياتية للتأقلم في فلسطين في بداية القرن العشرين. ومع هذا فهو يدعو كل اليهود للفوز بالسكن في (أرض إسرائيل) التي هي مصدر أساسي لليهود[4].

وفي هذه الرواية يدعو عجنون زعماء الصهيونية للتحرك نحو القيام بنشاط عملي حقيقي في حقل الاستيطان اليهودي في فلسطين، " حيث تنتقد الرواية الزعماء الصهيونيين غير العمليين الذين لا هم لهم سوى إلقاء الخطب الرنانة دون القيام بأي نشاط فعلى من أجل تجسيد فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين ... إن النظرة النقدية إلى هؤلاء الزعماء ليست مطلقة في الرواية، بل هي مرهونة تقدر بقدر ما يقدمه هؤلاء الزعماء للصهيونية،

---

(1) انظر: د. سعيد عبد السلام: الفكر اليهودي والبحث عن الجذور، مرجع سابق، (ص ٢٤، ٢٥).

(2) ايهود بن عيزر: " إين شأنانيم بتسيون، سيحوت عل محير هاتسيونوت " (أحاديث حول مردود الصهيونية)، مرجع سابق، (ص١٦، ١٧).

(3) انظر: د. سعيد عبد السلام: الفكر اليهودي والبحث عن الجذور، مرجع سابق، (ص ١٧، ١٨).

(4) د. رشاد عبد الله الشامي: لمحات من الأدب العبري الحديث مع نماذج مترجمة، مرجع سابق، (ص ٥٦ : ٦٠).

ومؤسساتهم من إسهامات من أجل تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين والاستيطان بمضمونه اليهودي الصهيوني، فكلما تراجعوا عن هذين الهدفين زادت وتيرة الانتقادات "[1].

وهكذا حمل الأدب العبري الحديث الفكرة الصهيونية على أكتافه وعبر بها إلى حيز الوجود ليحققا معًا حلمهما في إنشاء كيان يهودي مستقل، حتى نجحا، في النهاية، في إقامة دولة إسرائيل كدولة يتجمع فيها يهود الشتات، ولعب الأدب العبري الحديث دوراً فاعلاً في إرساء دعائم هذا الكيان اليهودي، الذي لولاه لتغير وجه التاريخ اليهودي في العصر الحديث على الإطلاق، حيث يشير أهارون بن أور إلى أهمية هذه العلاقة التي جمعت بين هذا الأدب والفكرة الصهيونية بقوله: " كان الأدب العبري هو المصنع الذي أنتج الصهيونية بمفهومها الكامل، ومن خلاله تم صياغة المثل الصهيونية ... ولكن الصهيونية هي التي خلقت الظروف التي أحيت هذا الأدب وطورته بإبرازها لأهمية وجود أدب عبري يشبع الحاجات الروحانية لليهود، وإن كانت المبادئ الصهيونية قد تجسدت في أي عمل أدبي كتب خلال تلك الفترة فإن هذا الأمر كان ميزة وليس عيبًا "[2].

وفي حقيقة الأمر، فإن العلاقة التي جمعت بين الأدب العبري الحديث والصهيونية كانت علاقة تكامل، حيث كان كل منهما يكمل الآخر، فالظروف التي خلقتها الصهيونية لهذا الأدب والتي تحدث عنها بن أور وأدت في النهاية إلى قيام دولة إسرائيل، لم تكن بالطبع إلا الظروف السياسية والاجتماعية التي خلقها رواد الحركة الصهيونية الذين استغلوا الأحداث السياسية التي مر بها اليهود لصالحهم ليكون للقدر اليهودي دوره في الدوافع والأهداف السياسية والقومية والتاريخية التي تم استغلالها والتأكيد عليها بصفة خاصة بعد اضطرابات روسيا عام ١٨٨١ وأحداث النازي [*] وقضية دريفوس [*] وهو ما يعلق عليه بن عيزر قائلاً: " إن الصهيونية ودولة إسرائيل استخدما

---

(١) د. عبد الوهاب وهب الله: الاستيطان اليهودي في الأدب الصهيوني، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٣، ط٢، (ص ١٥٣: ١٥٥).

(٢) أهارون بن أور: " تولدوت هاسفروت هاعفريت هاحداشاه " (تاريخ الأدب العبري الحديث)، دار نشر يزرعئيل، تل أبيب، (ص٦٠٧).

(*) أحداث النازي: يطلق على هذه الأحداث في الفكر الصهيوني " هاشوأه " (النكبة)، والتي أباد فيها النازيون بزعامة هتلر عدد من اليهود وغيرهم من الطوائف الأخرى في أفران الغاز. وحول هذه الأحداث يدور سجالاً واسعًا بين النقاد والمفكرين بشأن عدد هؤلاء اليهود الذين أبيدوا، والأسباب التي أدت إلى هذه الأحداث.

(*) قضية دريفوس: دريفوس هو ضابط يهودي فرنسي، تم اتهامه من قبل السلطات الفرنسية ببيع أسرار عسكرية فرنسية إلى ألمانيا، وتمت محاكمته في عام ١٨٩٤ وفي عام ١٨٩٩، وحكم عليه بالسجن المؤبد ونفيه إلى جزيرة العفاريت. (انظر: أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ٣٠٣).

القدر اليهودي وأحداث النازي كحجة حاسمة لتبرير حقيقة قيامهما أمام العالم وأمام أنفسهما، ونظرا إلى أنفسهم كجزء من (تاريخنا الذي صنعناه بأنفسنا، وبأيدينا وبقوتنا) أي على العكس تمامًا من الشتات واليهودية. وقد تم إدراك هذا التاريخ الفعلي لإقامة الدولة بمفاهيم علمانية تمامًا ... وقد كتب الناقد الإسرائيلي كورتسفيل في إحدى مقالاته أن (تلك هي نتيجة الطبيعية التي حلمت بها الصهيونية. ولم يكن هذا ذنب الجيل المعاصر إذا كانت الصهيونية قد اندهشت من تحقيق حلمها "[١] بقيام دولة لليهود.

أما بالنسبة لفلسطين أو (أرض إسرائيل) التي تغنى بها الأدباء العبريون آنذاك ونجحوا في تحويل أنظار شتات اليهود إليها بإبراز الادعاءات الصهيونية القائلة بأن اليهود ظلوا يتطلعون إليها على مر العصور فيقول أ. ب يهوشواع: " لقد بدأت الصهيونية تدلي بدلوها مع نهاية القرن التاسع عشر، في هذا الموضوع. ولم يكن هذا اشتياقًا جديدًا لفلسطين أو كراهية فجائية للشتات ... فعلى الرغم من أن أبواب فلسطين فتحت على مصراعيها بعد وعد بلفور وقدمت دولة عظمى مثل بريطانيا الدعم لإمكانية إقامة دولة يهودية في فلسطين، فمازال الشعب اليهودي لم يأت بعد إلى فلسطين. ولا تستطيع أية فطنة أو شروح مغالطة أن تنفى هذه الحقيقة المطلقة "[٢].

وهو أمر يؤكد عليه شلومو أفينيرى بقوله: " إن كل من يمعن النظر في تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة وتطورها على طول التاريخ ونزعة اليهود تجاه فلسطين، يستطيع أن يدرك هذه الظاهرة التي تبدو منذ النظرة الأولى كتناقض يستلزم التدقيق والتأمل "[٣].

(٢) مرحلة ما بعد قيام الدولة (١٩٤٨):

اختلف موقف الأدب العبري الإسرائيلي من الصهيونية بعد حرب ١٩٤٨ وقيام الدولة. "فإذا كانت السمة الغالبة للأدب العبري قبل حرب ١٩٤٨ هي سمة الأدب الفكري المجند، وهو الأدب الذي عبر عن جيل فترة (الهجرتين الثانية والثالثة)، وجيل "البالماح" (نسبة إلى وحدة عسكرية كان يطلق عليها اسم سرايا الصاعقة، اشترك في عملياتها العسكرية عدد صغير نسبيًا من أدباء هذه الفترة) عن طريق الالتزام بالبعد عن إبراز

---

(١) ايهود بن عيزر: " إين شأنانيم بتسيون، سيحوت عل محير هاتسيونوت "(أحاديث حول مردود الصهيونية)، مرجع سابق، (١٩).

(٢) أفراهام بيت يهوشواع: " بزخوت هانورماليوت، حاميش ماسوت بشئيلوت هاتسيونوت "(بفضل الطبيعية، خمس مقالات حول قضايا الصهيونية، دار نشر شوكن، القدس وتل أبيب، ١٩٨٤، (ص ٣٧، ٣٨).

(٣) شلومو آفنيرى: " شيئلوت حفراه اومدينيوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص١١).

أي نوع من التناقض بين الأيدلوجية الصهيونية، وبين تجربة الفرد في واقع الحياة، كما تميز كذلك بالسعي نحو خلق المبررات لكل القضايا التي واجهت الصهيونية سواء كان ذلك تبرير رفض الاندماج اليهودي في مجتمعات الشتات اليهودي بالتركيز على موجات العداء وكراهية اليهود، أو تبرير محاربة الانتداب البريطاني واغتصاب فلسطين من العرب "[1] فإن الموقف الأدبي من الصهيونية قد اختلف تمامًا بعد هذه الحرب " فبعد أن حطت حرب ١٩٤٨ أوزارها ونجحت التنظيمات والمؤسسات الصهيونية في توظيف الإمكانات الذاتية والخارجية المتاحة لها في إقامة الدولة، وراودت الإسرائيليين آمال العيش في أمان، وظنوا أن الجانب العربي قد ركن إلى ضعف وانهيار، وأنه قد أسلم للأمر الواقع وداعبت خيالهم تفاؤلية مفرطة في تثبيت أركان الدولة الوليدة من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتأكيد على المثل الصهيونية التي طالما روجوا لها "[2] لتشجيع الهجرات إلى فلسطين جنة عدن " فوجئ الجميع بما يثير الدهشة والتعجب، في أن التفاخر بالنصر لم يكن هو الموضوع الذي استخدم كإطار للإنتاج الأدبي شعرًا ونثرًا بعد حرب ١٩٤٨ . لقد كان الموضوع الرئيسي تقريبًا فيما عدا استثناءات الأدب الدعائي أو المجند هو تخطبات المحارب الصهيوني ومعاناته لأنه قد وضع بواسطة المخططات الصهيونية أمام اختيار صعب، إما أن يتراجع عن فكرته ويعود من حيث أتى، وإما أن يواصل ويخوض حربًا دموية إنسانًا ضد إنسان وشعبًا ضد شعب ... لذلك فقد أصبح العالم الداخلي والفردي والحساس لدى الجندي الإسرائيلي بكل صراعاته هو الموضوع الرئيسي لأدب حرب ١٩٤٨ "[3].

ويعلق الناقد الإسرائيلي يوسف أورن على هذه الحالة بقوله: " لقد أتت المجموعة الأولى من الأدباء، (أدباء جيل الدولة)، بحساب مع الأيديولوجية الصهيونية بعد حرب ١٩٤٨، ففي أثناء تعلمهم (في البيت، وفي حركة الشباب، وفي المدرسة) أدركوا من خلال الصهيونية أن الدولة سوف تقوم بطرق المصالحة المختلفة، وقد خاب أملهم وتحقق قيام الدولة بالحرب، وكانوا هم ضحاياها. وقاموا فيها بأعمال ظالمة. وقد استخدم هذا التناقض بين الوعد وما يتم تحقيقه كشهادة على ضعف الصهيونية. وهكذا، حدث أن حرب ١٩٤٨ التي تشير في التاريخ إلى البرهان الذي يحاول الإقناع على نجاح الصهيونية، يعرض في الأدب الذي يصف هذه الحرب كفشل أخلاقي لا مثيل له. لقد تحولت الصهيونية على يد أدباء ١٩٤٨ إلى اسم مضطهد وإلى شريعة معادية تستمد قوتها من الكلام والبلاغة

---

(1) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٢٧).

(2) د. زين العابدين محمود: الأدب العبري الحديث، السمات والخواطر، مرجع سابق، (ص١٩٣).

(3) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٢٧).

فقط، شريعة لم تتوافق أفكارها مع أفعالها . وهو الأمر الذي جعل أدباء (جيل البلد) يضع الصهيونية بين الأقواس للسخرية من عدم صمودها أمام أول اختبار لبلوغ الهدف وكانتقام للإحباط الذي تسببت فيه وأصاب جنود حرب ١٩٤٨ "[١] .

ويمكن القول، إن حرب ١٩٤٨ تعد بمثابة نقطة تحول كبيرة على المستوى الشخصي والإنساني بالنسبة لبعض الأدباء الإسرائيليين بعد قيام الدولة . فإذا كانت المرحلة الأدبية لدى بعض الأدباء قبل قيام الدولة قد تميزت بإظهار الانبهار بسحر الشرق وطبيعة العلاقة التي تربط بين اليهود والعرب الفلسطينيين في فلسطين، فإن هذه الحرب قد جعلت هؤلاء الأدباء الإسرائيليين في موقف حائر، حيث وجد هؤلاء أنفسهم متأرجحين ما بين المثل العليا والأخلاق الإنسانية وبين الواجب العسكري الذي يلزمهم بالقيام بأعمال القتل والطرد وسفك الدماء ضد المواطن العربي الذي عاش معهم جنبًا إلى جنب قبل قيام الدولة وبدء العمليات العسكرية .

ويضيف يوسف أورن معلقًا على موقف الأدباء الإسرائيليين من الصهيونية بعد هذه الحرب بقوله : " إن المؤلفات الأدبية التي كتبها (جيل في البلاد) حول حرب ١٩٤٨ لم تلق الضوء على الواقع التاريخي لهذه الحرب، بل إنها تطرقت إلى الاضطراب النفسي الذي واجههم خلالها، بعد أن تحولت إلى حرب احتلال بعد أن كانت حربًا دفاعية، وذلك لتثبيت حدود الدولة . وقد عبرت كتاباتهم عن الفارق ما بين التعليم الصهيوني الذي تشربوه في البيت، وفي المدرسة وفي حركة الشبيبة، وهو التعليم الذي تغلغل بهم في الرؤية المشتركة لكل رؤى الصهيونية وتعاليمها، التي تقول إن دولة اليهود سوف تقوم بطرق المصالحة المختلفة، وبين ما حدث لهم بالفعل في حرب ١٩٤٨ وهو ضرورة القتال في ساحات المعركة لكي تتحقق السيادة . وهنا ينبع فشل الصهيونية المتوقع في الاختبار الفعلي الأول لها "[٢] .

لقد كشفت هذه الحرب عن الوجه الحقيقي للصهيونية التي أولت اهتمامًا كبيرًا للأهداف الجماعية دون الاهتمام بالفرد ذاته، وفي أول موقعة حقيقية لها تحولت حرب ١٩٤٨ إلى فخ نفسي وإلى عقدة نفسية عميقة عبر عنها هؤلاء الأدباء الإسرائيليون والذين اشترك بعضهم في هذه الحرب، وأصبح الأدب الإسرائيلي وقتها هو ساحة القتال الرئيسية تبارى كل منهم في إبراز الهوة النفسية العميقة التي أحدثتها لهم الصهيونية وأجبرتهم فيها على الإمساك بالسيف في معركة الوجود بعد أن " أعلنت الصهيونية بعد عام ١٩٤٨ عن

---

(١) يوسف أورن : " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلي "(الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، دار نشر ياحد، إسرائيل، ١٩٩٠، (ص١٤) .

(٢) يوسف أورن : "رومان تسيوني رحمانا ليتسلان "(رواية صهيونية، حاشا لله)، مجلة موزنايم، أكتوبر ١٩٩٩، (ص٤٣) .

هدفها غير الأخلاقي في صراحة تامة وحددت هدفها في تفريغ فلسطين بالكامل من سكانها الفلسطينيين عن طريق طرد السكان بالقوة ونزع الملكيات وهدم المنازل وترويع المواطنين ودفعهم إلى ترك أرضهم، وبهذا فالصهيونية سرقت وطنًا بكامله وبقوة السلاح وقتلت وشردت النساء والأطفال، وهددت الحياة الآمنة لليهود في كل بلاد العالم "[1].

ومن هنا كانت لتلك الأحداث أثرها الكبير على الفرد الإسرائيلي الذي كان مجبرًا ومضطرًا لتنفيذ كل هذه الأعمال، حتى وإن كان يرفض كل هذا. وفي مرحلة الإفاقة، عندما أدرك هول ما فعله، كان هناك حساب عسير مع النفس، انعكس على الأدب الذي يعكس بدوره تجارب المجتمع، حيث " لم تكن حرب ١٩٤٨ مجرد موضوع مناسب للوصف والقص فحسب، بل كانت حدثًا غير إلى حد غير قليل من ملامح الشخصية المبدعة في الأدب الإسرائيلي، وعلى هذا الأساس، تتحدد أهمية حرب ١٩٤٨ في التأثير على الموضوعات التي تناولها الأدب العبري اعتبارًا من الخمسينيات. وعلى الجيل الإسرائيلي الذي شكلت الحرب بالنسبة له المحك الأول، الشخصي والعام. لاختيار القيم والمثاليات التي غذته بها الحركة الصهيونية "[2].

" هذا ولم يكن أمام أدباء ١٩٤٨ إلا التعبير عن إحباطهم من الصهيونية في كتاباتهم، وذلك بسبب التناقض بين الآمال التي وعدت بها والواقع الذي تكشف لهم في ١٩٤٨، وما تبعه من عدم إمكانية تحقيق السيادة، وترتب على ذلك استحالة الدفاع دون استخدام القوة "[3].

وقد كان الأديب الإسرائيلي ساميخ يزهار من أشهر الأدباء الإسرائيليين الذين عبروا عن تخبطات المحارب الصهيوني ومعاناته في هذه الحرب، لاسيما أنه كان واحدًا من الذين خاضوا غمار حرب (١٩٤٨) وشارك في عدد من العمليات الإرهابية الصهيونية التي كانت تستهدف طرد الفلسطينيين من قراهم في إطار مخطط الصهيونية للسيطرة على مزيد من الأراضي العربية وضمها إلى الدولة.

وكانت قصة (الأسير) من أصدق القصص التي عبرت عن هذه الورطة الأخلاقية التي

---

(١) د. محمد خليفة حسن: الوضع الأبدي للصهيونية، مجلة إبداع، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٦، ١٩٩٨ (ص٦٣).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، دراسة في أدب حرب ١٩٤٨. عند ساميخ يزهار، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٨، (ص ٢٠).

(٣) يوسف أورن: "رومان تسبوني رحمانا ليتسلان" (رواية صهيونية، حاشا لله)، مرجع سابق، (ص ٤٥).

وقع فيها بطل يزهار المعذب، حيث تصف هذه القصة إحدى العمليات العسكرية التي يقوم بها بعض الجنود الإسرائيليين في قرية عربية، وذلك في الفترة الأخيرة من حرب (١٩٤٨). وفي غمرة الخواء النفسي الذي عاش فيه الجنود الإسرائيليون، وفي محاولة لقتل الملل الذي أحاط بهم في هذه المهمة العسكرية التي لم يعرفوا متى ستنتهي، ينتهي الأمر بالقبض على راع عربي والتحقيق معه بتهمة التجسس، وهى فرصة لتبديد ذلك الجو الهادئ والممل.

ويتم وصف عملية صيد الأسير العربي البريء وكأنها عملية عسكرية عظيمة تتم ضد إحدى كتائب العدو، وليس ضد إنسان أعزل وبرئ، وهو ما يعكس سخرية القاص من هذا العمل الشرير[1]. وبعد التحقيق معه في مقر العملية العسكرية وركله ولكمه وضربه عدة مرات بصورة وحشية وحيوانية، يتم نقله إلى مقر القيادة العامة للتحقيق معه، وذلك بصحبة أحد الجنود الإسرائيليين. وهنا يقع ذلك الجندي الذي يقوم بدور القاص في تخبط ومعاناة ويتأرجح ما بين كونه إنسانًا يرى في ذلك الراعي البريء إنسانًا يعول زوجته وأبنائه، ولذا يجب الإفراج عنه وتركه إلى حال سبيله، وبين كونه جنديًا يعبر عن "النحن" وليس عن "الأنا"، ويظل طوال الطريق في التفكير ما بين تركه للأسير وبين الاحتفاظ به. وتنتهي القصة دون توصل ذلك الجندي إلى حل يرضى ضميره، ويبقى ممزقًا نفسيًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا في النهاية.

ويرى بن عيزر، أن هذه القصة هي خير معبر عن العجز الأخلاقي والتخبط والانكسار، حيث يقول: "إن قصة (الأسير) التي صدرت لأول مرة عام (١٩٤٨) تعد من أشهر قصص التخبط الأخلاقي، حيث وصفت بشدة تخبطات القاص الذي تعلم كيف يحترم حياة الإنسان والنفس والحرية والاستقلال، ولكنه عجز عن فعل شئ تجاه ما يقع أمامه، حيث ساروا لقتل راع عربي مسن وقع في الأسر . . . كما أن دائرة القاص لم تتقاطع أبدًا مع مصير الأسير، ولم تكن هناك علاقة شخصية بينهما. فالفرد العربي قائم فقط كمعضلة أخلاقية تقف أمام الجندي الإسرائيلي. ولكن القاص لم يكن مهيًا لاتخاذ أي موقف إيجابي تجاه مقتل الأسير أو تجاه طرده وإبعاده عن أسرته . . . وجاءت نهاية القصة نهاية مفتوحة، وموت الأسير غير موصوف بها، ولكن من المعقول أن قد حدث"[2].

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: "الأسير العربي" والعجز الإسرائيلي عن الحسم الأخلاقي في قصة (الأسير) لساميخ يزهار، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٤، (ص١٣).

(٢) ايهود بن عيزر: "بموليدت هاجعجوعيم هامنوجاديم، هاعرفي باسفروت هاعفريت" (في وطن الأشواق المتناقضة، العربي في الأدب العبري"، دار نشر زمورا بيتان، تل أبيب، ١٩٩٢، (ص٢٨).

كما يقول الناقد الإسرائيلي " م. دوبشاني " عن قصة (الأسير): "ربما كانت من أحسن قصص يزهار التي استنكر فيها بواسطة القصة الفنية العيوب النفسية والأخلاقية التي يقع فيها كل منتصر ومحتل، والتي ظهرت في الحرب. " ويرى " أ. ب. يافه " أن يزهار يصف في هذه القصة، وبصورة حرة للغاية، التفسخ الأخلاقي الذي يحدث للجنود في الخنادق، والحالة النفسية التي قد تحدث لهم بسبب حياتهم [1].

كما أن قصة (خربة خزاعة) لـ " ساميخ يزهار " تعد أيضًا من القصص التي عبرت عن ذلك التخبط وتلك المعاناة للمحارب الإسرائيلي. وتدور قصة (خربة خزاعة) حول صدور أمر لفصيلة من فصائل الجنود الإسرائيليين بالاستيلاء على قرية عربية تدعى "خربة خزاعة " وذلك بعد طرد سكانها العرب. وكان " يزهار " نفسه واحدًا من الجنود الذين ضمتهم هذه الفصيلة حيث قام بالاشتراك في هذه العملية. وكانت مهمة هذه الفصيلة تتلخص في جمع سكان هذه القرية، وشحنهم في العربات، ونقلهم خلف الخطوط اليهودية، ونسف المنازل وحرق البيوت، والقبض على الشباب المشبوهين.

وتبدأ عملية تنفيذ الأمر القتالي بقسوة، فتنسف المنازل، ويتم جمع السكان وشحنهم في السيارات. ويشترك البطل القاص في تنفيذ المهمة بقلب محطم ونفس ممزقة. دون أن يجرؤ على الاحتجاج لوقف الجريمة التي تتم على مشهد منه بأسلوب لا إنساني، بالرغم من احتجاجه الداخلي على مشاهد الإرهاب وسماعه لنحيب النساء وصراخ الأطفال [2].

ويبدى " يزهار " في قصته هذه اعتراضه على طرد العرب وتهجيرهم. إنه يكره التهجير، وأحشاؤه تتمزق وهو يرى موكب المهجّرين. ولكنه يتخاذل كما تخاذل في قصة (الأسير) فلا يقدم على عمل يمنع ذلك[3].

ويقول " عاموس عوز " عن هذه القصة معبرًا عن هذا الوضع :

"إن موضوع هذه القصة ليس هو الصراع الإسرائيلي العربي، ولكنه بكل خجل الصراع الإسرائيلي الإسرائيلي. وبدقة أكثر: الصراع بين أحد شبابنا المقاتلين وبين نفسه الممزقة "[4].

---

(1) د. رشاد عبد الله الشامي: " الأسير العربي " والعجز الإسرائيلي عن الحسم الأخلاقي، مرجع سابق، (ص٣٠).

(2) د. رشاد عبد الله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، (ص١٠٣).

(3) غانم مزعل: الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث (١٩٤٨-١٩٨٥)، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٦، (ص٦٣).

(4) عاموس عوز: " بأور هاتبخيليت هاعازاه "(في الضوء الأزرق الساطع)، دار نشر كيتر، إسرائيل، ١٩٩٠ (ص١٥٧).

وهكذا أوقعت الصهيونية بعض هؤلاء اليهود الذين خاضوا غمار هذه الحرب في معاناة نفسية عميقة، وصفها يزهار في هذه القصة على لسان القاص بالورطة:

(ما لنا وكل هذه الورطة) اندفعت هذه الكلمات من في بلهجة احتجاجية) [1].

وتعد رواية (أيام تسيكلاج) ١٩٥٨ أهم إنتاجات يزهار في تفنيد حرب ١٩٤٨ في الأدب القصصي الإسرائيلي وأوسعها، حيث نجد فيها كلمات الإحباط والفشل على لسان أبطالها وسخرية من نظريات الصهيونية. لقد عرضت فيها الأفكار الصهيونية كأقوال تهتم بالأوهام وكأقوال تؤكد على (ما هو غير قائم) وهو ما يعبر عنه كلام دنوس أحد أبطال الرواية بقوله: (لا تفقد الأمل عندما لا تجد ما ليس موجوداً).

وبعيداً عن دائرة الحرب التي تسببت في التمزق النفسي للشخصية الإسرائيلية، عبر أهارون ميجد - من زاوية أخرى - عن صراع شخصية الصبار مع الصهيونية، تلك الشخصية التي كانت هدفًا من الأهداف التي سعى إلى تحقيقها رواد الهجرتين الثانية والثالثة رغبة منهم في الابتعاد بأبنائهم عن صورة اليهودي القديم، يهودي الشتات، " وألقوا على كاهلها مهمة أن يحقق في حياته نبوءة الأجيال الصهيونية، حتى أصبح اصطلاح (الصبار) جزءاً من تلك المحاولة التي لجأت إليها الصهيونية لاصطناع لغة واصطلاحات خاصة بها تعبر عن واقع إسرائيلي محدد لا نظير له في غير إسرائيل من المجتمعات اليهودية. ومن هنا فإن تعبير (الصبار) إنما يخدم في نهاية الأمر هدفًا سياسيًا صهيونيًا، وهو الإيهام بأن الصهر الاجتماعي لمختلف الأصول الحضارية لليهود قد تحقق في إسرائيل، وتمثل في جيل جديد هو جيل (الصباريم) الذي تتلاشى فيه تلك الفروق الحضارية. وهو جيل يضم قطاعًا من الشباب الإسرائيلي يتميز بخصائص نفسية محددة متجانسة كالقوة الجسمانية وانتصاب القامة (على النحو الذي عكسه الأدب العبري في إسرائيل) " [2].

ولكن الرواد الصهيونيين تناسوا تمامًا الذات الإنسانية وهم يسعون لخلق نمط جديد لشخصية اليهودي. وهو ما عبر عنه أهارون ميجد في روايته (أنا وحدفا) ١٩٥٣. " ويكمن تميز ميجد، في تلك الرواية، في الرؤية اللاذعة التي شخصت الصورة التي حلت بأبناء جيل الصباريم مع قيام الدولة، أي بداية خلو هويتهم من مضامينها وتحولوا إلى صورة للهوية الصهيونية التي لا يوجد بينها وبين نمط الحياة والثقافة الحياتية الكثير. لقد فقد البطل في هذه الرواية (الأنا) الخاصة به، وفراره من (الكيبوتس) الذي مازال يعد بؤرة الإنجاز الاستيطاني

---

[1] ساميخ يزهار: " شبعاه سيبوريم " (سبع قصص)، دار نشر هاكيبوتس هامؤحد، القدس، ١٩٧١، (ص٨٣).

[2] د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٢٣).

الإجتماعي المستقل على أرض فلسطين، وذهابه إلى المدينة لم يكن فقط ابتعادًا عن القيم الصهيونية بقدر ما كان فرارًا من هويته إلى أين؟ إلى تغيب مطلق بجانب حضور الصهيونية القوية لزوجته (حدفا) "[1].

لقد حاول ميجد في الرواية أن يبين لنا أن اختفاء الهوية الذاتية للبطل أمام الهوية الصهيونية لم يكن بطبيعة الحال إلا تمزقًا نفسيًا جديدًا دلت الصهيونية بدلوها فيه في محاولتها لخلق شخصية قوية تضحى بحياتها من أجل الآخرين؛ حتى تتناسب مع مرحلة تثبيت أركان الدولة الوليدة القائمة على طرد الآخرين وسفك دمائهم، ولم تضع في اعتبارها طبيعة النفس البشرية وتمركزها حول ذاتها فباءت محاولاتها بالفشل. وهي أمور طرحها ميجد في هذه الرواية بصرف النظر عما إذا كان طرحه هذا يمثل نقدًا أو تأييدًا لهذه الشخصية التي رفضت الامتثال لقيم الصهيونية التي لا تتوافق مع الواقع الحياتي كما ينبغي أن يكون.

ويؤكد اليعازر شفايد على أن البطل في هذه الرواية قد تخلى عن بطولته وتحول في ظل هذه الظروف إلى لا بطل: " لقد تحول البطل في هذه الرواية دفعة واحدة إلى لا بطل عندما ترك مسرحه وذهب إلى مسرح آخر. وإذا كانت هذه النفسية تذوب بسهولة كبيرة إلى هذا الحد أمام قوة الهوية لزوجته حدفا، وإذا لم يبق منها بذهابه إلى المدينة سوى رمزها الخارجي الممزق، وهو قبعة (التمبل[*]) والسروال القصير، فإنه يتضح لنا أن هذه الهوية منذ البداية لم تكن أكثر من واقع شخصي متقوقع داخل هذا الرداء الخارجي، وأنه منذ البداية لم تكن هذه الهوية إلا هوية ساحقة لجماعة وحدّها زيها الطليعي والقتالي ... ولكنهم اختفوا خلف هوية هذه الجماعة التي تفتقر إلى النفسية الفردية العادية. لقد كشفت هذه الحقيقة المؤلمة حينما جاء وقت لم يثر فيه كل هذا احترامًا، بل سخرية. إنها جماعة في طريقها إلى التحلل والتفسخ "[2].

وهكذا عبر ميجد في هذه الرواية عن سبب ضعف الهوية الصهيونية لدى الشخصية الصبارية. ولماذا لم تصل إلى حد الامتصاص والذوبان. فقد تركت الساحة في أول اختبار فعلى لها، ونفضت عنها قيود هذه الجماعة المقاتلة التي تؤمن بقيم الصهيونية فقط وتطمس ذاتها.

وفي إطار البحث من جديد عن هوية للفرد الإسرائيلي كتب موشيه شامير روايته

([1]) أنظر: أليعازر شفايد: " زهوت يهوديت تسيونيت " (الهوية اليهودية الصهيونية)، مرجع سابق، (ص ٢٠).

([*]) تمبل: هي كلمة عامية عبرية تطلق على غطاء الرأس المميز للشخصية الإسرائيلية " الصبار "، وهى من الكلمة العامية الإنجليزية " دومبل ".

([2]) أليعازر شفايد: " زهوت يهوديت تسيونيت " (الهوية اليهودية الصهيونية)، مرجع سابق، (ص ٢٠).

(لكونك عاريا) ١٩٥٩ . وفي هذه الرواية يقوم البطل موشيه بتحطيم الألواح (إشارة إلى ثورة موسى وتحطيمه لألواح الوصايا العشر) الخاصة بالحركة الصهيونية الاشتراكية ويثور ضد عيمك الأب الروحي لهذه الحركة . ويقوم موشيه بكتابة مسرحية يعبر فيها عن موت الأبناء قربانًا على مذبح الصهيونية ، ويشعر بأن إسرائيل قد بناها الرواد الصهيونيون (الآباء) على جسد (الأبناء) ، وهو موضوع المسرحية التي كتبها موشيه بطل الرواية .

لقد عبرت هذه الرواية عن صراع آخر يتمثل في الفجوة العميقة بين الآباء والأبناء هؤلاء الآباء الذين سعوا إلى تحقيق هدفهم على حساب أبنائهم ودفعوا بهم إلى هوة عميقة ومظلمة . " إنها رواية تشتمل ، دون شك ، على إرهاصات الأزمة التي حدثت في الستينيات في المجتمع الإسرائيلي ، تلك الأزمة التي دفعت بالأدب الإسرائيلي للبحث عن هوية الفرد الإسرائيلي من جديد ، وبحث موقفه وارتباطه بالقيم الصهيونية التي أصبحت محل مناقشة وشك . لقد فتح (تحطيم الألواح) إمكانات جديدة ومجالات جديدة أمام الأدب "[1] للتنقيب في الذات الإنسانية والبحث لها عن مخرج من تلك الأزمة الوجودية ، والبحث لها عن هوية ترعى فيها الجانب الذاتي والشخصي .

" وبذلك يلتقي أبطال شامير مع الأبطال المتخبطين والمتألمين ليزهار ... لقد سعى شامير إلى إدراك العمق اليهودي الذي كان خافيًا عن أبطاله من خلف صهيونيتهم ، ولاشك أنه سعى أيضًا إلى المواجهة ليس فقط مع الصهيونية الكامنة في الثقافة اليهودية ، بل مع النزاعات الفكرية التي تشعبت حولها بسبب هويتها العلمانية التي أبعدت الهوية الروحية الدينية عن الفرد من أجل الهوية الصهيونية "[2] .

" ومن هنا فإذا جاز لنا القول ، بأن أدب ١٩٤٨ قد ولد ، بداية ، في ظروف صاغته في إطار أدب فكرى مجند ، وهو ما يسمى بأدب (النحن) ، إلا أنه ما لبث أن أخذ يلتمس طريقة نحو (الأنا) ليعبر عن الفرد وصراعاته وتخبطاته في مواجهة التناقضات التي يعانيها . وما أن وصل إلى (الأنا) حتى عاد كتابه وتساءلوا عن الصلة بينهم وبين (النحن) وعن حق الوجود الذي يمكن (للأنا) أن تمارسه دون ارتباط بالواقع الاجتماعي أيا كان . وهكذا تصارع هذا الأدب مع نفسه ، وقام جيل جديد من القصاصين يحاول أن يقطع الرابطة بين (الأنا) والمجتمع ، وجعل (الأنا) في مركز الوجود ، وكان منهم من حاول أن يخلص الأبطال من أي

---

(١) د . رشاد عبد الله الشامي : عجز النصر ، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧ ، مرجع سابق ، (ص ٣٣) .

(٢) أليعازر شفايد : " زهوت يهوديت تسيونيت " (الهوية اليهودية الصهيونية) ، مرجع سابق ، (ص ٢٣) .

ارتباطات اجتماعية وسعى إلى (الأنا) الخالصة، وكان منهم من كان عالمهم اكثر توازنًا . إنه صـــراع نـتج في أعــقاب أزمة حــرب ١٩٤٨ من أجل التخلي عن (النحن) والسعي نحو (الأنا) "[١].

(٣) مرحلة ما بعد حرب يونيو ١٩٦٧:

جاءت حرب يونيو ١٩٦٧ التي خاضتها إسرائيل ضد ثلاث دول عربية (مصر ـ سوريا ـ الأردن)، واحتلت على أثرها أجزاء عديدة من أراضى هذه البلاد، لتمثل محنة جديدة من المحـن التي أثقلت كاهل النفسية الإسرائيلية . فعلى الرغم من الانتصار الكبير الذي حققته العـسكرية الإسـرائيلية في هـذه الحرب، فإنها أضافت أزمة جديدة من الأزمات التي تتفجر بعد كل حرب تخوضها إسرائيل .

" لقد تمخضت حرب يونيو ١٩٦٧ عن عدة اتجاهات طفت على سطح الحياة السياسية في إسـرائيل، تجـاه مـا أسـفرت عـنه هـذه الحـرب من نتائج التوسع الإقليمي الإسرائيلي، باحتلال أراض عربية تبلغ مساحتها أكثر من ثلاثة أضعاف حجم دولة إسرائيل "[٢]:

(١) اتجـاه رأى أن الأراضـي الـتي تم احـتلالها هي جزء من (أرض إسرائيل الكبرى) وفق الحدود الواردة في الوعد الإلهي في التوراة واعتبرت هذه الأراضي محررة .

(٢) اتجـاه حـاول اسـتغلال ميكانيزم الصراع العبري الإسرائيلي بشأن فرض الأمر الواقع . وأنـه مع التسويف وتغيير معالم المناطق المحتلة والسعي لتهويدها سوف يعترف العالم بأن هذه الأراضي هي جزء من دولة إسرائيل .

(٣) اتجـاه معـتدل رأى في احتلال هذه المساحات من البلاد العربية ورقة للمساومة من أجل السلام واعتبر هذه المناطق المحتلة هي مناطق محتفظ بها .

(٤) اتجـاه رفـض مـبدأ احتلال أراضي الغير بالقوة ورفض الاعتراف بأن هذه الأراضي هي جـزء مـن (أرض إسـرائيل الكـبرى) واعتـبر أن إسـرائيل تحـولت إلى دولـة احـتلال اسـتعمارية بمـا يتـناقض مـع أخلاقـيات الصهيونية وأطلق على هذه الأراضي المناطق المحتلة .

وكمـا اخـتلفت ردود أفعـال هـذه الحرب على الساحة السياسية، كان هو الحال أيضًا على الساحة الأدبية، لتمثل هذه الحرب منعطفًا جديدًا في موقف الأدب العبري الإسرائيلي

---

[١] د. رشاد عبد الله الشامي : عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٢٨) .
[٢] انظر د. رشاد عبد الله الشامي : إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٧٩) .

من الصهيونية، حيث تباينت ردود أفعال هذه الحرب لدى الأدباء الإسرائيليين، ليعبر بعضهم عن دائرة الحرب المفرغة التي تمثل محنة جديدة زادت وطأتها بعد هذه الحرب من ناحية، وليعبر بعضهم الآخر عن الانتصار والفخر والغطرسة الإسرائيلية من ناحية أخرى. "حيث كان أدبهم يعبر عن أدب القوة والغرور والغطرسة والفخر والحماس وعدم الاكتراث بالآخرين، ويجسد الشخصية الإسرائيلية القوية المنتصرة التي لا تعرف غير القوة وسيلة للتفاهم مع العرب والتمسك بالأراضي العربية المحتلة "[1].

لقد ألقت هذه الحرب بظلالها على موقف الأدباء الإسرائيليين بالنسبة لردود أفعالها على المجتمع الإسرائيلي بصفة عامة، وعلى الفرد الإسرائيلي بصفة خاصة، بحيث يمكن القول بأن إسرائيل هزمت نفسها في هذه الحرب على حساب القلق الوجودي وأحاسيس التخبط والقلق من المصير المجهول، وهي أحاسيس عبر عنها الأدب العبري بأكثر مما عبر عن أحاسيس الفخر بالانتصار.

وعلى سبيل المثال، رأى الأديب الإسرائيلي حانوخ برطوف أن المجتمع الإسرائيلي وقع في الأسر بعد هذه الحرب، وأن إسرائيل لم تنتصر في هذه الحرب، حيث كتب يقول: " بالرغم من إننا انتصرنا في الحرب، فإننا نحن المحتلون والمحاصرون؛ لأن لدينا تخبطات تكفي للموت ... ويوجد هنا شعب صغير، هو بالكاد شعب، في منطقة هي بالكاد أرض، مع كوابيس بسبب حدود لا يعرف ماذا يفعل بها، ويريد السلام ولا يستطيع الحصول عليه "[2].

وهو وضع يعلق عليه شلومو افنيري قائلاً: " ظهرت الصهيونية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ تحت مفهوم الأرض والسيطرة و السيادة وضم الأراضي. فماذا أدنى من أن الإعلام العربي، في مثل هذا الوضع، يعرض دولة إسرائيل والصهيونية في مقارنة مع الاستعمار والنظام الاستعماري إننا حال تصورنا أن الصهيونية هي حركة للتحرير القومي، فمن الصعب أن نحكم عليها حكمًا يتساوى مع الاستعمار، ولكن وقت أن نصبح في نظر الآخرين كمحتلين فإن المقارنة مع الاستعمار تصبح مطلوبة. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يساعد الإعلام العربي ويطلق له العنان في نظرته للصهيونية (كحركة من أجل أرض

([1]) د. محمد فوزي ضيف: الاتجاهات الجديدة في الأدب العبري بعد حربي يونيه ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٧، (٢٨٩).

([2]) حانوخ بارطوف: " هامنوتساحيم فهامكوتاريم "، صحيفة معاريف الإسرائيلية، ٩-٥-١٩٦٩. (نقلاً عن د. رشاد الشامي: عجز النصر، مرجع سابق، ص٤٩).

إسرائيل الكاملة) ... لقد تحولنا من حركة لتحرير اليهود إلى حركة للمطالبة بالأراضي "[1].

هذا، ولم يختلف رد فعل هذه الحرب على الإنتاج الأدبي في إسرائيل اختلافا كبيراً عن رد الفعل بعد حرب ١٩٤٨ " فإذا كان الإحساس العام الذي ساد الجو الأدبي في إسرائيل بعد عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧ هو إحساس الشعور بالمأساة التي خلفوها للعرب، والخوف الوجودي الذي لبس أحيانا صورة المقارنة بمصير الصليبيين والخوف من الجار والغريب على وجه العموم، ونبذ الاستمرارية الوجودية متمثلة في رفض التوالد خوفًا من المصير المجهول، فإن الصورة لم تختلف بعد حرب ١٩٦٧ كثيرًا، بل زادت تعقيدًا، وابتعدت عن المجتمع أكثر، وأكثر وأصبحت تتناول الفرد بصورة أساسية وتخضع لكل تيارات الأدب الأوروبي التي تغالي في تعرية الفرد من الداخل "[2] الذي أصبح يتشكك في مصداقية الصهيونية، وهو شك أخذ يتعاظم بمرور الوقت وجعله يضع علامات استفهام عديدة حول القيم الصهيونية ومعانيها؟ .

" وقد أكد البروفيسور جرشوم شوكين على أن الوعي المتمثل في إدراك حقيقة فشل الدولة في تجسيد الحلم الصهيوني قد برز بقوة لدى دوائر الشباب بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة وذلك في الكتاب الذي أصدره عاموس ايلون تحت عنوان (حديث المحاربين) والذي ضمنه مواقف جيل الشباب في إسرائيل تجاه الدولة وشعورهم بخيبة الأمل ... وختم شوكين كلامه بأن كل من يعتبر قيام دولة إسرائيل ذات القوة المادية الكبيرة دليلاً على نجاح المشروع الصهيوني فإنما يضلل نفسه . فهدف الحركة الصهيونية أساسًا لم يكن يتمثل في إقامة دولة يهودية تتحدث العبرية وتبنى لنفسها جيشًا قويًا بل كان هدفها الأساسي هو حل ضائقة اليهود في أماكن انتشارهم "[3].

وهكذا، أوقعت هذه الحرب المجتمع الإسرائيلي في مأزق جديد؛ حيث وجد الفرد الإسرائيلي نفسه يعيش تناقضًا حادًا بين فرضيات الأيديولوجية الصهيونية التي تدعو إلى جعل اليهود شعبًا مثل سائر الشعوب وبين الواقع المغاير لهذه المبادئ الذي تكشف بعد ذلك في سياسة التوسع الإقليمي وضم الأراضي على حساب شعب آخر . ومن هنا شعر الفرد

---

(١) شلومو آفنيري: " شينلوت حفراه اومدينيوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص٤٥، ٤٤).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٥١، ٥٠).

(٣) د. محمد محمود أبو غدير: إسرائيل بعد خمسين عامًا، اليوتوبيا الصهيونية بين الحلم والواقع، مجلة إبداع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد السادس ١٩٩٨، (ص٧٢).

الإسرائيلي بالخديعة الصهيونية وبالواقع المرير الذي يعيشه المجتمع في ظل حلقة مفرغة من الحروب تتعاظم بعد كل حرب يخوضونها وتزيد من الهوة السحيقة التي وقع فيها الإنسان الإسرائيلي.

" إن الأدباء الممثلين لمرحلة ما بعد حرب ١٩٦٧ أمثال عاموس عوز وأبراهام بيت يهوشواع وإسحق أورباز وديفيد شاحار ويهودا عميحاى وإسحق أورن وشلومو نيتسان، وهم جميعًا ممن اتخذوا مواقف يسارية، كانوا مخلصين في إبداعاتهم لذلك العالم المميز بجو الغربة والعزلة والانطواء والكشف عن العالم الداخلي والمنعزل للأبطال الذين يخضعون لعقلانيتهم وقد فقدوا سلامة الهوية تمامًا، ويواجهون بشاعة المجتمع بعد تعريته من أقنعته المزخرفة ويبعدون الأوهام عن أنفسهم ويضعون علامات الاستفهام المريرة من خلال بنيان رمزي مجازي "[1].

لقد عكس هؤلاء الأدباء الإسرائيليون هذا الوضع الجديد الذي تمخض عن حرب يونيو ١٩٦٧ في إنتاجياتهم الأدبية، بشكل نستطيع من خلاله أن نستقرئ حالة الحصار النفسي والإحساس بالضياع والهلاك التي أصابت الفرد الإسرائيلي بعد هذه الحرب. وذلك من خلال بعض الأعمال الأدبية مثل رواية (نمل) لإسحاق أورباز التي صدرت بعد هذه الحرب بعام تقريبًا. وتحكى هذه الرواية عن زوجين إسرائيليين يعيشان في شقة بتل أبيب. وهذه الشقة في انهيار متزايد، وذلك من جراء هجوم غريب من النمل، حيث يقرض حوائطها تدريجيًا، ويظل يعقوب الزوج يتصارع مع النمل ويبنى حائطًا أمام حائط دون جدوى حيث يعود النمل مرة أخرى لمهاجمته. ويعلق أيهود بن عيزر على المعنى الرمزي للنمل في هذه الرواية قائلاً: " يبدو أنه من الصعب أن نخطئ في تحديد المعنى البارز الذي يدل عليه النمل في هذه الرواية، ذلك المعنى الذي يهتم بتلك المنطقة الوجودية للمحنة العاتية التي يحدث فيها كابوس انهيار حنة جونين في رواية (عزيزى ميخائيل) لعاموس عوز، ويحدث كابوس حرق الغابة في قصة (أمام الغابات) ليهوشواع. أما كابوس النمل لأورباز إلى جانب كونه يشير إلى حياة رجل وزوجته على حافة الانهيار، فهو كابوس مغروس بصورة واضحة في إحساس الحرب والحصار، وفي الإرهاق من الوضع الوجودي الذي يصل إلى درجة كابوس الانهيار النفسي والإحساس بالضياع والهلاك "[2].

كما انعكست تخبطات المجتمع الإسرائيلي وصراعاته وتساؤلاته في رواية يجآل ليف (والله يا أمي أني أكره الحرب). " وتعد هذه الرواية من أولى الروايات التي صدرت في أعقاب حرب ١٩٦٧، لكنها ليست أروع ما كتب عن المعارك التي دارت على جبهات

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: خطوط عريضة لاتجاهات الأدب العبري المعاصر في إسرائيل، مجلة إبداع، العدد الأول ١٩٩٥، (ص ٢٥).

(٢) ايهود بن عيزر: " بوليدت هاجعجوعيم هامنوجاديم، هاعرفى باسفروت هاعفريت "(في وطن الأشواق المتناقضة، العربي في الأدب العبري "، مرجع سابق، (ص٣٧، ٣٨).

القتال، وإنما عن المعارك التي دارت في أعماق نفس المؤلف، وحول ما يمليه الضمير والعدل وما يمليه الخوف من الحرب والتعلق بالحياة والإخلاص للرفاق. وهى محاولة للكتابة من وجهة نظر شاب مقاتل ذاق بنفسه مرارة الحرب وأهوالها. والشخصيات التي يعرضها المؤلف هي شخصيات حية وموجودة – وهى الشخصيات التي أفرزها المجتمع الإسرائيلي وخلق منهم جنودًا مقاتلين. ولذلك فإن هؤلاء الجنود هم لحم ودم وليسوا أبطالاً، وتعمهم باستمرار أحاسيس الخوف والتخبطات والأشواق إلى البيت، وإلى الحياة اليومية وذلك منذ تحركهم من اللطرون قبل القتال وحتى وصولهم إلى ضفاف نهر الأردن في نهاية المعركة "[1]. وهى نفس الأحاسيس التي عبر عنها ليف أيضًا في قصته (بعد الحرب بيوم واحد) حيث تعبر هذه القصة عن التمزق النفسي من جراء هذه الحرب من جانب أحد الجنود الإسرائيليين حتى في ظل مشاعر الانتصار. إن (بوسي) البطل في هذه القصة يتساءل بعد عودته من إجازة لمدة ثمان وأربعين ساعة عن رفاقه الذين سقطوا، وظل هو على قيد الحياة، وعن ثمن هذه الحرب في ظل تخبطات الجنود وتساؤلاتهم عن جدواها.

وهكذا، عبر بعض الأدباء الإسرائيليين عن تخبطات ذلك الجيل وتساؤلاته عن الحلم الصهيوني ووعوده بأن الحياة سوف تصبح مستقرة وآمنة في أرض فلسطين، وانعكس ذلك في الكثير من الأعمال الأدبية لدى العديد من الأدباء كل بأسلوبه، كما رأينا يهوشواع وهو يعبر عن عدم إيمان بعضهم بجدوى الاحتلال والطرد من خلال تعاطف البطل أو الحارس الإسرائيلي في قصته (أمام الغابات) ١٩٦٨ مع الشخصية العربية، فيقوم بمساعدة العربي في إحراق الغابة التي أقيمت على أنقاض قريته العربية. وهو ما يعكس التمزق النفسي والتساؤلات عن جدوى الحروب وسقوط الضحايا التي عبر عنها العديد من الأدباء الإسرائيليين بعد حرب ١٩٦٧، إنها أحاسيس مريرة دفعت بعضهم إلى الوقوع في هوة سحيقة من الارتباك والتخبط والسؤال الدائم عن الاستقرار النفسي وعدت به الصهيونية.

وهو ما عبر عنه بن عيزر محللاً الوضع الذي آل إليه المجتمع الإسرائيلي بعد هذه الحرب بقوله: " لقد وعدنا الحلم الصهيوني أن يكون التاريخ في أرض إسرائيل مستقرًا، لكن هاهو الصدى الفعلي العميق للأدب الذي يكتب في إسرائيل، إنه أبعد ما يكون عن أي مفهوم للهدوء والاستقامة "[2].

---

(1) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ١٢٧).

(2) د. محمد فوزي ضيف: الاتجاهات الجديدة في الأدب العبري بعد حربي يونيه ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ مرجع سابق، (ص٦٤).

(٤) مرحلة ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣:

لا يمكن أن يختلف اثنان على أن كلاً من حربي يونيه ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ كان لهما أكبر الأثر في المجتمع الإسرائيلي على كل الأصعدة السياسية والثقافية والأدبية، لاسيما وقد أحدثت حرب أكتوبر ١٩٧٣ هزة عنيفة داخل المجتمع الإسرائيلي الذي عمه التخبط والانكسار بعد أحاسيس الغطرسة والفخار والقوة الوهمية لإسرائيل في أعقاب حرب يونيه ١٩٦٧ . وقد دفع هذا التحول ببعضهم إلى الإحساس بالملل والاكتئاب من دائرة الحرب المفرغة التي اكتشفوا أنها لا طائل منها سوى مزيد من الضحايا والتمزق النفسي العميق للشخصية الإسرائيلية بعد كل حرب. ولأن الحرب، كما وصفها مفكرو إسرائيل وأدباؤها كانت بمثابة " زلزال " هز إسرائيل، فإنها كشفت القناع عن زيف الادعاءات القائلة بضرورة الاحتفاظ بكل الأراضي التي تم احتلالها في ١٩٦٧ لضمان أمن الشعب الإسرائيلي وسلامته، وهو ما دفع بعضهم إلى رفع راية التغيير في أهداف وتوجهات الدولة.

وقد عبر عن هذه الحالة الصحفي الأوروبي شلومو أفينيرى في أحد مقالاته بصحيفة معاريف ٨/ ١١/ ١٩٧٤، حيث كتب قائلاً: " في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ ظهر على الساحة في البلاد اتجاه يشير إلى الصعوبات والمحن التي واجهت الوجود اليهودي في فلسطين. ويرى هذا الاتجاه أنه إذا كان هدف الصهيونية هو الإتيان بشعب مثقل بالمتاعب ومتخم بالمشكلات والمرارات إلى شواطئ الراحة والإرث (فلسطين)، فها هو يجد نفسه بعيداً عن كل الآمال، شعب يجلس في صهيون على فوهة بركان على وشك الانفجار في أية لحظة. فالحرب تتبعها حرب، ومزيد من جثث موتى حرب ١٩٧٣ ملقاة أمامنا وفي نفس الوقت فنحن مطالبون بمواجهة حرب أخرى محتملة ... بعد أن رأينا الخطر يرفرف على رؤوسنا هنا في إسرائيل مرتين في حرب يونيه ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ "[١].

" لقد أدى نشوب هاتين الحربين، يونيه ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣، إلى جعل مسائل أساسية في الواقع اليهودي الإسرائيلي وفي الأيديولوجية الصهيونية، ملموسة بعد أن كان قد تم التخلص منها، وطفت الخلافات على السطح دون أن تكون هناك إمكانية لحلها. ووقف المجتمع الإسرائيلي في مفترق الطرق، وأصبح عليه أن يحدد لنفسه هويته وماهية اليهودية والصهيونية "[٢].

(١) شلومو آفنيرى: " شيئلوت حفراه اومدينيوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص٤٧ : ٥٠).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص ٢٢١، ٢٢٢).

وقد أكدت الدراسات النفسية التي أجريت على الجمهور الإسرائيلي بعد حرب ١٩٧٣ عمق الإحساس بالإحباط والمرارة، حيث إن هذه الحرب حطمت الغرور الإسرائيلي ما بعد حرب ١٩٦٧، وآلت بالمجتمع الإسرائيلي إلى مزيد من الانكسار. ونفس هذه الحقيقة " أكد عليها المفكر الإسرائيلي يشعياهو لايبوفتس في دراسة له عن حرب ١٩٧٣، حيث سبق وأن حذر من اندلاع تلك الحرب قبل وقوعها بسنوات، حيث أكدت تلك الدراسة على أن حرب ١٩٧٣ قد عمقت داخل الجمهور الإسرائيلي مشاعر الكآبة وخيبة الأمل والشعور بالإحباط والفشل "[1]. " وأما البروفيسور جرشوم شوكين، فإنه يرى أنه إذا كان الوعي المتمثل في إدراك حقيقة فشل الدولة في تجسيد الحلم الصهيوني قد برز بقوة لدى دوائر الشباب بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة وذلك في الكتاب الذاتي أصدره عاموس ايلون تحت عنوان (حديث المحاربين) والذي ضمنه مواقف جيل إسرائيل تجاه الدولة وشعورهم بخيبة الأمل، فإن هذه المشاعر قد تعاظمت لتشمل مختلف القطاعات السكانية في إسرائيل بعد حرب ١٩٧٣ ... ويرى المفكر الإسرائيلي حاييم بن شاحر أن الواقع الصهيوني الحالي في إسرائيل يختلف تمامًا عن الحلم الصهيوني الأصلي. فيهود العالم لم يتجمعوا فيها. والدولة تواجه مشاكل كثيرة وهى أبعد من أن تكون جنة عدن التي وعدت الصهيونية بتحقيقها لليهود "[2].

وعلى الساحة الأدبية، كان للأدباء الإسرائيليين دورهم في التعبير عن هذه الحرب التي مثلت لهم نقطة تحول ومزيدًا من الوقود على النار المتأججة في نفوسهم من جراء الحروب المتواصلة، وراحوا يكتبون عن مشاعر الإحباط واليأس والانكسار وينتقدون الحكومات الفاشلة ويلعنون الصهيونية التي أتت بهم إلى هذا المكان ووضعت مستقبلهم ومستقبل الدولة في حلقة مفرغة. إنها روح يائسة راحت تدب في الأدب الإسرائيلي شعرًا ونثرًا بعد هذه الحرب؛ مما دفع أحد النقاد العبريين إلى التحذير من هذه الروح، وضرورة ضبط النفس، حتى يمكن العودة إلى الحياة مرة أخرى فكتب يقول: " لقد أدت هذه الحرب إلى حالة من الارتباك الشديد، وهو ارتباك ينسحب على الأدباء كذلك، إنني لا استنكر الحيرة والارتباك.. غير أنه لابد وأن نقدر أن الحائرين المرتبكين ليس في مقدورهم أن يكونوا هداة أو مرشدين للحائرين. إن الأدباء مازالوا مستمرين في إظهار استجاباتهم تجاه الأحداث

(١) د. محمد محمود أبو غدير: المثقفون والسلطة في إسرائيل، مجلة إبداع، القاهرة، العدد السابع يوليو ١٩٩٨، (ص٤٣).

(٢) انظر د. محمد محمود أبو غدير: إسرائيل بعد خمسين عامًا، اليوتوبيا الصهيونية بين الحلم والواقع، مرجع سابق، (ص٧٢).

التي وقعت كل حسب وجهة نظره . . وبينهم قلة تجاهد كالتالي تشجع الشعب وتؤازره في محنته . . غير أن هناك في نفس الوقت آخرين عديدين يضيفون أحزانًا على أحزان . لقد اهتزت ثقتهم اهتزازًا شديدًا فراحوا يزرعون اليأس حولنا الأمر الذي ينطوي على خطر شديد يهدد مستقبلنا "[1] .

هذا، وقد كان لحرب أكتوبر ١٩٧٣ أثرها في توجهات الأدب العبري المعاصر بدءًا من منتصف السبعينيات، حيث أدت هذه الحرب إلى مولد مذهب أدبي جديد هو المذهب الديكادينتى (مذهب التفسخ والتحلل) .

" ويتسم هذا المذهب بالنظر إلى المجتمع الإسرائيلي بالتشاؤم والسوداوية إزاء المستقبل المجهول، كما يكتنفه الخوف من الانهيار والتفتت كنتيجة حتمية للفساد المستشري، حيث يؤكد اتباعه في أكثر من موضع على تضاؤل الرغبة في الحياة لقتامتها، بالإضافة إلى الشعور بالغروب والأفول والدمار والموت "[2] .

وقد اتسم هذا المذهب أيضًا بتقييم الصهيونية في ظل الوضع الإسرائيلي القائم بعد حرب١٩٧٣ . " وذلك من خلال تقييم حالة اليهود في ذلك الوقت وحالتهم قبل قيام الدولة إبان الشتات . وينتمي إلى هذه المذهب يتسحاق بن نير ويعقوب شبتاى "[3] .

ويتميز أدباء هذا المذهب في أعمالهم بالتعبير عن التمزق النفسي لأبطالهم، حيث يقول يوسف أورن في هذا المقام : " إن الإحساس بالحياة في هذه الأعمال في طريقه إلى الزوال، ويشعر به الأبطال وهو يتحقق في الواقع، إنهم يعيشون في حالة ضبابية يعقبها ظلام دامس "[4] .

وهكذا تركت هذه الحرب أثارًا عميقة أدت إلى تغلغل بعض الأدباء الإسرائيليين في أعماق النفس الإسرائيلية وكشفوا لنا عن مشاعر التخبط والانكسار والإرهاق من الحروب وخيبة الأمل من النبوءات والأيديولوجية الصهيونية مثل يتسحاق بن نير في روايته (غروب قروي) ١٩٦٧ ، ويعقوب شبتاى في روايته (ذكرى الأشياء) ١٩٧٧ ، وهما يعدان بمثابة

---

(١) (نقلاً عن د. إبراهيم البحراوى : الأدب الصهيوني بين حربين حزيران ١٩٦٧ - تشرين ١٩٧٣ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧ ، (ص ٢٢) .

(٢) د. زين العابدين محمود: الأدب العبري الحديث، مرجع سابق، (ص٢٢٣) .

(٣) أنظر : يوسف أورن : " هاهيتبكحوت باسيبورت هايسرائيليت "(عودة الوعي في الأدب القصصي الإسرائيلي)، دار نشر ياحد، تل أبيب، ١٩٨٣ (ص١٩ : ٢١) .

(٤) نفس المرجع (ص٢٣) .

التعبير العميق والمركز عن الحالة الروحية التي اجتاحت المجتمع الإسرائيلي خلال السبعينيات "[1].

" وتكشف الرواية القصيرة الساخرة (بعد المطر) ١٩٧٩ ليتسحاق بن نير أيضًا عن الشارع الإسرائيلي الذي غرق في الدهشة بعد حرب ١٩٧٣، وهي عمل أدبي يقترب في لمسه لنفسية الشارع الإسرائيلي عن عدة روايات أخرى، حيث يصف بن نير كيف أنتجت تلك الفترة مسحاء السوق، وأنبياء الشارع والمهلوسين، والعرافين، والمنجمين والسحرة. وتصاحب هذه الرواية المسيرة التي حولت دنتسيجر خلال سبع ساعات فقط من إنسان سليم العقل إلى واحد من الأنبياء المهلوسين، الذي يتنبأ بالخلاص من خلال وصف متحمس لوجود نفط في البلاد "[2]. وتهاجم هذه الرواية أيضًا الاستيطان والمستوطنين، باعتبارهم السبب في كل ما لحق بإسرائيل من ويلات حرب أكتوبر ١٩٧٣ وأنهم سيكونون السبب في أية حرب جديدة.

ومن أبرز الروايات العبرية التي تحدثت عن الآثار السلبية والموجعة لحرب أكتوبر ١٩٧٣، رواية (العاشق) ١٩٧٧ للأديب الإسرائيلي أ. ب. يهوشواع التي أكد فيها على إفلاس الحركة الصهيونية وخيبة الآمال في تثبيت أركان الدولة.

ويمكن القول، إن الفكرة الرئيسية لهذه الرواية كانت هي حرب أكتوبر ١٩٧٣، حيث تستهل أحداث الرواية بالدهشة التي أصابت الجميع من عنصر المفاجأة التي بدأت بها هذه الحرب:

" حقًا، كانت هذه حربًا حقيقية وقعت علينا بمفاجأة تامة "[3] حتى إن بعضهم لم يصدق ما حدث، " من الذي كان يصدق ما حدث "[4].

وتشير هذه الرواية أيضًا إلى الفوضى التي عمت البلاد في أثناء هذه الحرب والهلع والخوف والوجوم الذي أصاب الجميع، وكثرة عدد الجثث والمفقودين، وحالة الملل والكآبة من الحروب المتوالية ورفضها، حتى إن جبريئيل أحد أبطال الرواية يحاول الهرَوب من على الجبهة في سيناء عدة مرات وينجح في النهاية في الهرب متخفيًا في زي متدين. ويشير

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: الاتجاهات الرئيسية للأدب العبري العاصر في إسرائيل، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٤، العدد الثالث، يناير/ مارس ١٩٩٦، (ص ٣٣).

(٢) يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلى "(الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص١٥، ١٦).

(٣) أفراهام بيت يهوشواع: " هامئهيف " (العاشق)، رواية، دار نشر شوكن، القدس وتل أبيب، ١٩٩٧، (ص٩).

(٤) نفس المرجع (ص٢٢٠).

جبريئيل هنا إلى رفض الحروب والخوف منها حيث يبدو في الرواية خائفًا مذعورًا ويتهم الدولة بأنها أرادت قتله في هذه الحرب، " ببساطة، لقد أرادوا قتلى "[1]، " كان يأمروننا أن نحفر حفرة عميقة في باطن الأرض. كان كل واحد منا يحفر قبره بنفسه "[2].

ووصف يهوشواع في هذه الرواية ماذا تفعل الحروب في الشباب، خصوصًا حرب أكتوبر ١٩٧٣ : " لقد أصبح كل الشباب في عداد الشيوخ، فابيض شعرهم بفعل الصحراء ... وأصبحت الوجوه واجمة، والعيون غائرة من قلة النوم "[3].

وهكذا، عبر يهوشواع في تلك الرواية عن أثار هذه الحرب على المجتمع الإسرائيلي الذي أصبحت الحروب تحيط به من كل جانب، فهو يعيشها رغم أنفه ويتوقعها في أية لحظة. وهو هنا يلقى باللوم على الصهيونية التي وعدت جموع اليهود بالوطن الآمن، وإذا بهم يستنشقون رائحة البارود في كل وقت ويودعون أبناءهم ويبكونهم . ولعل هروب جبريئيل من الجبهة يشير إلى ضعف ارتباطه بالفكرة الصهيونية وفشلها كما أشار هليل برزيل إلى ذلك[4].

لقد أعادت حرب أكتوبر ١٩٧٣ مسألة تقييم الصهيونية في الأدب الإسرائيلي مرة أخرى، مثلما حدث في الحروب السابقة " وشكلت الحالة النفسية القومية مادة خصبة لتقييم الصهيونية في الأدب الإسرائيلي بعد حربي يونيه ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ . وكشفت هذه الروايات عن حالة الصهيونية بأسلوب التحقيق من خلال عائلة متعددة الأجيال ... لتبقى شاهدًا على فشل الصهيونية في سنوات الدولة "[5].

(٥) مرحلة الثمانينيات والتسعينيات (ما بعد الصهيونية):

تميزت هذه المرحلة بالنقد المباشر للحركة الصهيونية، حيث واصل الأدب العبري خلال الثمانينيات من القرن العشرين الاتجاه الذي بدأه منذ السبعينيات في تنقية الأجواء من الشوائب الأيديولوجية، وتم التعامل مع الصهيونية بصورة مباشرة وصلت إلى حد المطالبة بالانفصال عنها بعد أن تسببت في كل المحن التي وقعت فيها الدولة، وإثبات فشل الصهيونية في التعامل مع الواقع المعاش.

---

(١) أفراهام بيت يهوشواع : " هامئهيف " (العاشق)، رواية، مرجع سابق، (ص٣٥٢).
(٢) نفس المرجع (ص٣٧٢).
(٣) نفس المرجع (ص٣٧٢).
(٤) هليل برزيل : " مسابريم بيحودام "، دار نشر يحداف ايحود، تل أبيب، ١٩٨١، (ص٦٧).
(٥) يوسف أورن : " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلى " (الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص١٦).

والمتتبع للمتغيرات التي طرأت على تقييم الصهيونية وكيفية تعامل الأدب العبري المعاصر مع فرضياتها النظرية ومدى تلاؤمها مع الوقائع الجديدة، سوف يلاحظ أن هذا التقييم تأثر بالاهتزازات التي تعرضت لها أهداف الصهيونية ووسائل تحقيقها، وتمت المراجعة لمدى قوة الصهيونية في تحقيق أهدافها، وارتبط هذا التقييم بالأحداث التي أشارت إلى نجاحات الدولة وفشلها أكثر من أي شيء آخر. وكانت للحروب المتوالية التي خاضتها إسرائيل، وبخاصة حرب أكتوبر ١٩٧٣، أثرها الكبير على المستوى النفسي في حدوث تغيرات فكرية في تقييم الأدب العبري المعاصر للصهيونية، خصوصًا من قبل الأدباء الإسرائيليين الذين يحسبون على اليسار الإسرائيلي، أمثال عاموس عوز ويهوشواع.

لقد جعل الجدل القائم حول نقد الصهيونية في الأدب العبري المعاصر، مع مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، بعض الأدباء والنقاد يطلقون السؤال التالي: هل مازال الأدب العبري المعاصر صهيونيًا؟ خصوصًا أن هذا الأدب عبر في فترات وجيزة عن أهداف وتطلعات الصهيونية بإخلاص تام، ولكنه سرعان ما اتجه، بعد أن واجهت الدولة الكثير من المشكلات الداخلية والخارجية، إلى الشكوكية الشاملة في التعامل مع مدى صدق الصهيونية في نهجها، وفي احتمالات تحقيق مشروعاتها (الإقليمية، والديموجرافية، وغيرها) ووصل الأمر إلى القول بأنه لم تعد هناك حاجة إلى الصهيونية بعد أن أقيمت الدولة، وبات الجو مهيأ لفكرة التنكر لكل مبدأ شرعي يسعى إلى ترسيخ مفاهيم ونظريات عفا عليها الزمن، ولا تتلاءم مع الوضع الراهن لدولة إسرائيل. وبدا في الأفق شبه اتفاق على أن الصهيونية قد آن أوان تشييعها إلى مثواها الأخير.

هذا وقد واكب هذه المرحلة الأدبية، على المستوى الإنساني في مجال العلوم الاجتماعية، ظهور مجموعة من الباحثين والمؤرخين الأكاديميين ممن أطلق عليهم (المؤرخون الجدد)، حيث طالبت هذه الجماعة بإعادة كتابة تاريخ إسرائيل وعلاقتها بالصهيونية. "وارتبط ظهور المؤرخين الجدد بتغييرات وتطورات شهدتها الساحة الإسرائيلية منذ السبعينيات، بدأت بصعود الليكود إلى السلطة لأول مرة عام ١٩٧٧ واتجاهه نحو تطبيق سياسات تختلف من حيث التوجهات السياسية والعقائدية عن السياسات التي طبقت لسنوات عديدة بواسطة حكومات حركة العمل اليسارية "[١]. كما ارتبط مصطلح (ما بعد الصهيونية) بفكر تلك الجماعة الجديدة، حيث " تبدو السمة المميزة لما بعد الصهيونية في رغبة مثقفين وفنانين في إعادة تقويم ما أنتجته الصهيونية من أحداث تاريخية والنظر في

(١) د. محمد محمود أبو غدير: إسرائيل ما بعد الصهيونية، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، المجلد الرابع، العدد ٢: ٤، ١٩٩٥، (ص ٦١).

سلبياتها من جهة، وتحليل ونقد الوقائع الاجتماعية والسياسية الإسرائيلية، كما صارت عليه في التسعينيات ... وليس غريبًا أن ينطوي مفهوم (ما بعد الصهيونية) على معان عدة، منها ما يفيد أن الصهيونية قد انتهت، وأن إسرائيل صارت على عتبة ولوج مرحلة جديدة. ويمكن أن يعنى مفهوم (ما بعد الصهيونية) غير ذلك "[1].

ويمكن القول، إنه إذا كانت المرحلة الأدبية التي أعقبت حرب أكتوبر ١٩٧٣ " قد عبرت عن التفسخ الإنساني السكاني الذي اجتاح إسرائيل في هذه الحرب، ووصفت المجتمع الإسرائيلي بأنه مصاب بمرض العصاب وأعربت عن رفضها الصريح لمسلسل الحروب التي بلا ثمن وطرحت بصراحة وضع الفلسطينيين ... إلا أن أعمالاً أخرى اعتبارًا من الثمانينيات من القرن العشرين كانت أكثر حدة في تناولها لمفردات الأيديولوجية الصهيونية ونقدها مع محاولات لطرح البدائل للصهيونية الكلاسيكية التي رأوا أن زمنها قد انقضى وأن دورها قد انتهى وبدأ الطرح الأخلاقي لما أطلق عليه (ما بعد الصهيونية) "[2].
وراح الأدباء الإسرائيليون اليساريون يعبرون عن تقييمهم لواقع هذه الأيديولوجية وفي أي شيء نجحت وفي أي شيء أخفقت. وتميزت الرواية العبرية المعاصرة بلهجة نقدية لاذعة عن بقية الأنواع الأدبية المختلفة، في الكشف عن ضعف الصهيونية وعن تدنى قدرتها على مواجهة التحديات التي واجهتها الدولة في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ وازدادت هذه الموجة النقدية مع مطلع الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين.

ويعلق يوسف أورن على هذه المرحلة التي قويت فيها الشكوكية تجاه الأيديولوجية الصهيونية قائلاً: " يتميز رد فعل الرواية الإسرائيلية تجاه الأيديولوجية الصهيونية بلهجة نقدية لاذعة ومستمرة. ففي البداية تكشف الرواية عن ضعف الصهيونية وقلة قدرتها على مواجهة التحديات التي يفرضها الواقع أمام الدولة الحديثة. وفي فترة متأخرة اتهمت الرواية الإسرائيلية الصهيونية بالفشل، وبأنها السبب في كل المحن التي وقعت فيها الدولة "[3].

وشهدت الثمانينيات أول رواية عبرية معادية للصهيونية كما أطلق عليها النقاد الإسرائيليون، وهى رواية(رواية روسية) ١٩٨٨.لمئير شاليف، وفيها شكك شاليف في كل نظريات الصهيونية وقال إنها قائمة على أساطير ووهم وخداع. ويقول أورن في هذا

---

(١) انظر: معين الحداد: تحليل ظاهرة (ما بعد الصهيونية)، مجلة شئون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، لبنان، العدد ٧٢ مايو ١٩٩٨، (ص ٧، ٨).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي: أدب ما بعد الصهيونية، مجلة سطور، العدد ٣٨ يناير ٢٠٠٠، (ص ٣٥).

(٣) يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلى "(الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص٩).

المقام: " وصلت الشكوكية حول الصهيونية إلى أوجها في الثمانينيات، حيث كان الجو مهيأ لقبول أول رواية معادية للصهيونية كتبها أديب إسرائيلي وهى رواية (رواية روسية) لمئير شاليف. وإذا كان رد فعل كل الروايات الأخرى حول الصهيونية ردًا نقديًا شرعيًا يتعامل مع الفشل الحضاري والوهمي للصهيونية، فإن رواية شاليف أثارت الشك في نظريات الصهيونية، خاصة وأنه يحرص على عرضها كـ (أسطورة) وكفكرة باطلة وكاذبة وشكك في اعتماد الصهيونية على وجود صلة خاصة بين فلسطين وشعب إسرائيل "[1].
كما عاد شاليف مع بداية التسعينيات ليؤكد في روايته (عيسو) ١٩٩١، على اعتماد الصهيونية في نظرياتها على الأساطير التوراتية في ادعاء الحق الديني والتاريخي لليهود في فلسطين.

وفي العقد الأخير مع نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، صدرت رواية (مولخو) ١٩٨٧ لـ أ. ب. يهوشواع، وفيها وجه النقد ضد الصهيونية وكشف عن اخفاقاتها في تجميع الشتات، ووصل إلى ذروة نقده لها بالمطالبة بالانفصال عن الصهيونية الكلاسيكية والمراهنة بأيديولوجية صهيونية جديدة تصب في المعطيات الواقعية التي تعيش فيها كل من الدولة والمجتمع الإسرائيلي.

وانضم عاموس عوز إلى موجة النقد الموجهة إلى الصهيونية، وأصدر روايتيه (راحة صحيحة) ١٩٨٢، (صندوق أسود) ١٩٧٨، وعبر فيهما عن فشل الصهيونية في إعداد وريث لجيل المؤسسين. بالإضافة إلى روايته (الحالة الثالثة) ١٩٩١ التي سخر فيها من رواد الحركة الصهيونية ومحاولاتهم الفاشلة في فرض نظرياتهم الصهيونية على الأبناء والأحفاد، وتطرق فيها أيضًا إلى فشل الصهيونية في إعداد وريث لجيل المؤسسين الصهاينة.

وهكذا يمكن القول، إن بعض الأدباء الإسرائيليين اليساريين قد توقفوا، خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، عند مراجعة مدى صدق الصهيونية في أطروحاتها حول الحق الديني والتاريخي لليهود في فلسطين، ومدى نجاح الصهيونية في تجميع الشتات اليهودي، وغير ذلك من القضايا التي تم مراجعتها من جديد على ضوء المتغيرات التي حدثت على الساحة الإسرائيلية، ومدى تلاؤمها مع فرضيات الأيديولوجية الصهيونية، مثلما حدث مع شخصية (الصبار) الصهيونية التي أبرز الأدب الإسرائيلي مدى خيبة الأمل من ادعاء (الصبارية) أنها سوف تحل محل الثقافة والإرث اليهوديين. " وبدا

---

(١)يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلى " (الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص٢٤).

التلويح بالوداع (للصبار) الذي وصل ذروته في نهاية الثمانينيات، أي في نفس الفترة التي وصلت فيها حرب الأدب الإسرائيلي ضد الصهيونية إلى ذروتها، حيث إن كلتا الأيديولوجيتين، الصهيونية والصبارية، كانتا قد وصلتا إلى الدرك الأسفل. ولم يعد بإمكانهما مواصلة القيام بالدور الذي من المفترض أن تقوم به الأيديولوجية في حياة المجتمع ... وحسبما يقول الناقد الإسرائيلي يوسف أورن، فقد توقف الأدب النثري الأوروبي عن تمجيد الصورة الكمالية التي نحتها في بدايته (للصبار). وقد مر الصبار بثلاث صور من التعامل من جانب الأدب الإسرائيلي. لقد عبر عنه ذلك الأدب خلال الأربعينيات بنغمة تمجيدية. وقد تحولت هذه النغمة إلى نغمة ساخرة متهكمة، خلال الستينيات والسبعينيات، ووجد في الأدب الذي كتب خلال الثمانينيات من القرن العشرين نغمة مأساوية تبشر بغروب النموذج الصبارى المثالي معلنة انتهاء وجوده في الأدب الذي سيكتب مستقبلاً [1].

ويمكن القول أيضًا، إن تلك المرحلة الزمنية للأدب العبري المعاصر قد تركزت موضوعاتها الأدبية على محورين مهمين، وهما: نقد الأيديولوجية الصبارية المتمثلة في شخصية (الصبار) ونقد الأيديولوجية الصهيونية ونبذ مبادئها. وقد تم التعامل مع هاتين الأيديولوجيتين بصورة مباشرة وواضحة بعدما ثبت فشلهما في مسايرة الواقع الإسرائيلي بمتغيراته السياسية.

وهكذا، " شهد الحوار الذي أجراه الأدب الإسرائيلي مع الصهيونية فترات من الازدهار والتمردات التي وقعت بفعل تأثير الأحداث الرئيسية خلال سنوات الدولة (وخاصة تأثير الحروب وما أعقبها من اهتزازات في الوضع النفسي القومي)، حيث عبر الأدب الإسرائيلي في فترات زمنية وجيزة عن الإخلاص التام للصهيونية وآمالها في تحقيق طموحاتها. وعبر سنوات قيام الدولة راح نفس الأدب يعيد تقييم الصهيونية واتجه بشكوكية شاملة للتعامل مع مدى صدق الصهيونية في نهجها، ومدى احتمالات تحقيق مشروعاتها الإقليمية والديموجرافية وغيرها "[2]. وقد دفع هذا الوضع أديبًا مثل موشيه شامير يتساءل عن هذا الأدب وهل مازال صهيونيًا؟ وتساءل آخرون، هل من الممكن اعتبار الأدب العبري الحديث عدوًا للصهيونية؟ وهل يستطيع الأدب المعادى للصهيونية أيضًا إذا

---

(1) يوسف أورن: " زهويوت باسيبورت هايسرائيليت " (هويات في الأدب الأوروبي)، دار نشر ياحد، إسرائيل، ١٩٩٤، (ص٩٣). (نقلاً عن د. رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٩٧).

(٢) يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت باروما‌ن هايسرائيلى " (الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص٢٤).

كتب باللغة العبرية أن يندرج تحت إطار الأدب العبري؟ .

لقد أكد هؤلاء الأدباء الإسرائيليون اليساريون خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، " أنه إذا كانت إسرائيل الحالية هي ثمرة حقًا من ثمار المشروع الصهيوني فإن هذا المشروع ذاته تحول الآن إلى مجرد إشارة إلى حركة تاريخية وإلى لحظة أوربية ولت وانتهت. وقد دفع هذا الأمر المفكرة الإسرائيلية سنتيا أوزيل إلى القول: بأن الكلام عن الصهيونية وعن الدولة الإسرائيلية يدفعنا الآن إلى تبنى مصطلح (ما بعد الصهيونية) الذي يعنى اعتبار الدولة ثمرة لحركة سياسية قديمة لفظت أنفاسها، وأنه من الصعب الآن التعامل مع الدولة مادامت أنها أصبحت مرادفًا لمشروع لم يكتمل بعد. فالحركة التي لم تجسد ذاتها ولم تحقق أهدافها، هي رمز للتخلف والجمود. والدولة التي تعتمد على الدعم الحياتي ستفقد قدرتها على الصمود. ولقد اعتمدت الحركة الصهيونية حقًا على عناصر خارجية منذ عهد هرتسل نفسه، مرورًا بوعد بلفور وانتهاء بقرار التقسيم الذي صدر في عام ١٩٤٧ "[1].

ومن ناحية أخرى، هناك حقيقة لا يمكن إغفالها، وهى أنه على الرغم من موجة النقد اللاذعة التي شهدتها سنوات الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين ضد الصهيونية من قبل الأدباء الإسرائيليين اليساريين، فإن هذه الفترة شهدت أيضًا أعمالاً أدبية أخرى من قبل الأدباء الإسرائيليين اليمينيين، ردت وبشدة على تلك الأعمال التي استعرض فيها أدباء اليسار إخفاقات الصهيونية فحسب ونادوا برحيلها، حيث راح أدباء اليمين يمجدون في أعمالهم الصهيونية ويستعرضون إنجازات الآباء المؤسسين لها. وقد شكل هذا - إن صح التعبير - موجة من الصراع بين أدباء اليمين وأدباء اليسار حول مدى نجاح الصهيونية أو فشلها.

وعلى سبيل المثال، وصف موشيه شامير الصهيونية بأنها لحن جميل ورائع في حاجة إلى من يستخدمه بأسلوب راق وفعال، " فهو يعطى لنا في ثلاثيته (بعيدًا عن اللآلئ) ١٩٨٤ معيارًا آخر لتقييم الصهيونية ويصفها كبرنامج موسيقى ذي لحن يتوقف تأليفه على ملحنيه ومنفذيه في الأجيال القادمة. ويسخر شامير من التردد في الإقدام على هذا اللحن بقوله: (هناك من يجد طوال حياته قيثارة ... وينوون وينوون، وإلى لحنهم لا يقتربون). ولكن يجب ألا يتردد الملحنون في اختيار اللحن الأفضل: (فالسمفونية تشيد بالتعايش السامي والنهائي وغير المعلق ... هذه السمفونية غير قابلة للتغيير أو التقليل من شأنها ... حتى إذا لم تخرج

(١) د. محمد محمود أبو غدير: إسرائيل بعد خمسين عامًا، اليوتوبيا الصهيونية بين الحلم والواقع، مرجع سابق، (ص٧٣).

للعـالم فهـي قائمـة، وحتـى إذا سمعـوا مقطوعة منها فهي كاملة، وحتى إذا أساءوا إليها بلحن فهي مكتملة) الرواية ص ١٢ "[١].

كمـا كـتب الأديـب الإسـرائيلي " أهـارون أمـير " ثلاثية عرض فيها الإنجاز الشامل للـصهيونية، وهـى الثلاثية التي سعت إلى الرفض المطلق للشتات. وهى ("نون" ١٩٦٩، "نون٤٨" ١٩٨٥، " نون ٦٧ " ١٩٨٩).

وانـضم الأديـب الإسـرائيلي " ناتـان شاحام " إلى صفوف المدافعين عن الصهيونية، وأصدر روايته (في قلب تل أبيب) ١٩٩٦، وفيها يحكي لنا عن مجموعة من الأصدقاء قضوا طفولـتهم وحياتهم معًا في مبنى سكني بتل أبيب، وبعد أن امتد بهم العمر قرروا شراء هذا المبنـى ليقـيموا بـه متحفا لتخليد آباء الصهيونية الذين سكنوا في أول مدينة عبرية، وليكون شاهدًا للأجيال القادمة على نجاح المشروع الصهيوني على أرض فلسطين.

وتـشتمل حـبكة الـرواية علـى مـا يقرب من سبعين عامًا في تاريخ هذه البلاد، ولكنها فضلت أن تلقى الضوء على الاستيطان الصهيوني في فلسطين من خلال بعض اليهود الذين شهدت حياتهم ثلاثة أجيال وسكنوا معًا في عمارة سكنية واحدة في قلب تل أبيب.

ويـرى يوسـف أورن أن هـذه الـرواية جـاءت كـرد فعل على روايات شـاليف المعادية للـصهيونية، على حد قوله، وأشار إلى أنها رواية صهيونية ترد وبشدة على مشروع شـاليف الـذي خلّـد فـيه فشل الصهيونية بدلاً من تخليد نجاحها، حيث يقول: " وهكذا، بينما بنى شـاليف مجده وقبوله في الأدب العبري الإسرائيلي على حساب روايات معادية للصهيونية، وأثـبت فـشل الـصهيونية الـذي زرع شـواهده في كـل (قـرية) وفي كل (مخبز) بالبلاد، يجئ شـاحام لـيرد علـيه من خلال رواية صهيونية ترتكز إلى الحقائق التاريخية التي يمكن أن تكون كافية عبر السير الحياتية لمجموعة من السكان أثبتت نجاح (الثورة العبرية، التي لم تكن ثورة فقيرة، بل كانت هي الوحيدة، خلال القرن العشرين، التي سطعت بقوة) الرواية ص ٣٧٩ ... إنهـا رواية صهيونية تأتي أحداثها من خلال خلفية واسعة لسنوات تحقق الصهيونية في تاريخ الشعب اليهودي في العصر الحديث "[٢].

وهكـذا، شـهد الأدب العبري الإسرائيلي، خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن

---

(١) يوسـف أورن: " هاتـسيونوت وهاتسباريوت باروءان هايسرائيلى "(الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص٢٢).

(٢) يوسف أورن: "رومان تسيونى رحمانا ليتسلان "(رواية صهيونية، حاشا لله)، مرجع سابق، (ص٤٣-٤٤).

العشرين، نوعًا من المناورة بين أدباء اليمين وأدباء اليسار، وإن كانت الغلبة في صالح أدباء اليسار لما يتمتعون به من شهرة واسعة داخل إسرائيل ومن مكانة أدبية على الخريطة الأدبية في إسرائيل.

(٦) انتفاضة الأقصى والموقف من الصهيونية:

كانت انتفاضة الأقصى جولة مهمة من جوالات وضع الصهيونية على المحك، خاصة وقد تحطمت نظرية الأمن التي تشدقت بها الصهيونية، على مذبح الانتفاضة؛ التي أججت مشاعر الحسرة والندم على المجيء إلى تلك البقعة من الأرض، لدى بعض الإسرائيليين. وجاءت أيضًا لتدفع بالصهيونية في اتجاه المحاكمة الشعبية، فهي السبب في كل المحن التي وقع فيها المجتمع الإسرائيلي الذي آل إلى التفكك والانحلال في ظل صراعات داخلية وخارجية لا مناص منها، لا سيما وأن الانتفاضة كانت أشد فتكًا من كل الحروب التي خاضتها إسرائيل في السنوات السابقة، فقد تحولت إلى شبح يطارد "الآخر" (الإسرائيلي)، في كل مكان دون أن يعرف وجهته أو زمانه أو مكانه أو ماذا سيفعل به.

وقد تبخرت أحلام الراحة والإرث التي تشدقت بها الصهيونية طوال فترة مداعبتها ليهود الشتات، ودفعت انتفاضة الأقصى ببطلان الادعاءات الصهيونية بتحقيق الأمن لجموع اليهود المهاجرة إلى أرض فلسطين، وأعادت من جديد، مسألة وضع الصهيونية في قفص الاتهام واتهامها من قبل المجتمع الإسرائيلي بأنها السبب في كل المحن التي وقعت فيها دولة إسرائيل، كما أنها ضربت إحدى مقومات الأيديولوجية الصهيونية، وهي الهجرة، في مقتل، وتسببت في تزايد أعداد النازحين عن إسرائيل، وعجلت بالحكم على الصهيونية التي جاءت بهؤلاء المهاجرين اليهود إلى تلك البقعة من الأرض التي وصفت في بعض أدبيات الفكر الإسرائيلي بأنها مقبرة لليهود، كما سنرى في الفصل التالي من هذا الكتاب.

وكشفت بعض المفردات العبرية التي استخدمها بعض المفكرين الإسرائيليين لمواجهة الانتفاضة، مثل (مخرب - حادث تخريبي - أعداء - عدوان فلسطيني - إرهابي) عن نظرة المجتمع الإسرائيلي للانتفاضة الفلسطينية ووضعها في إطار العمليات الإرهابية، في خلط واضح ومغلوط بين شرعية المقاومة والأعمال الإرهابية.

وقد استخدم الإسرائيليون والإعلام الغربي لفظ "الإرهاب" للإشارة لأعمال "المقاومة" ولفظ "الانتحار" للإشارة إلى عمليات "الاستشهاد"، وتبنت بعض وسائل الإعلام، فضلاً عن معظم النخب الحاكمة، هذين المصطلحين. وفي هذا الإطار الإدراكي لم تعد القضية هي "تحرير الأرض السليبة"، أو "استعادة الحقوق الضائعة"، أو

"التصدي للعدو وهزيمته"، أو "دعم الانتفاضة سياسيًا وماليًا وعسكريًا وعدم الاكتفاء بالدعم اللفظي الرتيب"، أو "الضغط من أجل تحويل مكاسب الانتفاضة الميدانية والعسكرية إلى مكاسب سياسية". بدلاً من هذا كله تصبح القضية "رفع المعاناة عن الشعب الفلسطيني"، و"إيقاف العنف"، وفي رواية أخرى "الإرهاب"، ووقف العمليات الانتحارية، بل و"العودة إلى مائدة المفاوضات"، و"التنازل عن حق العودة حقنًا للدماء"، واذهب أنت وربك فقاتلا.. إنَّا هاهنا قاعدون[1].

ويبدو أن المجتمع الإسرائيلي لجأ إلى استخدام هذه المفردات في مواجهة الانتفاضة التي عجزت الآلة العسكرية الإسرائيلية في إسكاتها، ولتعبئة العالم ضد الفلسطينيين، في محاولة للتعتيم على ممارسات قوات الاحتلال في المناطق الفلسطينية المحتلة.

وينتقد البروفيسور الإسرائيلي "الحنان حيفر" أستاذ الأدب العبري في الجامعة العبرية بالقدس، هذا الوضع الذي آل إليه المجتمع الإسرائيلي إبان أحداث انتفاضة الأقصى قائلاً: "وقع الشعراء والأدباء الإسرائيليون القلائل الذين ردوا على الانتفاضة الأولى في حالة من الصمت والتأمل لأحداث الحاضر، ونظروا إليها من زاوية المعاناة التي لاقها اليهودي في الماضي أيام الشتات، وكانت تلك هي رؤيتهم الوحيدة، ويبدو أنها هي الطريقة الوحيدة أيضًا للتحرر من المسؤولية الجاثمة على صدورنا كمحتلين"[2].

ويعلق الشاعر الإسرائيلي ناتان زاخ على أحداث الانتفاضة وردود الأفعال الإسرائيلية تجاه العمليات الاستشهادية قائلاً: "ما كنا نصدق أنفسنا ونحن نرى دولة تزعم أنها دولة قانون تنفذ بنفسها أعمالاً إرهابية ضد أعدائها... والشعب صامت، والمحاكم تصدّق على هدم المنازل وتشريد جموع الفلسطينيين، ولا أحد يدفع ثمن أي شيء. إن دولة الرفاه تنهار بكاملها ولا أحد يتكلم. والبلاد تعمها الكراهية. سأقولها بكل صراحة: إن إسرائيل هذه الأيام أصبحت غريبة عليّ أكثر فأكثر. إنني أشعر بالخجل في وقت نقترب فيه من حالة أصبحنا فيها مثل أسوأ أعدائنا"[3].

أما الشاعر الإسرائيلي حاييم جوري فقد علق على أحداث الانتفاضة في إحدى قصائده قائلاً: "لقد عشنا في الماضي أيام صعبة كهذه، ولكنني أشك في أننا عشنا أيامًا أسوء من هذه، فها هي البيوت تنهار على رؤوس ساكنيها، وينتشر الموت في كل مكان".

---

(1) د. عبد الوهاب المسيرى: من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني.

(2) الحنان حيفر، صحيفة هاآرتس الإسرائيلية، ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٤.

(3) ناتان زاخ، صحيفة يديعوت احرونوت الإسرائيلية، ١٥/ ١/ ٢٠٠٣.

وتقول حافة بنحاس هاكوهن محررة مجلة "ديموي" الأدبية في قصيدتها "مسيح": "كيف سنقول شيئا في يوم يحط فيه الصمت والخجل على الجميع، ونحن نرى أعضائنا منتشرة في عرض الشارع... فالكثيرون يعبرون عن أحاسيس الموت الذي يتأهب للانقضاض علينا في أية لحظة. وما أن تبدأ الحياة، حتى تنتهي".

ويشكك البعض في أن تزايد العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين قد يوقف عمليات الانتفاضة؛ وهو ما أكد عليه الصحفي الإسرائيلي جدعون عيست بقوله: "إنه من المستحيل أن نتخيل أن زيادة الرعب العسكري قد يؤثر في الفلسطينيين. لقد أخفق شارون تمامًا في تحقيق أي أمن، وتحولت الانتفاضة إلى حرب استنزاف مستمرة"[1].

وهكذا تبدو إسرائيل في نظر مفكريها وهي تمارس الإرهاب والقتل والاستعمار ضد شعب أعزل اختار سلاح المقاومة للدفاع عن أرضه ونفسه، فأحدث تأثيرًا قويًا وشرخًا في الصفوف وعاد بالمجتمع الإسرائيلي إلى أيام الشتات، وحن الإسرائيليون إلى بلاد الشتات، ولعنوا الصهيونية وروادها، فعاد الكثير منهم إلى بلادهم التي عاشوا فيها قبل أن ينتقلوا إلى أرض فلسطين، في ضربة قوية لإحدى مقومات الصهيونية التي راهنت على يهود الشتات.

وهكذا أيضًا فقدت الصهيونية مصداقيتها في تحقيق الأمن لجموع اليهود؛ فالانتفاضة، حسبما جاء في الصحف الإسرائيلية، ليست مجرد هبَّة بل هي "حرب استنزاف" أغرقت إسرائيل في "لجة من الدماء" (هآرتس ١/ ٢/ ٢٠٠٢) وأدخلتها في "دائرة دموية" (يديعوت أحرونوت ٢٩/ ١/ ٢٠٠٢)، إنها "رقصة الموت" ومباراة "بينج بونج مرعبة" (يديعوت أحرونوت ٢٩/ ١/ ٢٠٠٢)، تسببت في فيضان "أنهار الدم". (إعلان رافضي الخدمة العسكرية، هآرتس ٨/ ٢/ ٢٠٠٢). كما أدَّت إلى الغوص في مياه راكدة، وإلى الغرق في "المستنقع الذي غرقت فيه قواتنا بدءًا من الثمانينيات" (في إشارة واضحة للمستنقع اللبناني). وتشير الصحف الإسرائيلية إلى العام الأول للانتفاضة بأنه عام "مضرج بالدماء" (معاريف ١٠/ ٢/ ٢٠٠٢). وأنه "الأسوأ في تاريخ إسرائيل في كل ما يتعلق بمواجهة الإرهاب" (معاريف ١١/ ٢/ ٢٠٠٢). وقد وصف أحد الكُتَّاب الموقف بهذه العبارة الدالة: "صغيرة هي المسافة بين الخوف والذعر، والجمهور الإسرائيلي يعيش بين هذا وذاك" (معاريف ١٠/ ٢/ ٢٠٠٢).

وقد استطاع جندي احتياط إسرائيلي من خلال هذه الرسالة المفتوحة التي كتبها (ونشرت على موقع صحيفة يديعوت أحرونوت ٢٩ أغسطس ٢٠٠١ ونقلتها عنها

[1] جدعون عيست؛ صحيفة يديعوت احرونوت الإسرائيلية ٢٩/ ١/ ٢٠٠٢.

الصحف الإسرائيلية الأخرى) أن يعبر عن الرعب الذي دب في نفوس إخوانه وهم يواجهون الانتفاضة :

" أخاف من الموت، بلا سبب كالأبله على الرمال النتنة المسماة قطاع غزة . . . لا أعرف أن أطير عندما يطلقون عليَّ النار . . . عدت من الانتفاضة الأولى، ومن حرب لبنان، ومن الانتفاضة الثانية . عدت بحالة جيدة، بمحض المصادفة . . . لا أؤمن بالمعجزات وبالحظوظ، ولا أعتقد أن لكل طلقة عنوانًا، لكن أنا أيضًا ليس لي عنوان . . . إذا ما مت فسأموت كالأبله . أبله لم ينتبه له أحد . أبله إحصاءات . أبله عائلة ثكلى . . . أشعر بأن أولئك الجالسين في أبراجهم العاجية أيضًا لا يتابعون إطلاقًا ما يحدث لي ولكتيبتي، وربما لنا جميعًا . أشعر بأنهم لا يعيروننا انتباهًا . . . وأسأل نفسي ما إذا كنتما، أنتما الجالسان في برجيكما العاجين، رئيس حكومتي ورئيس أركاني، تعرفان فعلاً ما الذي يجب عمله كي أتمكن من العودة إلى البيت . وقبل هذا وذاك، أرجو أن تبيِّنا لي أنكما معنيان . . . بخوفي من الموت كالأبله؛ ذلك بأنه لم يعد من الممكن أن تقنعاني بأنه جيد أن نموت من أجل بلدنا . . . في غزة "[1].

ولا تختلف الصورة التي يرسمها سيما كرمون في مقال له في يديعوت أحرونوت (٢/ ٤ / ٢٠٠٢) عن الصورة التي رسمها يغئال موسكو بل ربما تكون أكثر قتامة :

" هذه أيام عصيبة للمواطن العادي . أيام مجزنة . لم يسبق لبيت أن كان محصنًا مثل هذه الأيام . البيت هو الحصن . إنه غرفة عمليات . مع الهواتف، التليفزيون، والتأكد من أن الجميع على قيد الحياة . الوسادة هي كيس رمل . الغطاء هو سور أسمنتي . رائحة الربيع تطرق النوافذ، رائحة البرتقال، رائحة الياسمين ولكن الأيدي خاوية والأرجل ثقيلة لا تقوى على الخروج "[2].

ولا أبلغ من تلك الصورة التي رسمتها الأديبة الإسرائيلية أورلى كاستل بلوم عن حالة المجتمع الإسرائيلي إبان فترة الانتفاضة في روايتها (أشلاء) التي صدرت عام ٢٠٠٢ :

" تستقل ايريس فنتورا أتوبيسًا في طريق عودتها إلى المنزل، وتشتبه في رجل ذي ملامح شرقية يجلس بجوارها ويحمل حقيبة كبيرة، فتظن أنها متفجرات، فتنسحب في هدوء وتصل إلى السائق، وتبلغه، فيأخذ منحنى الطريق جانبًا، ثم يصرخ في الركاب بأن فرامل الأتوبيس لا تعمل ويفتح الأبواب، فيهرع الركاب إلى النزول وينزل الرجل ذو الملامح

(١) نقلاً عن : د. عبد الوهاب المسيرى : من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني .

(٢) نفس المرجع .

الشرقية ويبتعد الجميع عنه في حالة من الذهول والرعب، ثم يصرخ السائق في الرجل ويطرحه أرضًا، ويمسك به بعض الركاب، وتأتي الشرطة الإسرائيلية وتغلق المنطقة، وتقوم بتفتيش الرجل؛ ثم يتضح أنه إسرائيلي ذو ملامح شرقية، مثل كثير من الإسرائيليين، طردته زوجته من البيت فأخذ ملابسه ووضعها في تلك الحقيبة الكبيرة التي أثارت شكوك وفزع الركاب"[1].

هذا المشهد الساخر الذي أتت به "بلوم" في روايتها هذه، يبين لنا مدى الفزع والهلع الذاتي أصاب جموع الإسرائيليين إبان أحداث الانتفاضة وازدياد وتيرة العمليات الاستشهادية، وهو نتيجة طبيعية للهوس الأمني وحالة الاستنفار في الأجهزة الأمنية والجيش الإسرائيلي الذي أهاب بالمواطنين بعدم التراخي والإبلاغ عن أية حالة يرتابون فيها. وهو ما سنتعرض له بالتفصيل في الفصل التالي من هذا الكتاب.

وكان من أهم آثار الانتفاضة، انتشار ظاهرة رفض الخدمة العسكرية والفرار منها، وهي ظاهرة جديدة/ قديمة في المجتمع الإسرائيلي، قديمة من حيث إن التجمع الصهيوني عرفها من قبل عدة مرات، كان آخرها أثناء احتلال جنوب لبنان. وهي جديدة من حيث إنها ظهرت مرةً أخرى استجابةً لتصاعُد المقاومة الفلسطينية في الانتفاضة الحالية. وظاهرة رفض الخدمة العسكرية مرتبطة بظواهر أخرى مثل الانصراف عن الخدمة العسكرية والفرار منها.

وأحدث تجليات هذه الظاهرة وأكثرها حدة حركة "الشجاعة في الرفض" التي بدأت بأن أصدرت مجموعة من ٥٠ ضابطًا وجنديًا من جنود الاحتياط، وبعضهم ضباط في تشكيلات المظلات وغيرها من الوحدات الخاصة، بيانًا تعلن فيه عن عدم استعداد الموقعين على البيان للخدمة في الضفة الغربية. وقد بدأ البيان بتأكيد أنهم "صهاينة مخلصون"، وأنهم كانوا من الأوائل في الدفاع عن إسرائيل، إلا إن الأوامر التي يتلقونها الآن لا تمت لأمن الدولة بأية صلة، أي أنهم يرفضون التصور الصهيوني للأمن الإسرائيلي الذي يمتد من النهر إلى البحر، والذي يضم كامل تراب فلسطين. ومن ثَمَّ فالجيش الإسرائيلي في الضفة، بالنسبة لهم، هو جيش احتلال لأن "الضفة الغربية ليست إسرائيل". ولذا فهم يعلنون أنهم لن "يشتركوا فيما يسمونه حرب سلامة المستوطنات"، وأنهم لن يواصلوا "القتل خلف الخط الأخضر بهدف السيطرة والطرد والهدم والإغلاق والتصفية والتجويع والإهانة لشعب بأكمله"[2].

---

(١) أورلي كاستل بلوم: رواية (أشلاء)، دار نشر كنيرت، إسرائيل، (ص١٣٠).

(٢) أنظر صحيفة يديعوت أحرونوت ـ ٣٠/ ١/ ٢٠٠٢.

وهكذا تصورت الحركة الصهيونية أنها حركة التحرر الوطني "للشعب اليهودي" وأنها ستقوم بجمعه بكل أمان في وطنه القومي (أرض فلسطين)؛ ولكن مع تصاعد وتيرة الانتفاضة؛ تساقط هذا الجانب من الأسطورة الصهيونية، وفطن البعض إلى خديعة الصهيونية وجاهر بالعداء ضد نظريات صهيونية عفا عليها الزمن ورأى البعض الآخر أنه آن أوان تشييع الصهيونية إلى مثواها الأخير.



الفصل الثاني

أثر الانتفاضة الفلسطينية في الآخر الإسرائيلي
دراسة تحليلية في رواية (أشلاء) للأديبة الإسرائيلية
أورلي كاستل بلوم



أثر الانتفاضة الفلسطينية في الآخر الإسرائيلي

دراسة تحليلية في رواية أشلاء للأديبة الإسرائيلية

أورلي كاستل بلوم

تمهيد:

يسمى "سيجموند فرويد" أكبر علماء التحليل النفسي، النفس البشرية بشخصيتها وذاتها بالأنا. والأنا هي الذات"[١]، "والذات هي كل ما تشتمل عليه هذه الذات من خصائص وسمات نفسية عقلية أو مزاجية، ودفاعية، من أفكار وطموحات، وصراعات، أو توترات، وحاجات فيزيولوجية، وحاجات نفسية، كالحاجة للحب، والانتماء أو الأمن، وتحقيق الذات، وغيرها من الحاجات والدوافع"[٢].

ومن هنا يتضح أن صورة "الأنا" أو "الذات" عبارة عن منظومة سيكولوجية اجتماعية تتحدد بطبيعة تطورية خاصة، حيث أن صورة الذات هي نسق تصوري تطوره الكائنات البشرية، أفرادًا كانت أم جماعات وتتبناه وتنسبه إلى نفسها. ويتكون هذا النسق التصوري من مجموعة من الخصائص الفيزيقية والنفسية والاجتماعية، ومن عناصر ثقافية كالقيم والأهداف والقدرات التي يعتقد الأفراد أو تعتقد الجماعة أنها تتم بها[٣].

أما إذا حاولنا تحديد مصطلح "الآخر"، فعلينا أن ندرك أولاً أن هناك ثمة تلازم بين مفهوم "صورة الذات" ومفهوم "صورة الآخر" واستخدام أي منها يستدعي ـ تلقائيا ـ حضور الآخر. ويبدو أن هذا التلازم على المستوى المفاهيمي هو تعبير عن طبيعة الآلية التي يتم وفقًا لها تشكل كل منها؛ فصورتنا عن ذاتنا لا تتكون بمعزل عن صورة "الآخر" لدينا، كما أن كل صورة للآخر تعكس ـ بمعنى ما ـ صورة "الذات"، وهذا التلازم بين الصورتين قد أبرزته أعمال العلماء النفسيين والاجتماعيين الذين اهتموا بالقضايا المتصلة بالذات وبالآخر... حيث طور جيمس مارك بالدوين J.M.Baldwin بعد ذلك رؤية

---

(١) د. عبد المنعم بدر، أحمد الصباحي عوض الله: تفسير الأحلام: الديني والعلمي، كتاب الشعب، ١٩٦٩ (ص٣٩).

(٢) د. شاكر عبد الحميد: الذات والآخر في عملية الإبداع، مجلة سطور، ديسمبر ١٩٩٦، (ص٦٣).

(٣) نفس المرجع، (ص٩٣).

تفاعلية اهتم فيها بعلاقة الذات بالآخر - حيث شدد على أن "الأنا والآخر". . مولودان معًا"[١].

وهكذا، لا يمكن أن يكون هناك "ذات" دون "الآخر" فكلاهما مرآه للآخر. بيد أن "الآخر" قد يكون هو "الذات"، أي أن كل ما ينصب من تعريفات للأنا من شأنه أن ينسب للآخر أيضًا حين تأخذ "الأنا" محل "الآخر".

ويقول "جان فاروّ" في بحث له بعنوان (الآخر من حيث هو اختراع تاريخي): "ثمة نزعة إلى طرح التساوي (الإنسان = وعى) على أنه تساو بديهي. . والحال أن من يسلم بالوعي يسلم بإدراك الذات من حيث هي فرد، فيسلم إذن باكتشاف "الآخر". ذلك أنه إذا ما وجدت "أنا" (ضمير المتكلم)، فأنه توجد بالضرورة "أنا" أخرى عديدة؛ التي هي "أنت" (ضمير المخاطب). بيد أن هذا التساوي، مهما يبدوا لنا طبيعيًا، ليس من دون شك إلا اختراعا حضاريًا حديث العهد"[٢].

ولكننا إذا حاولنا أن نستقصى ما هو الفارق بالتحديد بين "الأنا" و"الآخر"؟ نستطيع أن نقول، أن الثنائية التقليدية التي تفصل وتعارض بين "الأنا" و"الآخر" هي ثنائية تبسيطية، ذلك أن كل تعريف ذاتى للأنا يتضمن بالضرورة تعريفًا - ظاهرًا أو مضمرًا - للآخر، والعكس أيضًا صحيح. غير أنه من الممكن أن يكون رفض حضور الآخر، بل وحتى كبته في التعاريف الذاتية للأنا مصدرًا لصورة الآخر الأكثر تعكرًا وسلبية. هذه الظاهرة قائمة بالتأكيد في مناطق الحدود والتماس بين المجموعات والمجتمعات والثقافات والحضارات ... ومن حالات ذلك حالة العلاقات بين البلاد العربية والغرب"[٣].

إن "الأنا" تتجلى وجودها في مرايا غيرها الذي يستدعى إبداعها سلبًا وإيجابًا في آن. والنقيض يستدعى نقيضه في هذا السياق، بالقدر الذي يذكر الشبيه بشبيهه في العلاقة التي لا تدنى بطرفيها إلى حال من الاتحاد، فتبرز المخالفة في المشابهة والمشابهة في المخالفة، كما تبرز النقائض نقائضها في حركة الوعي الذي لا يكف عن المقارنة في عمليات الاستدعاء والاسترجاع التي تقضى إلى قياس النظير على النظير النقيض، والنتيجة هي الحركة المتوترة

---

(١) د. فتحي أبو العينين: صورة الذات و صورة الآخر في الخطاب الروائي، مجلة القاهرة، العدد ١٣١ أكتوبر ١٩٩٣، (ص٩٢). .

(٢) جون فارو: الآخر من حيث هو اختراع تاريخي، ندوة (صورة الآخر)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، الحمامات / تونس، ١٩٩٣، (ص١١٢).

(٣) تقديم لـ "صورة الآخر"، ملخصات الأوراق المقدمة في الندوة العالمية التي انعقدت بالحمامات (تونس) في الفترة (٢٩: ٣١) مارس ١٩٩٣، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، (صVII-VI).

للعين التي لا ترى "الآخر" إلا من منظور ما تسترجعه من "الأنا"، ولا تسترجع الأنا إلا في ضوء ما أدركته في "الآخر" وذلك في سياق الفعل الحواري المتوتر من معرفته بالآخر التي تغدو معرفة بالأنا، والعكس صحيح بالقدر نفسه[1].

ولعل هذا ما يجعلنا نقول أن "الآخر" عبارة عن مقوم جوهري من مقومات "الذات"، من حيث أنها لا تكون كذلك إلا من خلال "الآخر" ولا نتعرف على ذاتها إلا عبر ذلك "الآخر". بمعنى أنني لكي أكون موجودا بوصفي أنا، يجب - فيما يقول هيبوليت مؤكدًا الكلمة التالية مباشرة - أن أجد "Trouve آخر"[2].

ومن هنا يمكن القول، أن صورة الآخر عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد - أو جماعة ما - إلى الآخرين[3].

وفي معرض هذا، يقول الدكتور شاكر عبد الحميد: "إن الآخر قد يكون أحد الأفراد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم. فالآخر قد يكون قريبًا وقد يكون بعيدًا. وقد يكون صديقًا وقد يكون عدوًا. وقد يكون عدوًا نفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه[4].

وإذا كان "الآخر" قد يخضع للتشويه، أحيانا، من قبل "الأنا" أو العكس، فإن هذا التشويه، يختلف في زمن السلم عنه في زمن الحرب. أما التركيز على ديناميات صورة الآخر طوال الخلافات فيمكن أن يساهم في صياغة فهم حسن للتفاعل القائم بين السياسة والثقافة في الأنماط العاملة للهويات الجماعية[5].

وبالتالي فإن "الآخر" عندما يكون عدوًا، فإنه يصبح دائمًا قوة من قوى الظلام والسديم الخ...[6]. ويدرك "الآخر" بطريقة كونية شبه مطلقة على أنه خطر كامن ومهدد، وقد يصبح على وجه الاحتمال جذابًا، على الرغم من اختلافه، أو بالأحرى بسبب هذا الاختلاف نفسه[7].

---

(١) د. جابر عصفور: فنون الآخر وآدابه، مجلة العربي، العدد ٤٧٣، أبريل ١٩٩٨م، (ص٧٨، ٨٠).

(٢) د. محمود رجب: فلسفة المرآة، دار المعارف، ١٩٩٤، (ص٢٠٣).

(٣) د. فتحي أبو العينين: صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي، مرجع سابق، (ص٩٣).

(٤) د. شاكر عبد الحميد: الذات والآخر في عملية الإبداع، مرجع سابق، (ص ٦٣).

(٥) آبدات ر. أكلاياف: ديناميات صورة الآخر في النزاعات السياسية، ندوة (صورة الآخر) مرجع سابق (ص٦).

(٦) أسماء العريق: الآخر أو الجانب الملعون، صورة الآخر، مرجع سابق، (ص٩٨).

(٧) دانيال بارتو: صورة الآخر وصورة الذات، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص١٢).

وتقول "أنا أندينكوفا" في بحث لها حول صورة "الآخر" من خلال الثقافة السياسية : "إن صورة "الآخر" ليست سمة ثابتة من سمات الثقافة السياسية، بل هي تخضع لعدة تأثيرات ومن الممكن أن تتغير تغيرًا سريعًا في حيز زمني قصير"(١).

وفي كل مرة نضع تصورًا للآخر نحتاج إلى تحديد، ولو ضمني، لما هو غير الآخر. . إن "الآخر" يستدل عنه عبر مستويات مختلفة هي الجنس أو الطبقة أو الموقع في السلطة العامة (حاكم / محكوم) أو المنطقة، الخ. وهى مستويات كثيرا ما تتشابك. . كما أننا لسنا دائمًا إزاء آخر نفسه، بل هناك جملة من المعطيات تمنح للآخر زخمًا ومضمونًا ليس هو عينه إن كان قريبا أو بعيدًا في الزمان والمكان وما يرافقهما من تغيرات، غير أنه لا وجود للآخر إلا بوجود من يصوغه بصفته مهزومًا أو منتصرًا. وخارج هذه المعادلة يندثر "الآخر" إلى العدم ويصير بلا مدلول (٢).

وبالتالي فالآخر يكون ثنائية نفى أو نزاع مع "الأنا"، تختلف باختلاف تطور هذه الثنائية. "فالآخر من خلال وحدات القبيلة والأمة - ومرورًا باللغة - هو من وجهة نموذجية مثالية طرف نفى أو نزاع"(٣).

من هنا يمكننا القول، بأن الآخر (الإسرائيلي) يمثل طرف صراع مع الذات الفلسطينية؛ أو أن الآخر (الفلسطيني) يمثل طرف نزاع مع الذات الإسرائيلية؛ وتتخذ مناحي الصراع بينهما حالات من السطوع والخفوت يمكننا أن نمثلها بمنحنى رسم بياني طبقًا لأحداث وظروف الصراع بينهما منذ الإرهاصات الأولى للصراع العربي الإسرائيلي قبل قيام دولة إسرائيل، وحتى وقتنا هذا.

لقد اكتشف المهاجرون الصهاينة حال قدومهم إلى أرض فلسطين، أن هذه الأرض التي جاءوا إليها، هي أرض مأهولة بالسكان العرب الفلسطينيين، وأنها ليست كما زعمت الصهيونية (أرض بلا شعب)، الأمر الذي جعل هؤلاء المهاجرين يتعرضون منذ البداية لحالة من الصراع مع كل من الأرض بطبيعتها القاسية حينًا، ومع الإنسان العربي الفلسطيني الذي فطن لوجود من يتربص به حينًا آخر.

وقد أخذت حالة الصدام مع العربي الفلسطيني، اتجاهات عديدة فرضتها الظروف والأحداث التي وقعت على مدى القرن العشرين بين كل من اليهود والعرب، حيث حاول كل طرف من أطراف الصراع أن يثبت حقه في الوجود على هذه الأرض، وأن يدافع عن استمرارية هذا الوجود بعدة وسائل على المستوى الثقافي والسياسي، ومستويات أخرى.

---

(١) أنا أندنيكوفا : صورة الآخرين كخلفية لتصور الذات، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص٨)

(٢) دلال البذري : الآخر أو المفارقة الضرورية، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص١٧).

(٣) الطاهر لبيب : الآخر العربي بين الفرد والجمع، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص ١٣٨).

ويمكننا القول، أن المهاجر اليهودي الصهيوني قد ادعى لنفسه حقوقًا تاريخية على هذه الأرض، محل النزاع تارة، وحقوقًا دينية تارة أخرى. ومن هنا أصبح الفلسطيني في نظر (الآخر) الصهيوني، ثم بعد ذلك (الآخر) الإسرائيلي، هو بمثابة الوجه الثاني الذي يمكن أن يرى من خلاله مدى صحته أو بطلان ادعاءاته. بمعنى أن المهاجرين الصهاينة نظروا للصراع مع الفلسطينيين على أنه رهان على نجاح الأيديولوجية الصهيونية في تحقيق أحلامها وآمالها على أرض فلسطين، بادعاء الحق الديني تارة، والحق التاريخي تارة أخرى. من هنا أخذ الصراع مع (الآخر) ـ سواء أكان فلسطينيًا أم إسرائيليًا ـ اتجاهات عديدة انصبت جميعها في آلية إدارة الصراع على كافة المستويات الإدراكية والمعرفية.

وبطبيعة الحال، انعكس ذلك الوضع أو الصراع في بعض الأعمال الأدبية لبعض الأدباء الإسرائيليين، الذين شعروا بأن وجودهم على هذه الأرض يتناقض مع جذرية الوجود العربي الفلسطيني، واختلفت معالجتهم للصراع باختلاف الظروف والأحداث بين الطرفين.

ويمكننا القول، بأن معالجة الصراع مع "الآخر" (الإسرائيلي)، على هذا النحو، قد سار في عدة اتجاهات عبر مسار تطور الأدب العبري الإسرائيلي، اختلفت في فتراتها الزمنية على ضوء الحروب التي خاضتها إسرائيل، والتي كانت بمثابة فواصل زمنية قاطعة في مراحل هذا الأدب وفي تاريخ هذه الدولة؛ إلا أن الانتفاضة الفلسطينية ـ الأولى أو الثانية ـ كانت أشد فتكًا من هذه الحروب، لاسيما وقد تحولت إلى شبح يطارد "الآخر" (الإسرائيلي)، في كل مكان دون أن يعرف وجهته أو زمانه أو مكانه أو ماذا سيفعل به.

انتفاضة الأقصى في الرواية العبرية المعاصرة (رواية (أشلاء) أنموذجًا):

لم تكن زيارة شارون لساحة المسجد الأقصى في الثامن والعشرين من سبتمبر عام ٢٠٠٠، هي وحدها التي أشعلت لهيب انتفاضة الأقصى، بل ثمة تراكمات نفسية وحالة من اليأس والإحباط تغلغلت في نفوس الفلسطينيين من جراء المماطلات الإسرائيلية في تنفيذ اتفاقيات أوسلو وغيرها، علاوة علي الممارسات الوحشية لجيش الاحتلال الإسرائيلي تجاه الشعب الفلسطيني.

إن خيبة الأمل والانكسار وضياع الحقوق، كل هذا كان كافيا لانطلاق شرارة الانتفاضة الفلسطينية التي كان لها أثرها الكبير في النفسية اليهودية الإسرائيلية علي كل المستويات الاجتماعية والنفسية والسياسية.

ولأن الأدب، كما يقولون، مرآة للمجتمع، يعكس ما يعتمل في النفس البشرية من

مشاعر وأحاسيس، ويرصد التغيرات الاجتماعية والبشرية، فهكذا كان الأدب العبري المعاصر راصدًا لهذه الظاهرة الفلسطينية الفريدة في مناهضة الاحتلال ومقاومته.

ولم تكن الأديبة الإسرائيلية "أورلى كاستل بلوم[1]" (١٩٦٠) في منأى عما يحيط بها وبمجتمعها من هلع ورعب وفزع، راح يعيشه الإسرائيليون منذ بدء انتفاضة الأقصى، فكتبت روايتها "أشلاء" (٢٠٠٢) لتعبر، كما تقول، عن فزع أم تحاول الحفاظ على حياة أبناءها، فحولت بيتها إلى ساحة من التدريبات، أخذت تعلم فيها أبناءها كيف ينبطحون أرضًا في حالة حدوث انفجار، وكيف لا يرتادون الأماكن المزدحمة. فأصبحت دور السينما والمطاعم وأماكن الترفيه أماكن محظورة، من يذهب إليها فهو أشبه بمن يغامر بحياته..

وقد انعكست كل هذه المشاعر في روايتها "أشلاء" التي بينت لنا الأثر العظيم للانتفاضة الفلسطينية في كل المناحي الحياتية للإسرائيليين على المستوى النفسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وفي حقيقة الأمر، لم تكن "بلوم" وحدها هي التي دلت بدلوها في موضوع الانتفاضة وانعكاساتها في الأدب الإسرائيلي المعاصر بكافة أنواعه، بل تبعها في ذلك الكثير من الأدباء الإسرائيليين. وهو أمر وصفه بعض النقاد الإسرائيليين بالانهزامية والتنصل من المسئولية، لاسيما وقد بين هؤلاء الأدباء الأثر الكبير لهذه الانتفاضة في كل المناحي الحياتية للإسرائيليين على المستوى السياسي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي.

فقد وصف الناقد الإسرائيلي "يوسف أورن" الأدب الإسرائيلي في سنوات الانتفاضة بالانهزامية والهروب من المواجهة، فيقول في كتابه "الأدب القصصي الإسرائيلي في سنوات الانتفاضة": "لقد سيطرت روح من الانهزامية والتنصل من المسئولية على الأدب الإسرائيلي في سنوات الانتفاضة... فلا يوجد عمل واحد من بين مئات الأعمال الأدبية حاول بعقل وبشجاعة أن يسبح ضد التيار، ويكشف للجمهور الإسرائيليّ عن المصادر والأهداف الحقيقية للانتفاضة... فقد انشغل الأدباء الإسرائيليون في وصف أحداثها وعملياتها خلال تلك السنوات من خلال تزييف للحقيقة وتجاهل للحقائق التاريخية التي

---

(١) أورلى كاستل بلوم: ولدت الأديبة الإسرائيلية أورلى كاستل بلوم بتل أبيب عام ١٩٦٠، ودرست السينما بجامعة تل أبيب، وتعد من أشهر الكتاب الإسرائيليين الذين دلو بدلوهم في الأدب العبري الإسرائيلي، وتركزت كتاباتهم في ردود فعل الشارع الإسرائيلي تجاه الأحداث الداخلية والخارجية. حصلت بلوم على جائزة تل أبيب عام ١٩٩٠ عن روايتها (أين أنا)، وحصلت على جائزة (نيومان) عام٢٠٠٣. من أهم أعمالها: (قريب من قلب المدينة)١٩٨٧ـ(بيئة معادية)١٩٨٩ـ(مدينة دوللى) ١٩٩٢ـ(أين أنا)ـ١٩٩٠(قصص غير مرغوب فيها)١٩٩٣ـ(الموناليزا) ١٩٩٥ـ(راديكاليون أحرار) ٢٠٠٠ـ(أشلاء) ٢٠٠٢ـ(نسيج) ٢٠٠٦.

تقول، إن الفلسطينيين لا يرغبون في وجودنا على الإطلاق، وانحصر موقف هؤلاء الأدباء في أن السلام بأيدينا فقط عند العودة إلى حدود ١٩٦٧ "[١].

وتعليقًا على واقع الانتفاضة في الأدب العبري، واستلهام الأدب الإسرائيلي للعمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون، يقول الناقد الإسرائيلي "يورام ملتسر":

" قد يتساءل القارئ: من سبق من؟ ومن أخذ من الآخر؟ المؤلف أم الواقع؟ "[٢] في إشارة إلى حالة المجتمع الإسرائيلي إبان انتفاضة الأقصى، كما عكسها الأدب الإسرائيلي في كثير من الأعمال مثل رواية (بعثة مسئول الموارد الإنسانية) لـ أ. ب. يهوشواع. وقصة (مرجع) ٢٠٠٣ لجلعاد عفرون، و(أربعة منازل وحنين)" (٢٠٠٤) لإشكول نفو.

وقد وقع اختيارنا على هذه الرواية، محل الدراسة لعدة أسباب:

١- تعد رواية "أشلاء" هي أول رواية عبرية كتبت خلال فترة انتفاضة الأقصى، حيث تعكس أحداث الانتفاضة في صورة أخبار عاجلة.

٢- تعبر الكاتبة في هذه الرواية عن ردود الأفعال التي اجتاحت المجتمع الإسرائيلي إبان فترة الانتفاضة، لاسيما وأن الكاتب هنا امرأة، تعبر عن فزع أم تحاول الحفاظ على حياة أبنائها، وتبحث في مجتمعها عن الأمن والراحة والحرية.

٣- هي أول رواية تجتمع فيها مجمل آثار الانتفاضة الفلسطينية على المجتمع الإسرائيلي؛ وعلى كل المستويات النفسية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. حيث تقول الكاتبة: " لقد كتبت هذه الرواية من بين الأحداث والعمليات والرعب. كتبتها للأجيال القادمة، وكلى أمل ألا نكون الجيل الأخير... "[٣].

٤- تعكس هذه الرواية أسئلة أخلاقية ملحة تجتاح المجتمع الإسرائيلي، وتسلط الضوء على الجانب المظلم في هذا المجتمع، وهو الأمر الذي جعل بعض النقاد الإسرائيليين يصفون هذه الرواية بأنها تحتوى على جانبي القوة والضعف معًا من حيث النص الروائي.

---

(١) נא לעיין: יוסף אורן، הסיפורת הישראלית בשנות האינתפאדה، הוצאת יחד، ישראל، ٢٠٠٥ (עמ'١١-١٠) أنظر: وسيف أورن (الأدب القصصي الإسرائيلي في سنوات الانتفاضة، دار نشر ياحد، إسرائيل، ٢٠٠٥، ص١٠-١١)

(٢) יורם מלצר: המציאות היא עובדה בשטח، עיתון מעריב، ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٣- يورام ملتسر: (الواقع حقيقة ملموسة)، صحيفة معاريف ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٣.

(٣) נרי ליבנה: האינתפאדה הפרטית שלי، עיתון הארץ، ٣/ ٤/ ٢٠٠٢- نيرى ليفناه: انتفاضتي الخاصة، صحيفة هاآرتس، ٣/ ٤/ ٢٠٠٢.

٥- تنتقد هذه الرواية السياسة الإسرائيلية فيما يتعلق بالفشل في التوصل إلى اتفاق حقيقي حول الوضع النهائي، في الوقت الذي تتزايد فيه توسيع عمليات الاستيطان على حساب الأراضي الفلسطينية، وهو ما أضفى حالة من الصراع الدائم والقلق الوجودي، أدت إلى استدعاء دور الصهيونية في هذا الصراع ووضعها في قفص الاتهام.

ورغم أهمية هذه الرواية كتأريخ لبعض أحداث انتفاضة الأقصى، إلا أنها تفتقد للحبكة الروائية التي تشد القارئ وتجذبه، فهي أشبه بقطع "البازل" (لغز الصور)، الذي ينبغي على القارئ تكوينها حتى يستطيع حل لغز الصور الذي يكمن في صورة المجتمع الإسرائيلي القابع في دوامة الحروب والعنف، وكأن "كاستل بلوم" تشرك القارئ في محاولات حل لغز الصراع العربي الإسرائيلي.

قصة الرواية (عرض مختصر):

تبدأ أحداث الرواية بوصف لشتاء قارس وغير عادى يجتاح البلاد في إسرائيل، وفي خضم هذا، تتزايد العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون، ويتأثر بها المجتمع الإسرائيلي، حيث تنسج لنا "كاستل بلوم" شخصيات روائية في حالة من الرعب والفزع والارتباك إلى حد اليأس من جراء تلك العمليات.

لقد أصاب اليأس "ايريس فنتورا"؛ إحدى شخصيات الرواية، وهي تبحث عن الأمن والأمان في تلك الدولة التي أحاطها الموت من كل جانب، ولكنها لم تجدهما سوى في تسمية أبنائها "أوشر" و"عوز" و"حيروت"، وهي كلمات عبرية تعنى "السعادة" و"الملاذ" و"الحرية"، أما "أدير برجسون" فهو بطل آخر يرفض إنجاب الأبناء في عالم مثل هذا، ويصف إسرائيل بأنها مقبرة كبيرة تقبع فيها مستوطنات عديدة، فكل يوم قتلى جدد، وجنازات وعمليات استشهادية وحوادث إطلاق نار، وأحزمة ناسفة، دون أن يكون هناك حل.

وتتساءل "قطي بيت هالحمى"، عن مصير أبنائها الأربعة بعد مقتل أبيهم في إحدى العمليات الاستشهادية، وتطرح أسئلة أخلاقية ملحة حول مستقبلهم، لاسيما وأنهم ينتمون لأسرة فقيرة؛ تأثرت كثيرًا من جراء المخصصات المالية الجسيمة التي اقتطعتها الحكومة الإسرائيلية من بعض الوزارات لصالح القطاع الأمني في إسرائيل.

لقد نسجت شخصيات الرواية، تقريبًا دون حبكة روائية، وكأن كاستل بلوم تعطى لنا نماذج مجتمعية تعبر من خلالها عن وضع معوج لا مناص منه، فجاء أبطال الرواية وهم

قابعون في القلق الوجودي؛ وقلقون بشأن حياتهم الأمنية المرتبكة؛ وبشأن تطلعاتهم المتواضعة التي تتجاهلها الحكومة الإسرائيلية، حيث تسخر الأديبة من رئيس دولة إسرائيل "رؤفين تاقوع"، فمنذ أن انتخب رئيسًا للدولة وهو يتجول بين جنازة وأخرى لقتلى الانتفاضة، ويتنقل من مستشفى إلى آخر لزيارة الجرحى، وكأن دوره ينحصر في حضور الجنازات وزيارة جرحى الانتفاضة من الإسرائيليين. وانتقل هذا العبث الأمني والسياسي إلى القادة العسكريين وهم يشكون حتى فيمن يعبث بحقيبته. هذا الوضع المعوج للمجتمع الإسرائيلي جعل بعض الإسرائيليين يصفون دولتهم، في هذه الرواية، بأنها (دولة قذرة).

من هنا، جاءت هذه الرواية كتجسيد لواقع إسرائيلي حقيقي ومظلم خلّفته انتفاضة الأقصى، وتعاملت معه الكاتبة بصورة مباشرة، "فباستثناء الشخصية الخيالية لرئيس الدولة، فإن الواقع الإسرائيلي في هذه الرواية حقيقي ومقلق ويكتنفه الغموض"[1]، لاسيما وقد اتخذ هذا سجالاً ما بين فعل (الذات) ورد فعل (الآخر).

إن هذه الدائرة من الفعل الإسرائيلي (المتمثل في الاحتلال والقمع والحصار الذي تمارسه الحكومة الإسرائيلية يوميًا ضد الفلسطينيين) ورد الفعل الفلسطيني (المتمثل في مقاومة الاحتلال عبر العمليات الاستشهادية داخل العمق الإسرائيلي)، أدت إلى حدوث العديد من التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل المجتمع الإسرائيلي.

وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نعرض هنا لأبرز نقاط تأثير انتفاضة الأقصى على الآخر (الإسرائيلي) من خلال المحاور التالية:

أولاً: المحور النفسي:

كان الاضطراب النفسي لدى المواطن الإسرائيلي نتيجة طبيعية للإحساس بعدم الأمن، فقد جاء في جريدة هآرتس (٦/ ١٠/ ٢٠٠١) أن عدد المرتادين على عيادات الأطباء قد زاد بشكل كبير في الآونة الأخيرة رغم أنهم ليسوا مرضى من الناحية العضوية، وإنما يعانون من ضغوط وتوتر على خلفية الأحداث الأخيرة (أي الانتفاضة). وقد نشرت جريدة معاريف (٢/ ٤/ ٢٠٠٢) أن وزارة الصحة الإسرائيلية فتحت مراكز استعلامات هاتفية يستطيع المواطنون عبرها تلقي مساعدات نفسية. كما بيّنت يديعوت أحرونوت (١٤/ ٢/ ٢٠٠٢) أن شركات الأدوية أفادت بأن هناك ارتفاعًا بنسبة ٥٠٪ في استهلاك المهدئات والمسكنات.

---

(١) אריאנה מלמד: המציאות היא עובדה בשטח، עיתון ידיעות אחרונות، 2002/ 3/ 29ـ آريانا ميلاميد: (الوقع حقيقة ملموسة)، صحيفة يديعوت احرونوت، 2002/ 3/ 29.

ومن أطرف المؤشرات على حالة الذعر التي انتابت المجتمع الإسرائيلي إبان أحداث انتفاضة الأقصى، أنه مع تصاعد وتيرة الانتفاضة بدأت حالة الذعر تنتاب الكلاب والقطط في المنازل الإسرائيلية، ولذا اقتضى الأمر تقديم المهدئات لها. وقال أطباء بيطريون إن الكلاب تبدأ في النباح وتصبح أكثر عدوانية وترتجف لا إراديًا أو تفقد التحكم في مثانتها عندما تصل أصداء دوي إطلاق النار في الضفة الغربية إلى مباني القدس.

وقد انعكس هذا الواقع النفسي في هذه الرواية، محل الدراسة، حيث تبدأ أحداث الرواية بوصف لفصل شتاء غير عادى يجتاح البلاد، حيث المطر والرياح والثلوج. وهى مقدمة تسوقها الكاتبة لتربط بينها وبين الواقع النفسي الذي يعيشه الإسرائيليون منذ اندلاع انتفاضة الأقصى؛ الأمر الذي وصفه النقاد الإسرائيليون بامتزاج الواقع بالخيال، حيث "تصف هذه الرواية الواقع الإسرائيلي بكل دقة. ففي الوقت الذي يشهد فيه المجتمع الإسرائيلي العمليات الفلسطينية ضد الإسرائيليين بصفة يومية، فإنه يعيش شتاء قارسًا وقاسيًا... هكذا يمتزج الواقع بالخيال على الرغم من أن هذه الرواية تحتوى على تفاصيل حقيقية مستمدة من الواقع الإسرائيلي"[(١)].

ويطالعنا القاص في بداية الرواية بصورة حقيقية من المجتمع الإسرائيلي الذي غرق في سلسلة من العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الناشطون الفلسطينيون بتفجير أنفسهم حيث يقول:

"ارتمى الناشطون الفلسطينيون في أحضان الموت، في الأتوبيسات ومحطات القطار وفي مداخل التجمعات التجارية، وفي قاعات المرح... ففي كمائن نصبت على جانبي الطرق بالضفة الغربية وقطاع غزة، كان القناصة في الانتظار، يقذفون بحجارتهم في اتجاه السيارات المارة؛ ويقتلون من بها. أما في الشوارع الرئيسة بالمدن الكبرى فقد تطايرت السيارات المفخخة في الهواء، وخلّفت وراءها الموت والدمار"[(٢)].

وهكذا، يطالعنا القاص بواقع حقيقي عاشه المجتمع الإسرائيلي خلال انتفاضة الأقصى، ذلك الواقع الذي خلّف وراءه قصص الرعب والبؤس والاكتئاب على ألسنة الإسرائيليين ممن ظلوا على قيد الحياة:

"ازدادت الموضوعات والقصص الإنسانية التي تمزق القلوب في تلك الأيام، وانتشرت قصص الرعب حول فقد أسر بأكملها ذهبت لتناول الطعام خارج المنزل... وحول الخوف العظيم الذي دب في قلوب من يعيش على تلك البقعة من الأرض"[(٣)].

---

(١) أنظر: www.shats.com/kastelbloom.htm

(٢) אורלי קסטל־בלום: חלקים אנושיים، רומן، הוצאת כנרת، ישראל، ٢٠٠٢، (עמ'١٣-١٢)- أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، دار نشر كنيرت، إسرائيل، ٢٠٠٢، (ص١٢-١٣).

(٣) שם، (עמ'١٤-١٣)- نفس المرجع (ص١٣-١٤).

وإمعانًا في تصوير تلك الصورة السيئة التي عاشها الآخر (الإسرائيلي) خلال فترة الانتفاضة، جاءت السمات النفسية لليهودي الإسرائيلي، في هذه الرواية، على هذا النحو:

"مكتئب، وبائس، وصامت، ومكبوت، ومنغلق على نفسه، ومذهول وحزين، ومعقد، وفظ للغاية"[١].

وتشير الدراسات الإنسانية في إسرائيل إلى "أن تصاعد عدد القتلى والجرحى الإسرائيليين، جعلت غالبية الإسرائيليين يشعرون بالرعب وانعدام الأمن. ووصل الأمر إلى أن الكثيرين منهم دأب التردد على العيادات النفسية بصورة متزايدة. حيث خلصت الدراسات الإسرائيلية إلى أنه في عام ٢٠٠١ بلغ مجموع المترددين على العيادات النفسية ٩٩ ألف إسرائيلي بزيادة قدرها ١٠ آلاف عن عام ٢٠٠٠ حسبما أفادت جمعية (عيران) الإسرائيلية. ويعد الأفراد القاطنين بالقرب من المواقع التي تحدث فيها العمليات الاستشهادية؛ من أكثر الإسرائيليين المترددين على العيادات النفسية"[٢].

وربما تذكرنا هذه السمات النفسية لمعظم أبطال الرواية؛ بصورة اليهودي الجيتوى (اليهودي في فترة الشتات) التي أسبغها الأدب العبري الحديث على الشخصية اليهودية في فترة الشتات؛ في محاولة لخلق ذلك النمط اليهودي الجديد الذي يتناسب مع مرحلة الاستيطان على أرض فلسطين، ورفع وقتها شعار (آخر يهودي وأول عبري).

وهي سمات ظلت عالقة بالآخر اليهودي، على مدار سنوات عديدة، وسأمها الرواد الصهيونيون؛ وحاولوا طمسها لخلق شخصية يهودية جديدة تتناسب مع مرحلة الاستيطان الصهيوني على أرض فلسطين. هذه السمات تجعلنا نلاحظ أن النفس اليهودية تستعيد صفات تضرب بجذورها في الأعماق؛ وتطفو على سطح الحياة عند معايشة الخطر، وهو أمر يعود إلى الحركة الصهيونية ومحاولاتها الدائمة لتشكيل الوعي الوجداني لدى الآخر (اليهودي) منذ نعومة أظافره، وما أن يشب عن الطوق حتى يعود ليتساءل عن هويته وعن نفسه وعن ماهية القيم التي غرزت فيه. وهنا يعيش اليهودي حالة من الانعدام في الوزن والهوية والوجهة والهدف، لتبقى الصهيونية، دومًا، سببًا رئيسيًا فيما يعتمل النفس اليهودية من مشاعر وأحاسيس متناقضة تظهر فقط في مواجهة الأخطار.

وهو أمر تؤكد عليه الكاتبة الإسرائيلية "مانويلا دافيرى"، بقولها: "كانت نبوءة

(١) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים، רומן، שם، (עמ'14)- نفس المرجع (ص13).

(٢) נא לעיין: עיתון הארץ، ٥/ ٢/ ٢٠٠٢- أنظر صحيفة هاآرتس ٥/ ٢/ ٢٠٠٢.

دولتنا مركز فخر وملجأ آمنا لكل يهود العالم، أما الآن فقد غدت خطيرة لمواطنيها، ومهددة من جيرانها، ومقامرة على مستقبلها. لقد سيطر الجمود والعجز والإحباط على كل شيء، وهبت أعاصير عاتية ومهددة، على وشك أن تجرفنا في طريقها. لقد أصبحنا ندور جميعًا في حلقة مفرغة لا نهاية لها"[1].

وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا الوضع الذي خلّفته الانتفاضة على نفسية الأطفال الإسرائيليين، حيث عادوا ليذّكرون آباءهم بالكابوس الوجودي للآخر (العربي) الذي ظهر بقوة بعد حرب ١٩٦٧:

"الآن، يستيقظ أبناؤنا كل ليلة، ويأتون إلينا في الفراش، فمع كل هزة يشعرون بأن الفلسطينيين سيطلقون علينا النار. لقد صارت الحياة كابوسًا"[2].

هذا الوضع النفسي والمأسوى جعل "أدير برجسون" يرفض إنجاب الأطفال في عالم مليء بالمخاطر:

"إنني لا أرغب في إنجاب أطفالاً إلى هذا العالم. هل تدركين ذلك؟ إنه أمر خطير"[3].

وهكذا، بدا هذا الواقع النفسي المؤلم الذي عاشه الآخر (الإسرائيلي) إبان فترة الانتفاضة؛ التي حولت حياته كابوسًا وجعلته قلقًا بشأن أبناءه، حتى قبل أن ينجبهم؛ لأنهم قد يدفعون ثمن ذلك الصراع المزمن بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وهو أمر تستمده الكاتبة ـ "كاستل بلوم" ـ من الواقع الفعلي الذي عاشه الإسرائيليون ومارسوه مع أبناءهم، فقد كانوا يعلمونهم كيف يواجهون الانتفاضة، وكيف يتصرفون حال حدوث إحدى العمليات، فهي تقول: "لقد دربّت أبني كيف يفر هاربًا وقت حدوث انفجار . . . وقلت له: تصور أنني ناشط وأخذت وضع الاستعداد لإطلاق النار عليك، فماذا تفعل، فأجاب: أنبطح أرضًا على الفور. وهكذا قلت لأبنائي إذا رأيتم ناشطًا يُفجر نفسه أو سيارة مفخخة فلتقرأون: شمع يسرائيل"[4].

ويذكر، أن الوضع النفسي لكثير من الشباب الإسرائيليين قد تأثر بصورة ملحوظة إبان فترة انتفاضة الأقصى، فطبقًا لتقارير أوردتها بعض الصحف الإسرائيلية، فقد شعر بعض

(١) أنظر: עיתון מעריב، ١٥/ ٩/ ٢٠٠٣ـ أنظر صحيفة معاريف، ١٥/ ٩/ ٢٠٠٣.

(٢) אורלי קסטל־בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'٢٠٢)ـ أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، (ص٢٠٢).

(٣) שם، (עמ'١٨٩)ـ نفس المرجع (ص١٨٩).

(٤) נרי ליבנה: האינתפאדה הפרטית שלי، שםـ نيرى ليفناه: انتفاضتي الخاصة، مرجع سابق.

الشباب الإسرائيلي بنوع من الكبت من فرط خوف الآباء عليهم وحذرهم الشديد. وانعكس هذا بصورة ملحوظة في أحداث الرواية، فها هي، "فنتورا"، إحدى شخصيات الرواية، تسمى أبناءها (عوز) و(أوشر) و(حيروت) وهى كلمات عبرية تعنى (الملاذ) و(السعادة) و(الحرية):

"انتظروا هنا أيها الأبناء، عوز، وأوشر، وحيروت، سأعود على الفور"[1].

وهكذا، يبحث الآخر(الإسرائيلي) عن "الملاذ" الذي يحميه من عمليات الانتفاضة، وعن "السعادة" التي يفتقدها على هذه الأرض، التي من المفترض أنها حدوده الآمنة كما وعدته الصهيونية، ويبحث كذلك عن "الحرية"، حرية التنقل والحركة والتنزه دون خوف أو قلق. وهى أمور حرم منها بفعل الهوس الأمني والخوف على الأرواح، بيد أن (فوبيا) الملامح العربية بدت تتسلل إلى نفوس الكثيرين من الإسرائيليين، لا سيما وقد دب الفزع والرعب في نفوسهم إلى حد الخوف ممن يتميز بملامح شرقية:

"تستقل ايريس فنتورا أتوبيسًا في طريق عودتها إلى المنزل، وتشتبه في رجل ذي ملامح شرقية يجلس بجوارها ويحمل حقيبة كبيرة، فتظن أنها متفجرات، فتنسحب في هدوء وتصل إلى السائق، وتبلغه، فيأخذ منحنى الطريق جانبًا، ثم يصرخ في الركاب بأن فرامل الأتوبيس لا تعمل ويفتح الأبواب، فيهرع الركاب إلى النزول وينزل الرجل ذو الملامح الشرقية ويبتعد الجميع عنه في حالة من الذهول والرعب، ثم يصرخ السائق في الرجل ويطرحه أرضًا، ويمسك به بعض الركاب، وتأتى الشرطة الإسرائيلية وتغلق المنطقة، وتقوم بتفتيش الرجل؛ ثم يتضح أنه إسرائيلي ذو ملامح شرقية، مثل كثير من الإسرائيليين، طردته زوجته من البيت فأخذ ملابسه ووضعها في تلك الحقيبة الكبيرة التي أثارت شكوك وفزع الركاب"[2].

هذا المشهد الساخر الذي أتت به "بلوم" في روايتها هذه، يبين لنا مدى الفزع والهلع الذي أصاب جموع الإسرائيليين إبان أحداث الانتفاضة وازدياد وتيرة العمليات الاستشهادية، وهو نتيجة طبيعية للهوس الأمني وحالة الاستنفار في الأجهزة الأمنية والجيش الإسرائيلي الذي أهاب بالمواطنين بعدم التراخي والإبلاغ عن أية حالة يرتابون فيها:

"كانت صفارات الإنذار حول العمليات الفلسطينية في كافة أنحاء البلاد أمرًا عاديًا،

---

(١) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'١٣٧)- أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، (ص١٣٧).

(٢) שם، (עמ'١٣٠)- نفس المرجع (ص١٣٠).

فقد قامت أجهزة الأمن بتحذير المواطنين من التقاعس والإهمال، وأهابت بهم أن يكونوا يقظين لأية حركة تثير الريبة من قبل سيارة أو رجل أو امرأة"[١].

وامتد هذا الفزع النفسي -كما تشير كاستل بلوم في روايتها- إلى وسائل الإعلام التي أذاعت أغاني وطنية لتشجيع المواطنين على الصبر والتماسك والثقة في بلدهم، مثل أغنية "ليس لي بلاد أخرى" للمطرب كوريان آلال، وكذلك أغاني ألفت خصيصًا لمواجهة انتفاضة الأقصى، مثل "من عليه الدور ومن في الدور القادم؟"[٢] للمطرب "يهودا بوليكر" في إشارة إلى ازدياد عدد القتلى الإسرائيليين من جراء العمليات الاستشهادية التي يقوم بها النشطاء الفلسطينيون، حيث تشير التقارير الرسمية إلى أن "عدد القتلى الإسرائيليين إبان العامين الأولين من انتفاضة الأقصى قد بلغ ٦٤٤ قتيلاً، فيما بلغ عدد الإصابات إلى ٤١٣٧ جريحًا، في حين أسفرت العمليات الاستشهادية خلال الثلاثة شهور الأخيرة من عام ٢٠٠٢ عن ٣٧ قتيلاً و٨٧٣ جريحًا إسرائيليًا"[٣].

وهكذا، كان للانتفاضة الفلسطينية دور كبير في زعزعة الاستقرار النفسي للآخر (الإسرائيلي) داخل المجتمع الإسرائيلي، وبات الإسرائيليون في حالة بحث دائم عن الأمن المفقود والاستقرار النفسي، عبرت عنه الكاتبة من خلال بعض شخصيات الرواية التي نسجت حبكتها من واقع إسرائيلي حقيقي، وهو الواقع النفسي الذي قد لا يعبأ به السياسيون الإسرائيليون في إدارة دفة الصراع مع الفلسطينيين.

وتعلق الناقدة الإسرائيلية ايلانة ميلاميد على هذا الواقع بقولها: "لقد صورت هذه الرواية، بواقعية شديدة، خطوطًا عريضة لعالمنا، وبدا أمامنا عالم (النحن)، فنحن مكتئبون، ومنعزلون، وجائرون، ومستهترون، ومذهولون، وبائسون، ومنغلقون على أنفسنا. إننا حين نتحدث ننطق بما هو خطأ. لقد غرقت البلاد في كل أنواع المخلفات"[٤].

ومن الأهمية بمكان، أن نشير هنا إلى أن هذه الرواية لم تشر إلى ردود الأفعال الإسرائيلية تجاه العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون، من قتل وسفك دماء للنساء والأطفال والشيوخ وتدمير وغلق للمناطق الفلسطينية المحتلة بعد كل عملية، فقد

---

(١) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'236)- نفس المرجع (ص236).

(٢) שם، (עמ'٢٦٠)- نفس المرجع (ص٢٦٠).

(٣) إسماعيل عبد اللطيف الأشعر، مؤمن محمد بسيسو: حصاد الانتفاضة، مركز الإعلام العربي، القاهرة ومركز النور للبحوث والدراسات، غزة، ٢٠٠٣، (ص١١).

(٤) אריאנה מלמד: המציאות היא עובדה בשטח، עיתון ידיעות אחרונות، 2002/ 3/ 29- آريانا ميلاميد: (الوقع حقيقة ملموسة)، صحيفة يديعوت احرونوت، ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢.

ركزت فقط على الجانب الإسرائيلي وصارت على نهج الإعلام الإسرائيلي في الإشارة إلى النشطاء الفلسطينيين بكلمة מחבל "مخبل" التي تعنى (مخرّب) في اللغة العربية، وإلى العمليات الاستشهادية بكلمة פיגוע "بيجوع" التي تعنى (عملية تخريبية) في اللغة العربية أيضًا، وهى معان أو دلائل يكمن فيها ظلم وغبن للفلسطينيين الذين يدافعون عن أرضهم وحقوقهم المغتصبة، وتشير إلى المكنون النفسي تجاه الآخر (الفلسطيني) بالنسبة للآخر (الإسرائيلي) حتى لو كان أديبًا مرهف الحواس، من المفترض أن يكون منصفًا في رصده لظواهر اجتماعية أو سياسية، لاسيما وأن أحداث الرواية مستمدة من الواقع الحقيقي لأحداث الانتفاضة وتداعيتها.

هكذا، لم تفعل "بلوم" ما فعله آخرون من المفكرين والأدباء الإسرائيليين. "لقد أصبح العديد منهم يتفهمون لجوء الفلسطينيين إلى العمليات الاستشهادية، كما هو الحال مع الأديبة الشهيرة باتيا جور، التي أكدت أنها تتفهم أن يلجأ الفلسطينيون المحرومون من القدرات التقنية العسكرية التي تتمتع بها إسرائيل إلى العمليات الاستشهادية لكي يحسنوا من أدائهم في المواجهة. حتى رئيس الوزراء الإسرائيلي باراك بعد تسريحه من الجيش عام ١٩٩٤، قال (لو ولدت فلسطينيًا لاخترت الانضمام إلى منظمات المقاومة). وصور الفداء الفلسطيني جعلت حاييم جوري أشهر الشعراء في إسرائيل يتذكر كلمات رئيس وزراء إسرائيل الأول دافيد بن جوريون أمام مركز حزب مباي في عام ١٩٣٥ عندما اعتبر أن ثورة الشيخ عز الدين القسام كانت أكبر مظهر أخلاقي يجلب الاحترام للعرب في ذلك الوقت، بسبب اعتمادها على التضحية بالنفس كمنطلق لتحديد الأهداف"[١].

وربما يذكرنا هذا الموقف للأديبة الإسرائيلية كاستل بلوم بطبيعة الأدب العبري المجند الذي حمل الفكرة الصهيونية على أكتافه وروج لها وعبر بها إلى حيز الوجود قبل قيام دولة إسرائيل، كذلك كانت "بلوم" في موقف الترويج لفكرة تشويه الآخر (الفلسطيني) في الأدب العبري الإسرائيلي ووضعه في مرتبة المخربين والإرهابيين الذين يقومون بترويع الآمنين وزعزعة استقرار المجتمع الإسرائيلي، وكأن ما تفعله قوات الاحتلال الإسرائيلية في المناطق المحتلة ضد الفلسطينيين، من قتل وتصفية جسدية وغلق للمناطق وهدم للمنازل الفلسطينية، بعيدًا تمامًا عن التخريب والإرهاب.

(١) أنظر: http://www.naamy.net/index.php

ثانيًا: المحور الاجتماعي والاقتصادي:

جاء في كتاب "الحرب السابعة" لآفي سيخاروف، مراسل الشئون الفلسطينية والعربية للإذاعة الإسرائيلية باللغة العبرية، وعاموس هارئيل المراسل العسكري لصحيفة هآرتس الإسرائيلية؛ "أن انتقال الفلسطينيين لتنفيذ العمليات الاستشهادية كان ضرورة يمليها واقع ميزان القوى بين الجانبين. فالاختلال الهائل في موازين القوى العسكرية بين الفلسطينيين ودولة إسرائيل، دفع حركات المقاومة الفلسطينية إلى الاعتماد على العمليات الاستشهادية، حيث أصبح الاستشهاديون قنابل بشرية للرد على فعل طائرات الاف ١٦ ودبابات الميركفاة. وكانت العمليات الاستشهادية هي الفعل المقاوم الفلسطيني الأبرز الذي ترك أثاره على المجتمع الإسرائيلي. فالعمليات الاستشهادية حصدت أرواح معظم الإسرائيليين الذين قتلوا أثناء الانتفاضة. لقد طالت العمليات الاستشهادية تقريبًا كل المرافق التي يتوجه إليها الإسرائيلي العادي، فقد تم تفجير حافلات النقل والمطاعم والملاهي والفنادق. ويؤكد المؤلفان أن الاستشهاديين ومرسليهم نجحوا في بث الذعر والإحباط الجماعي داخل طبقات كثيرة في المجتمع الإسرائيلي. وكان للعمليات الاستشهادية الدور الأساسي في تغيير أنماط حياة الجمهور الإسرائيلي. فقد قلل الإسرائيليون من الخروج لمرافق الترفيه والتسوق"[(١)].

وكان من الطبيعي مع تصاعد وتيرة انتفاضة الأقصى وازدياد العمليات الفلسطينية ضد المنشآت والأتوبيسات داخل إسرائيل، أن تستنفر أجهزة الأمن الإسرائيلية ومعها الجيش لمواجهة هذا الخطر الداهم الذي روع المجتمع وبث الذعر في نفوس ساكنيه. وهو الاستنفار الذي كلّف الحكومة الإسرائيلية الكثير من الجهد والمال، وهو ما أثر بالسلب على الوضع الاجتماعي لكثير من الأسر الفقيرة داخل إسرائيل، فقد أرهقت الانتفاضة الفلسطينية الميزانية العامة للدولة، من جراء المخصصات الجسيمة التي اقتطعتها الحكومة الإسرائيلية من بعض الوزارات لصالح القطاع الأمني.

إن طبيعة إسرائيل كدولة تعيش على دعم يهود الشتات، يحتم عليها أن تعول على الكثير من مصادرها لضمان عيش اليهود المهاجرين إليها بمستوى راق، ولجذب يهود العالم للمجيء إليها. فمنذ أن خططت الحركة الصهيونية لإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين، أدركت أنه مع توالي الأيام والسنين، فإن حماس اليهود للانتقال من البلدان التي نشئوا فيها إلى هذه الدولة سيفتر، إذا ما وضع هؤلاء اليهود في حساباتهم أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية، وهو المعيار الذي سيدفع هذا اليهودي أو ذاك، للهجرة إلى إسرائيل.

(١) أنظر: http://www.naamy.net/index.php

مـن هـنا تكمـن أهمـية ترغيب يهود الشتات وإغراءهم بكثير من المغريات الاقتصادية لتشجيعهم على الهجرة، فعلى سبيل المثال، تحدد إسرائيل مخصصات الضمان الاجتماعي للطفـل الأول والطفـل الثانـي، وهناك مخصصات للأسر كثيرة الأولاد، ومخصصات كبيرة نـسبيا للعاطلين عن العمل وذوي الحاجات الخاصة والفقراء، إلى غير ذلك من المخصصات الاجتماعية.

وحتى نعرف حجم الأنفاق الحكومي في إسرائيل على مخصصات الضمان الاجتماعي، فإنـه مـن الأهمية أن نذكر أن موازنة الضمان الاجتماعي التي تشرف عليها وزارة التضامن الاجتماعـي تعـد أكـبر مـن موازنة الأمن، "ففي حين أن موازنة الأمن للعام ٢٠٠٣ كانت ثلاثـين ملـيار شـيكل فـإن موازنة الضمان الاجتماعي بلغت ٤٥ مليار شيكل" [١] لكن في موازنة العام ٢٠٠٤، فإن إسرائيل، نظرا لمتطلبات مواجهة انتفاضة الأقصى، أمنيا، قامت بتقلـيص مـوازنة الـضمان الاجتماعـي بخمـسة ملـيارات شـيكل، وعملـت علـى تقليص المخصـصات الـتي تقـدمها لـ "مـواطني" الدولـة، الأمـر الـذي أدى إلى تضرر الطبقات الـضعيفة، الـتي تـشكل معظـم الـسكان فيما يعزف بـ" مدن التطوير"، الواقعة في أطراف الدولـة الـشمالية والجنوبـية، والـتي معظـم سـكانها من الطبقات الفقيرة الذين ينتمون إلى أصـول شـرقية، أو أنهـم مهاجرون جدد من روسيا[٢]. وبالتالي، كانت انتفاضة الأقصى سببًا مباشرًا في تأثر الكثير من الأسر الإسرائيلية الفقيرة بهذا الوضع، فازداد فقرهم وزادت معاناتهم، في الوقت الذي وضعت فيه الدولة أولوية الأمن فوق كل اعتبار.

وقـد أظهـرت "كاسـتل بلـوم" في روايتها، محل الدراسة، كيف التهم الوضع الأمني المـوارد الاجتماعـية للدولـة، فانتشر الفقر وزاد عدد الإسرائيليين الذين يعيشون تحت خط الفقـر في ظـل الانتفاضة الفلسطينية المستمرة، ونشر التقرير السنوي لمعدل الفقر في إسرائيل في شـتى وسائل الإعلام وأظهر أعدادًا ضخمة من الأسر التي تعيش تحت خط الفقر، "إنها أسـر تعـيش بالكـاد"[٣]، كمـا أن الـسياحة قـد تأثـرت بصورة ملحوظة، "حيث توقفت الرحلات الجوية إلى إسرائيل، وأصبحت الطائرات شبه فارغة"[٤].

هـذه الحقائـق استمدتها الأديبة من الواقع الفعلي لأحداث الانتفاضة، وتداعيتها على

---

(١) עיתון ידיעות אחרונות ٢٣-١١-٢٠٠٣ - صحيفة يديعوت احرونوت، ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٣.

(٢) שם - نفس المرجع

(٣) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'١٥)- أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، (ص ١٥).

(٤) שם، (עמ'١٦٧)- نفس المرجع (ص١٦٧)..

معدل النمو الاقتصادي والاجتماعي داخل إسرائيل، "فطبقًا لتقارير رسمية، ارتفع عدد الإسرائيليين الذين يعيشون تحت خط الفقر، بعد شهور قليلة من اندلاع انتفاضة الأقصى إلى ١,٥ مليون فرد في عام ٢٠٠١، مقارنة بحوالي ١,١٦ مليون فرد عام ٢٠٠٠. كما ارتفعت معدلات البطالة في الربع الثالث من عام ٢٠٠١ إلى ٩,٣٪، في الوقت الذي بلغ فيه معدل النمو الاقتصادي في عام ٢٠٠٠ حوالي ٦٪، وعليه فإن معدل النمو الاقتصادي لن يتجاوز عام ٢٠٠١ حاجز ٢,٥٪"[1].

وتمضى أحداث الرواية لتؤكد على هذه التقارير الرسمية في رصد حقيقي لتأثر الآخر (الإسرائيلي) بانتفاضة الأقصى على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، فجاء على لسان القاص في الرواية:

"أفاضت نشرات الأخبار، لأول مرة، في تحليل التقرير السنوي لحالة الفقر في إسرائيل، حيث وصف الوضع بأنه جد خطير وصعب، وكشف عن أعداد كبيرة للغاية من الأسر التي تعيش من تحت خط الفقر"[2].

ويرجع القاص حالة الفقر إلى الوضع الأمني الذي التهم الموارد الاجتماعية للدولة، وإلى الحكومة التي لم تبذل جهدًا لتعويض المتضررين:

"التهم الوضع الأمني تلك الموارد التي كانت مخصصة لكثير من الأسر، التي تضررت من تلك الأعمال العدائية . . . وافتقدت لكثير من حاجاتها الأساسية مثل: المعاطف الثقيلة، والبطاطين، والقفازات، وأحذية المطر، والمظال، والقبعات الصوفية. وهي أشياء ضرورية لمواجهة تلك الظروف الجديدة التي فرضتها حالة الجو"[3].

ولعل تركيز "كاستل بلوم" على الوصف الدقيق لحالة الجو، جاء ليشير إلى حالة المجتمع الإسرائيلي في ظل أحداث انتفاضة الأقصى التي وصفها المحللون الإسرائيليون بأنها رهان الشعب الفلسطيني على الصمود والتحرر من نير الاحتلال والقمع، لاسيما وأن "بلوم" بدأت روايتها بوصف لشتاء قارس ورياح عاتية لم تشهدها إسرائيل من قبل، في إشارة إلى انتفاضة الأقصى التي أسقطت الكثير من أوراق التوت عن سياسة العدوان والغبن والقهر التي تنتجها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني على أرضه.

وإمعانا في تصوير حالة الفقر وزيادة معدلاته يعطى لنا القاص صورة واقعية لـ "قطي

---

(١) עיתון הארץ، ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠١ـ صحيفة معاريف، ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠١.

(٢) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'١٥)ـ أورلي كاستل بلوم: أشلاء، رواية، (ص ١٥).

(٣) שם، (עמ'١٦)ـ نفس المرجع (ص١٦).

بيت هاحمي"، تلك الأم التي ضربها الفقر هي وأبناءها الأربعة، وكانت ضحية لالتهام الأمن للموارد الاجتماعية:

"وصل أبناؤها الأربعة إلى حجرة الاستقبال وهم متلفعون ببطاطين صوفية قديمة وممزقة. كانوا يرتعدون بردًا وعطشون نومًا"[1].

ويواصل القاص وصفه للمنزل الذي تعيش فيه تلك الأسرة والأثاث الذي يحتويه:

"كانت هناك ثلاجة قديمة، وفارغة تقريبًا، تقبع بجوارها منضدة طعام صغيرة، فقدت إحدى أرجلها... وفي المطبخ كانت المغسلة عليها جبل من الصحون والأواني التي لا يمكن تنظيفها، لأن منظف الأواني نفذ... وفي غرفة الأطفال، كان الأبناء الأربعة ينامون على ثلاثة مخادع ويتغطون ببطانيتين فقط... أما في غرفة الأبوين، فقد كانا ينامان أيضًا على مخدع واحد وجداه بالشارع في صيف العام الماضي"[2].

وكان قطاع السياحة، من أشهر القطاعات التي تأثرت بالانتفاضة الفلسطينية، الأمر الذي زاد من حالة الركود في الاقتصاد الإسرائيلي:

"لقد ألغيت الكثير من رحلات الطيران القادمة إلى إسرائيل، وقلقت شركات الطيران الغربية على سلامة عملاءها"[3].

وفي حقيقة الأمر، كان قطاع السياحة في إسرائيل من أهم القطاعات التي تأثرت بأحداث الانتفاضة، حيث انخفض عدد السائحين بما يزيد عن ٥٠٪، وتم إغلاق أكثر من عشرين فندقًا وتسريح عدد لا بأس به من موظفي قطاع السياحة في إسرائيل، واعتبر البنك الإسرائيلي في تقرير له، أن حالة الركود الاقتصادي وصلت إلى حد غير مسبوق منذ عام ١٩٨٣، وأفاد التقرير نفسه أن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الإسرائيلية لمواجهة الانتفاضة تشير إلى زيادة كبيرة في معدل الأنفاق العام بحيث وصل إلى ما يزيد عن ٥٤٪ من الناتج القومي"[4].

وهو أمر كان قد أكد عليه رئيس اتحاد أصحاب الفنادق الإسرائيلية، بقوله: "إن السياحة الوافدة لإسرائيل في الأشهر القادمة ستكون صفرا، وقتها سيكون من الصعب تقدير عدد الفنادق التي سيتم إغلاقها، وتقدير عدد العمال الذين سيتم إقالتهم، ولكن من الواضح أنه إذا لم يكن هناك حل سريع فإن عمليات تسريح العمالة ستشمل الآلاف"[5].

---

(١) אורלי קסטל־בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'17)ـ نفس المرجع (ص17).

(٢) נא לעיין: שם، (עמ'١٩ـ١٨)ـ نفس المرجع (ص١٨ـ١٩).

(٣) שם، (עמ'٢٩)ـ نفس المرجع (ص٢٩).

(٤) עיתון הארץ، ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠١ـ صحيفة هاآرتس٢٣/ ١٢/ ٢٠٠١.

(٥) עיתון מעריב، ١/ ٤/ ٢٠٠٢ـ صحيفة معاريف، ١/ ٤/ ٢٠٠٢.

وهكذا، كان للانتفاضة الفلسطينية أثرها المباشر على السياحة بنوعيها الخارجية والداخلية وتراجع عدد الزائرين، حيث "انهارت السياحة كنتيجة طبيعية لعمليات المقاومة في العمق الإسرائيلي من حيث التفجيرات الاستشهادية. وحسب التقارير المعلنة، فإن أعداد السائحين انخفضت بنسبة تفوق ٦٠ في المائة عن الأعوام السابقة للانتفاضة. وعلى سبيل المثال، خسرت شركة العال الإسرائيلية للطيران مئات الملايين من الدولارات فقط من جراء الانتفاضة، وقد وصف المدير العام للجمعية الإسرائيلية لأصحاب الفنادق آفي روزنتال تأثير الانتفاضة بأنها "الأزمة الأكثر والأطول زمنا بين كل ما شهدناه، والأسوأ من ذلك أننا لا نرى لها نهاية في الأفق"[١].

وكان للوضع الاجتماعي والاقتصادي السيىء، الذي شهدته إسرائيل خلال سنوات الانتفاضة، وقعه الملموس على فرص العمل بإسرائيل، حيث عانى الكثيرون من قلة فرص العمل وازدادت معدلات البطالة، فها هي "تاساروا" تندب حظها وحظ أخويها اللذين جاءا من إثيوبيا إلى إسرائيل، وانضما إلى حزب العاطلين:

"الآن، ليس لديهما فرصة عمل"[٢].

وتعتبر مشكلة البطالة من أهم المشاكل التي تسارع الحكومة الإسرائيلية بوضع الحلول الفورية لها، في إطار سياسة الإغراءات التي تتبعها والتي من شأنها أن تجذب جموع اليهود للهجرة إلى إسرائيل. وعلى هذا، فإن أزمة البطالة هي من أخطر الأزمات التي يواجهها مخطط السياسة الإسرائيلية، وتجعله يسعى للخروج منها بأقصى سرعة ممكنة حرصاً منه على تشجيع اليهود عند استقدامهم كمهاجرين جدد إلى إسرائيل، لا سيما وأن هذا المجتمع قائم ومعتمد بشكل أساسي منذ نشأته وإلى الآن على استقدام المهاجرين، ويروج دائما لقدرته على امتصاص هذه الهجرات وتوظيفها. "ورغم كل تلك البواعث لم تستطع الحكومة الإسرائيلية الحد من هذه المشكلة، أو حتى تجميدها، حيث أشارت التوقعات، آنذاك، إلى استمرار هذه الأزمة، فنسبة البطالة أخذت في اتجاهها التصاعدي إبان انتفاضة الأقصى لترتفع من ٨,٨٪ عام ٢٠٠٠ إلى ٩,٣٪ عام ٢٠٠١ ثم إلى ١٠,٥٪ عام ٢٠٠٢ كما تشير تقديرات صندوق النقد الدولي"[٣].

---

(١) يوسف شلي: ثلاث سنوات على انتفاضة الأقصى: إسرائيل أقل أمنا.. أكثر خوفا، مجلة (العصر)، ٢٤-٩-٢٠٠٣.

(٢) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ' ١٨٠)- أورلي كاستل بلوم: أشلاء، رواية، (ص١٠٨).

(٣) أنظر: تأثيرات أداء اقتصاد إسرائيل على خياراتها السياسية والعسكرية http://www.ahram.org.eg/acpss

كما تشير التقارير الاقتصادية الرسمية في إسرائيل إلى "ارتفاع عدد العاطلين في إسرائيل عام ٢٠٠١ إلى ٢٢٠ ألف عاطل بعد أن كان مخططا لهذا العدد أن يكون ٢١١ ألف عاطل، وذلك رغم تعهد الحكومة في أكثر من مناسبة أنها ستخلق عشرات الآلاف من الفرص. . . وقد بدأ هذا الانحدار في مؤشرات أداء الاقتصاد الإسرائيلي تحديدا منذ الربع الرابع من عام ٢٠٠٠، نتيجة للصدمات التي اجتاحت إسرائيل سواء من الداخل متمثلة في اندلاع انتفاضة الأقصى في سبتمبر ٢٠٠٠ (السبب الرئيسي للانحدار)، وما ترتب عليها بعد ذلك من اعتداءات عسكرية إسرائيلية على الأراضي الفلسطينية"[1].

وهكذا، كان لانتفاضة الأقصى أثر كبير من الناحية الاجتماعية والاقتصادية على الآخر (الإسرائيلي) الذي غدا يجنى ثمار العنف والقسوة ضد الآخر (الفلسطيني)، فتأثر اجتماعيًا واقتصاديًا، فجاءت هذه الانتفاضة لتعصف بمقدرات المجتمع الإسرائيلي وتحمله إلى أزمة اقتصادية عميقة، وتضعه على أهبة الاستعداد والترقب والحذر من المصير المجهول.

ثالثًا: المحور السياسي:

تعرضت إسرائيل لعدة مواقف أدت لاختلالها الأمني منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في سبتمبر ٢٠٠٠ وبشكل لم تتعرض له منذ قيامها عام ١٩٤٨، حيث تهدد أمن إسرائيل من الداخل، عكس كل الأوضاع التي شكلت ملامح الحروب الإسرائيلية ـ العربية في الماضي. والتي كانت تدخلها إسرائيل ضمن مبدأ أو استراتيجية الحدود الآمنة.

وقد استدعى هذا التهديد الداخلي للمجتمع الإسرائيلي ذاكرة الحروب التي خاضتها إسرائيل منذ قيامها، وتساءل الكثيرون عن جدوى الاتفاقيات، وخاصة أوسلو، ما لم تحقق الأمن المنشود لليهود، وأكد كثير من المحللين الإسرائيليين أن انتفاضة الأقصى أشد خطرًا وفتكًا بالمجتمع الإسرائيلي من الحروب السابقة، لأن هذه الانتفاضة تدور بالداخل ومجهولة الزمان والمكان.

ويمكن القول، إن انتفاضة الأقصى مثلت اختبارًا صعبًا للحكومة الإسرائيلية، التي غدت المسئول الأول عن أمن المجتمع الإسرائيلي، لاسيما وقد أدت هذه الانتفاضة إلى استدعاء أجواء حرب ١٩٤٨، ومثلت منعطفًا خطرًا في الحياة السياسية لإسرائيل، وفي اتخاذ الحكومة للقرارات المصيرية، وإدارتها للصراع العربي الإسرائيلي بكافة مستوياته.

وتؤكد المؤرخة والمحققة الإسرائيلية تانيا راينهارت في كتابها (أكاذيب عن السلام ـ

---

(١) تأثيرات أداء اقتصاد إسرائيل على خياراتها السياسية والعسكرية، مرجع سابق.

حرب باراك وشارون ضد الفلسطينيين) على "أن إسرائيل لو توقفت عما اقترفته من تطهير عرقي في عام ١٩٤٨ لكان من الممكن التعايش مع ذلك، لكنها واصلت التطهير العرقي الذي تعاظم بعد التوقيع على أوسلو، وفي خضم الانتفاضة. لقد استغلت إسرائيل انتفاضة الأقصى لممارسة أكبر قدر من القمع ضد المدنيين الفلسطينيين من أجل إجبارهم على الفرار. ونظر القادة العسكريون إلى الحرب التي يخوضونها ضد الانتفاضة على أنها مكملة للحرب التي خاضتها إسرائيل عام ١٩٤٨، ونجحت في تشريد نصف الفلسطينيين من أرضهم، وقررت استكمال المهمة وطرد البقية خلال انتفاضة الأقصى "[١].

وقد أدت هذه الأجواء لردود فعل عنيفة من الحكومة الإسرائيلية (الممثلة لأغلبية توجهات الشعب الإسرائيلي) من خلال القيام بحملات عسكرية لا حصر لها على المناطق التابعة للسلطة الفلسطينية، مستخدمة مختلف الأسلحة والماكينات العسكرية من طائرات ودبابات ومجنزرات وبوارج بحيث اكتملت أوجه الآلة العسكرية برا وبحرا وجوا.

وسار هذا الأداء العسكري بالتوازي مع تزايد حجم الإحساس بالخطر الذي اجتاح الشوارع والميادين الإسرائيلية نتيجة للعمليات الاستشهادية الفلسطينية، التي هزت إسرائيل من الداخل بشكل عنيف لم تشهده من قبل، والتي أتت بدورها تعبيرا عن بلوغ صبر الشعب الفلسطيني مداه في انتظار الحلول السياسية.

" إن الظروف التي سادت قبل اندلاع انتفاضة الأقصى لم تدع أمام الفلسطينيين سبيلاً إلا محاولة استخدام العمل المسلح لوقف الاستيطان، لأنهم لم يخوضوا غمار انتفاضة الأقصى، إلا بعد أن تحرروا من الوهم الذي زرعته اتفاقيات أوسلو التي وقعت في العام ١٩٩٣، حيث اعتقدوا أن احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة الذي بدأ في العام ١٩٦٧ أوشك على نهايته، وآمنت قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني بأن اتفاقيات أوسلو، ستؤدي إلى انسحاب إسرائيلي من المناطق المحتلة وإقامة دولة فلسطينية. لكن الأمور لم تسر على هذا المنوال. وصعق الفلسطينيون عندما اكتشفوا أن القيادة السياسية لمعسكر اليسار الإسرائيلي التي كانت تتولى مقاليد الأمور في إسرائيل قبيل وعند اندلاع انتفاضة الأقصى، حولت روح أوسلو التصالحية إلى وسيلة جديدة أكثر إحكامًا لمواصلة الاحتلال "[٢].

وهكذا، يرجع البعض حالة التدهور الأمني التي وصل إليها المجتمع الإسرائيلي إبان الانتفاضة إلى تصرفات الحكومة الإسرائيلية ومماطلتها في تنفيذ الاتفاقيات الموقعة مع

---

(١) أنظر : http://www.naamy.net/index.php

(٢) نفس المرجع

الفلسطينيين، وتوسيع الاستيطان، والإفراط في استخدام القوة ضد الأطفال والنساء، وعدم الإذعان إلى النداءات الدولية.

ويعول بعض المحللين السياسيين في إسرائيل على الساسة الإسرائيليين في مسألة انطلاق شرارة انتفاضة الأقصى، حيث "تؤكد المؤرخة الإسرائيلية راينهارت على أن رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود براك الذي اندلعت انتفاضة الأقصى في عهده هو الذي يتولى الجزء الأساسي من المسؤولية عن اندلاع الانتفاضة لعدم جديته في التوصل لتسوية سياسية مع الشعب الفلسطيني، على الرغم من الضجيج الذي أثاره حول تحركاته السياسية. وتضيف راينهارت أنه بخلاف الانطباع الذي حاول رسمه حول نفسه، وساعدته في ذلك وسائل الإعلام الإسرائيلية المجندة، فإن براك لم يتطلع في قرارة نفسه إلى تحقيق مصالحة مع الفلسطينيين. فخلال مؤتمر كامب ديفيد الذي سبق اندلاع انتفاضة الأقصى، ماطل باراك ولم يكن جديًا في التوصل لتسوية سياسية"[1].

وربما كان هذا سببًا في سقوط باراك في الانتخابات الإسرائيلية التي جرت في فبراير ٢٠٠١ ونجاح أريئيل شارون رئيسًا للوزراء، وهو واحد من أكثر السياسيين في الشرق الأوسط تأثيرًا وإثارة للجدل ونزوعًا إلى العدوان، حيث كانت انتفاضة الأقصى هي العامل الرئيس في إسقاط باراك. وقد مثلت هذه الانتفاضة مفاجأة حقيقية لمعظم اليهود الذين أقنعهم السياسيون الإسرائيليون ووسائل الإعلام الإسرائيلية التي صورت مقترحات باراك على أنها "شديدة السخاء". وأعرب زعماء إسرائيليون كثيرون عن شعورهم "بالصدمة" للانفجار "الفجائي" للعنف في الأراضي المحتلة.

وفي إطار هذا الجدل السياسي الذي شهده المجتمع الإسرائيلي، علق الأديب الإسرائيلي عاموس عوز، وأحد أنصار حركة "السلام الآن"، على صفحات جريدة الجارديان، عقب الانتخابات، قائلا أن "خسارة اليسار الإسرائيلي للانتخابات تقع بأمانة على عاتق الانتفاضة. إن الفلسطينيين يطلبون العدل، والعدل يتطلب صراعًا أبديًا في حين أن السلام يتطلب حلولاً وسطى"[2].

وقد انعكس هذا الوضع السياسي الشائك في هذه الرواية، محل الدراسة، وبدا الارتباك السياسي واضحًا في أحداثها:

---

(١) أنظر: http://www.naamy.net/index.php

(٢) עיתון ידיעות אחרונות ١٥-٢-٢٠٠١- صحيفة يديعوت احرونوت، ١٥/ ٢/ ٢٠٠١.

"كان السياسيون في حالة ارتباك تجاه هذا التصعيد المتزايد"(١).

فلم تجدي مناقشات الحكومة في توقيف الانتفاضة:

"استمرت المناقشات داخل الحكومة حول العمليات والمصابين، ولكنها لم تسفر عن شيء"(٢).

وتلقى "بلوم" على لسان القاص، بمسئولية هذا التصعيد على السياسة الإسرائيلية التي وقفت عاجزة أمام السيارات المفخخة، ووضعت المجتمع الإسرائيلي على حافة الانهيار الأمني:

"كانت السياسة الإسرائيلية سببًا في حالة التدهور الحاد التي وصل إليها المواطنون، وأدت إلى مزيد من العمليات والسيارات المفخخة"(٣).

وقد عبرت "بلوم" عن طبيعة رفض المجتمع الإسرائيلي لسياسة الحكومة من خلال نسج شخصية "رؤفين تاقوع" رئيس الدولة في الرواية. هذه الشخصية لا هم لها سوى زيارة جرحى الانتفاضة ودفن ضحاياها، وكأن دور رئيس دولة إسرائيل هو زيارة الجرحى في المستشفيات والمشاركة في الجنازات فقط:

"كان يهرول من جنازة إلى أخرى، ثم يتوجه إلى أحد المستشفيات لزيارة جرحى الانتفاضة . . . لقد حضر تاقوع خمس جنازات في أسبوع واحد"(٤).

وهي حقيقة يؤكد عليها سخاروف وهاريئيل في كتابهما (الحرب السابعة) حيث يرسمان "صورة قاتمة للأوضاع السياسية والاجتماعية في الدولة في ذروة تنفيذ العمليات الاستشهادية في الأعوام ٢٠٠١ و٢٠٠٢ و ٢٠٠٣. فقد تحولت الدولة إلى دولة جنازات، حيث أقيمت الجنازات للقتلى في كل مكان ومنطقة من مناطق الدولة"(٥).

وفي سخرية من هذا الوضع وتعبيرًا عن حالة الجدل السياسي التي عاشها المجتمع الإسرائيلي إبان أحداث الانتفاضة يأتي القاص في الرواية بحوار ساخن بين اثنين في إحدى الجنازات حول عربة الرئيس الإسرائيلي المصفحة ضد الطوب، وهل هي مصفحة أيضًا ضد القذائف أم؟ وينتهي بأن تصرخ أم الطفل الذي يذهب معها الرئيس لدفن ابنها قائلة:

---

(١) אורלי קסטל־בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'١٣)- أورلي كاستل بلوم: أشلاء، رواية، مرجع سابق (ص١٣).

(٢) שם، (עמ'١٧)- نفس المرجع (ص١٧).

(٣) שם، (עמ'٣١)- نفس المرجع (ص٣١).

(٤) שם، (עמ'٧٩)-نفس المرجع (ص٧٩).

(٥) أنظر: http://www.naamy.net/index.php

"كفى، ألا تخجلون؟ دعونا ندفن الابن"[1].

ويشير هذا الحوار إلى طبيعة الجدل السياسي والقرارات التي تتخذها الحكومة الإسرائيلية دفاعًا عن سياستها أمام الجمهور في إطار لعبة اليمين واليسار للسيطرة على الحكم، خاصة وأن بعض المحللين الإسرائيليين يرون أن سياسة باراك أثناء انتفاضة الأقصى، كانت تتسم بتصرفات هوجائية غير مسئولة، يكمن هدفها في الحفاظ على سياسة حكومته والتظاهر بضبط النفس، وهو ما دفع الكاتبة إلى تصوير عربة الرئيس وكأنها مصفحة ضد الطوب، في إشارة إلى ثورة الحجارة عام ١٩٨٧ وانتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الآخر (الإسرائيلي) الذي اتخذ الصراع معه منعطفاً خطيرًا فيما يتعلق بالهوية والأرض وسياسة المراوغة في تنفيذ الاتفاقيات.

كما تأتي السخرية من عربة الرئيس المصفحة ضد الطوب لتطرح سؤالاً عن مدى قدرة هذه العربة في الصمود أمام تفجير الاستشهاديين لأنفسهم؟ وهو سؤال يحيلنا إلى سؤال آخر حول مدى قدرة الحكومة الإسرائيلية في الصمود أمام شعب يضحى بكثير من أبناءه من أجل تحرير أرضه المغتصبة؟

وفي تصورنا أن هذه السخرية لم تأت من قبل الأديبة في الرواية، لكي تعكس صمود الشعب الفلسطيني، بقدر ما جاءت كتعبير عن رفض السياسة الإسرائيلية المتبعة في التعامل مع الفلسطينيين سواء على مستوى الاتفاقيات أو أسلوب قمع الانتفاضة، لأن الأديبة حاولت فقط أن تظهر حالة الدمار التي خلفتها انتفاضة الأقصى في المجتمع الإسرائيلي دون الإشارة إلى أن هذه العمليات تأتي في إطار الحق المشروع للدفاع عن الأرض، وكرد فعل تجاه الممارسات الإسرائيلية في المناطق المحتلة. أضف إلى ذلك، أن هذه الأديبة لم تتطرق إلى تداعيات الحصار والخنق الاقتصادي التي اتبعتها الحكومة الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، لاسيما وأن مفردات التعامل مع انتفاضة الأقصى في الرواية كانت تشير إلى إدانة شديدة لهذه الانتفاضة ووصفها بالإرهاب، فعلى سبيل المثال، استخدمت الأديبة، في التعبير عن الانتفاضة، كلمات عبرية مثل (מחבל – פיגוע – פיגוע התאבדות – אויבים – התוקפנות הפלסטינית) وهى كلمات تعنى (مخرب ـ حادث تخريبي ـ حادث انتحاري ـ أعداء ـ عدوان فلسطيني).

وإمعانا في حالة التخبط السياسي التي وقعت فيها الحكومة الإسرائيلية إزاء تعاملها مع الانتفاضة الفلسطينية، ينتقد الشارع الإسرائيلي مماطلة الحكومة في تنفيذ الاتفاقيات، في

(١) אורלי קסטל־בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'٨٢)ـ أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، (ص ٨٢).

إشارة إلى اتفاقية أوسلو وغيرها، وهو الأمر الذي وضع الحكومة في مأزق الانتفاضة وطريقة التعامل معها:

"لا يوجد خيار آخر. فلنعي أننا سنضطر للجلوس معهم في أية مرحلة، لا مع الصينيين ولا مع السويديين، بل معهم"(١).

وفي تعبير عن الوضع السياسي الذي أنهك الحكومة الإسرائيلية إبان انتفاضة الأقصى، تأتي لنا الأديبة بحديث بين "تاقوع" رئيس الدولة وسكرتيرته حول الوضع الأمني، وقد بدا متعبًا ومنهكًا للغاية. إنه يتحدث في أمور حساسة وهو في حاجة إلى النوم والراحة:

"أنهى تاقوع حديثه، فقد كان متعبًا وفي حاجة للنوم: آهههههههه"(٢).

كما أشارت الرواية إلى حالة الارتباك في التعامل سياسيًا مع انتفاضة الأقصى، حيث تسخر "بلوم" من خطاب تاقوع إلى الشعب حيث يقول:

"أيها الشعب، أبناء إسرائيل، المهاجرون الجدد والقدامى، النازحون الذين عادوا... تمر علينا أيام صعبة؛ سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الاقتصادي، أو على مستوى الطبيعة... فليس أمامنا سوى أن نتكيف مع هذا الوضع. أما بالنسبة للوضع الأمني، فأنني أؤكد لكم أن لدينا جيش قوي، وحكومة جيدة، وعلينا أن نكون متحدين وأقوياء"(٣).

وتسخر "بلوم" من سياسة ضبط النفس التي تتبعها الحكومة الإسرائيلية:

"اجتمع المطبخ السياسي هذا الأسبوع ثلاث مرات لبحث تزايد حدة الانتفاضة الشعبية للفلسطينيين داخل المناطق وداخل إسرائيل، وقرر الاستمرار في سياسة ضبط النفس وعدم الانجرار لحرب شاملة"(٤).

وتتساءل "بلوم"، على لسان "ايريس فنتورا"، عن جدوى السياسات المحبطة التي لا تفيد والتي ضربت الدولة في الأعماق، حيث تتجاذب أطراف الحديث مع سائق التاكسي الذي تستقله:

"ما هذا الوضع السياسي الخطير؟ وما جدوى السياسة المحبطة التي بدأت إسرائيل في اتخاذها. فإذا سألت أحدًا، هل هذا الأمر يفيد أم لا؟، فبالتأكيد أنه لا يعرف الإجابة"(٥).

---

(١) אורלי קסטל־בלום: חלקים אנושיים שם، (עמ'٨٤)ـ أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، مرجع سابق (ص٨٤).

(٢) שם، (עמ'٩٦)ـ نفس المرجع (ص٦٩).

(٣) שם، (עמ'١٠٤)ـ نفس المرجع (ص١٠٤).

(٤) שם، (עמ'١١٣)ـ نفس المرجع (ص١١٣).

(٥) שם، (עמ'١٣٧)ـ نفس المرجع (ص١٣٧).

وتشير "بلوم" هنا إلى حالة الارتباك السياسي وتحوير الاتفاقيات الموقعة، وسياسة الحكومات الإسرائيلية تجاه التعامل مع الفلسطينيين، وتتهم السياسة الإسرائيلية بالتسبب في فوضى غير طبيعية، حيث لا يمكن التنبؤ بالمستقبل، مستقبل دولة عاشت وما زالت قابعة في مستنقع الصراع الذي لا يفيد ولا ينتهي:

"يعيش المجتمع الإسرائيلي الآن في غابة غير طبيعية، بسبب الوضع السياسي المعقد مع العرب. فلا يمكن التنبؤ بما سيحدث غداً. ولا يمكن التنبؤ بالوضع الذي ستؤول إليه الدولة فيما بعد"[1].

ويرجع بعض المفكرين الإسرائيليين هذا الارتباك السياسي إلى التصرفات غير المسئولة لبعض السياسيين الإسرائيليين والتي من شأنها أن تزيد الموقف سوءاً مع الفلسطينيين، ففي كتابهما (الحرب السابعة) يشير سخاروف وهارئيل، إلى "أن اريئيل شارون، الذي كان زعيماً للمعارضة اليمينية في إسرائيل، يتحمل مسئولية كبيرة عن اندلاع الانتفاضة لإصراره على دخول المسجد الأقصى، وتجاهله بشكل تظاهري الحساسية المطلقة التي ينظر بها المسلمون والفلسطينيون على وجه الخصوص إلى دخول اليهود إلى باحة الحرم، لا سيما عندما يدور الحديث عن شارون، وهو أحد الذين شاركوا في حروب الاستنزاف الدامية في الخمسينيات ضد الفلسطينيين في قطاع غزة، فهو عدو الشعب الفلسطيني. لقد رفض شارون التحذيرات التي قدمها قادة الأجهزة الأمنية والشرطة من النتائج الوخيمة للزيارة"[2].

ويرى المؤلفان أن موقف شارون هذا يجعله مسئولاً عن شلال الدماء الذي خلفته هذه الزيارة. ويوجه المؤلفان انتقادات لاذعة لرئيس الوزراء الإسرائيلي في ذلك الوقت ايهود باراك الذي خضع لشارون ووافق على إتمام الزيارة.

وهكذا، عكست الأديبة الإسرائيلية "كاستل بلوم" في روايتها، محل الدراسة، التخبطات السياسية التي وقعت فيها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في إدارة الصراع مع الفلسطينيين، بتبنيها سياسات العنف والقسوة والحصار والتدمير ضد الفلسطينيين، ناهيك عن التصرفات غير المسئولة لبعض المسئولين الإسرائيليين الذين لا يدركون عواقبها.

وهو أمر تشدد عليه المؤرخة الإسرائيلية "راينهارت" بقولها: " حرصت إسرائيل دوماً على استدراج الفلسطينيين للمواجهات من أجل تحقيق مكاسب على الأرض من

(١) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים שם، (עמ'١٩١)- أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، مرجع سابق (ص١٩١).

(٢) أنظر: http://www.naamy.net/index.php

خلالها. فإسرائيل هي التي كانت دائما تبادر إلى إفشال تفاهمات التهدئة والهدنة مع الفصائل الفلسطينية عبر المبادرة بشن عمليات عسكرية من أجل إفشال التهدئة ووضع حد للهدنة. أضف إلى ذلك، أن الفلسطينيين لم يمنحوا البتة أية فرصة لتحويل نضالهم إلى مقاومة مدنية، وهو ما كانوا راغبين به مرات كثيرة"[١].

وفي شهادة مهمة، تؤكد "راينهارت" على أن الفلسطينيين "لم يمنحوا البتة أية فرصة لتحويل نضالهم إلى مقاومة مدنية، وهو ما كانوا راغبين به مرات كثيرة. وتنوه راينهارت إلى ما بات معروفًا وهو حقيقة أن الجيش الإسرائيلي أعد مخططات للقضاء على السلطة الفلسطينية وعلى مؤسسات المجتمع الفلسطيني قبل اندلاع انتفاضة الأقصى في سبتمبر من العام ٢٠٠٠"[٢].

وربما كان اندلاع هذه الانتفاضة بمثابة التنبيه على أن السياسة الإسرائيلية من شأنها أن تجر المجتمع إلى مشكلات معقدة، وتضعه على المحك، وتقذف به في معضلات قد لا تحتملها طبيعة المجتمع الإسرائيلي؛ الذي أخذ يتساءل عن جدوى الصراع المستمر وعن دوامة العنف التي لا تنتهي دون أن يستطيع أحد أن يوقفها، وهو ما جعل بعض المحللين الإسرائيليين يدفع بالصهيونية على مسرح الأحداث وهم يتساءلون، هل وضعت الأيديولوجية الصهيونية في اعتبارها ندية الآخر (الفلسطيني)، وهى تدفع بجموع اليهود في اتجاه أرض فلسطين؟ وهل خدعت تلك الجموع المهاجرة بشعار أرض الآباء والإرث والراحة؟ بادعاء الحق الديني لليهود في أرض فلسطين تارة، والحق التاريخي تارة أخرى.

رابعًا: أثر الانتفاضة الفلسطينية في الموقف من الصهيونية:

كانت حرب ١٩٤٨ نقطة فاصلة في تاريخ الحركة الصهيونية، حيث بدأ عدد من المفكرين الإسرائيليين في تحليل مفردات الحركة الصهيونية ونظرياتها، ومدى توافقها مع الواقع الذي تعيشه الدولة، وتوصلوا إلى أنها نظرية لم تتوافق أفكارها مع أفعالها، ووصف الناقد الإسرائيلي يوسف أورن حرب ١٩٤٨ بأنها دليل على فشل الصهيونية، حيث يقول: "إن حرب ١٩٤٨ التي تشير في التاريخ إلى البرهان الذي يحاول الإقناع على نجاح الصهيونية، تعرض في الأدب الذي يصف هذه الحرب كفشل أخلاقي لا مثيل له. لقد تحولت الصهيونية على في نظر أدباء ١٩٤٨ إلى اسم مضطهد، وإلى نظرية معادية تستمد قوتها من الكلام والبلاغة فقط. نظرية لم تتوافق أفكارها مع أفعالها"[٣].

---

(١) أنظر: **http://www.naamy.net/index.php** مرجع سابق.

(٢) أنظر: نفس المرجع

(٣) נא לעיין: יוסף אורן: הציונות והצבריות ברומן הישראלי، הוצאת יחד، ישראל، ١٩٩٠ـ

يوسف أورن: "الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، دار نشر ياحد، إسرائيل، ١٩٩٠.

واستمر هذا الجدل حول الصهيونية بعد كل حرب تخوضها إسرائيل، حتى أن حرب يونيو ١٩٦٧ لم تعد تمثل في الأدب العبري محور فخر ومباهاة بالقوة العسكرية الإسرائيلية، بل عبر الكثير من الأدباء الإسرائيليين عن الحلقة المفرغة من الحروب التي تزيد من فقد الأعزاء والأمهات الثكلى، وربما تصاعدت رائحة البارود والسأم من تلك الحروب المتوالية في عدد كبير من الأعمال الأدبية الإسرائيلية، التي تغلغلت في أعماق النفس اليهودية، وكشفت لنا عن مرارة نفسية عميقة، وشعور بالخطر الدائم لدى الآخر (الإسرائيلي) حتى في أوقات الانتصار. وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ بمثابة إضافة جديدة إلى كأس افتقاد الإحساس بالأمان، وارتفاع معدل الإحساس بالخطر الدائم، وهو الأمر الذي جعل الكثيرين من الأدباء الإسرائيليين يضعون علامات استفهام عديدة حول الصهيونية وتمسك الدولة بها، وتدني قدرتها على مواجهة التحديات التي تواجهها دولة إسرائيل، ووصل الأمر إلى مناداة البعض، أمثال أ. ب. يهوشواع، بالانفصال عنها، وتشييعها إلى مثواها الأخير.

وقد لحق بهم في نفس التوجه أدباء جيل الثمانينيات أمثال "مئير شاليف" وغيره من الأدباء الذين طرحوا الأسئلة المريرة حول مدى صدق الصهيونية في أطروحاتها حول الحق الديني والتاريخي لليهود في أرض فلسطين، وهي الأطروحات التي تسببت في كل هذه المحن وكل هذه الحروب، التي وقعت فيها الدولة، وعانى منه المجتمع الإسرائيلي.

وهو الأمر الذي جعل المفكرين الإسرائيليين يعدون صياغة جديدة لواقع هذه الأيديولوجية، ويتساءلون عن نجاحاتها وإخفاقاتها، ليكشفوا عن ضعف الصهيونية، وعن تدني قدرتها على مواجهة التحديات التي تواجهها دولة إسرائيل، وعن إخفاقها في تحقيق بعض أهدافها، حيث فشلت في تجميع الشتات اليهودي داخل إسرائيل، وفي توفير الأمن للجموع اليهودية المهاجرة إلى فلسطين، وفي تحقيق (بوتقة الانصهار) داخل المجتمع الإسرائيلي، وهو ما كشف عن رغبة هؤلاء المفكرين والمجتمع الإسرائيلي في عمل مراجعة شاملة ودقيقة لصورة العلاقة التي تجمع بين الدولة والأيديولوجية الصهيونية. واتهم هؤلاء المفكرون الإسرائيليون ومعهم بعض الأدباء، في فترة متأخرة، الصهيونية بالفشل، وبأنها السبب في كل المحن التي وقعت فيها دولة إسرائيل.

والمتتبع للمتغيرات التي طرأت على تقييم الصهيونية، وكيفية التعامل مع فرضياتها النظرية من قبل المفكرين الإسرائيليين، ومدى تلاؤمها مع الواقع المعاش، سوف يلاحظ أن هذا التقييم تأثر بالاهتزازات التي تعرضت لها أهداف الصهيونية ووسائل تحقيقها. ومن هنا تمت المراجعة لمدى قوة الصهيونية في تحقيق أهدافها، وارتبط هذا التقييم بالأحداث التي أشارت إلى نجاحات الدولة وفشلها أكثر من أي شيء آخر. وكانت للحروب المتوالية التي

خاضتها إسرائيل، وبخاصة حرب أكتوبر ١٩٧٣، وانتفاضة الحجارة ١٩٨٧، وانتفاضة الأقصى ٢٠٠٠، أثر كبير على المستوى النفسي في حدوث تغيرات فكرية في تقييم الأيديولوجية الصهيونية. وبدت الشكوكية الشاملة في التعامل مع مدى صدق الصهيونية في نهجها، وفي احتمالات تحقيق مشروعاتها (الإقليمية، والديموجرافية، وغيرها)، ووصل الأمر إلى القول بأنه لم تعد هناك حاجة إلى الصهيونية بعد أن أقيمت الدولة، وبات الجو مهيأ لفكرة الانفصال عن الصهيونية والبحث عن بديل جديد يتوافق مع الواقع المعاش بمتغيراته، وهام في الأفق التنكر لكل مبدأ صهيوني يسعى إلى ترسيخ مفاهيم ونظريات عفا عليها الزمن، ولا تتلاءم مع الوضع الراهن لدولة إسرائيل. وبدا أن هناك شبه اتفاق على أن الصهيونية قد آن أوان تشييعها إلى مثواها الأخير، خصوصًا في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، وهي الفترة التي شهدت حالة الفوران الشديدة للانتقادات الموجهة ضد الحركة الصهيونية.

والجدير بالذكر، أن هذا التقييم كان يبدأ مع كل حرب تخوضها الدولة، وليدة الصهيونية، منذ حرب ١٩٤٨ وحتى حرب لبنان الأخيرة ٢٠٠٦. وكانت انتفاضة الأقصى جولة مهمة من جوالات وضع الصهيونية على المحك، لاسيما وقد تحطمت نظرية الأمن التي تشدقت بها الصهيونية، على مذبح الانتفاضة؛ التي أججت مشاعر الحسرة والندم على المجيء إلى تلك البقعة من الأرض، لدى بعض الإسرائيليين.

ويبدو أن "كاستل بلوم" انضمت إلى صفوف المنادين بعمل مراجعة شاملة ودقيقة للأيديولوجية الصهيونية، تلك المناداة التي بدأت منذ ثمانينيات القرن الماضي، ووضعت الصهيونية في قفص الاتهام، حيث احتوت روايتها على إشارات أدمجتها في صحيفة اتهام تلك الأيديولوجية، التي زرعت الوهم في نفوس هؤلاء اليهود، وأشارت في سخرية إلى الرواد الذين أخذوا على عاتقهم مسألة تشويه الآخر (الفلسطيني) ونفيه، حتى يسهل التعامل معه، ولكنهم سرعان ما وجدوه ندًا قويًا على درجة عالية من الاستيعاب والاستعداد لأية محاولات ترمي إلى نفيه أو حتى تركيعه.

فتشير "بلوم" إلى انهيار حلم الرواد الصهيونيين بتساقط الأشجار التي غرست على أيديهم، في إشارة إلى انهيار دولة إسرائيل، طالما أنها تتعامل مع الآخر (الفلسطيني) بنوع من التهميش والنفي:

"لم تكن البنايات في إسرائيل مهيأة لاستيعاب مثل تلك الكميات الكبيرة من المطر والثلوج، لذا تحطمت أسقف المنازل على رؤوس ساكنيها... ووقعت الأشجار التي زرعها الرواد في بداية الاستيطان"[1].

---

(١) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים, שם, (עמ' ١١). أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، مرجع سابق (ص١١).

وفي إشارة إلى شخصية "الصبار[1]" التي صنعها الرواد الصهيونيون لتتناسب مع مرحلة الاستيطان على أرض فلسطين، ولرغبة منهم في طمس معالم اليهودي (الجيتوى) الذي عاش في الشتات شخصية طفيلية هامشية، ورفعوا شعار (آخر يهودي وأول عبري)، تؤكد "بلوم" على انهيار نموذج آخر من نماذج الحركة الصهيونية:

"لم يعد هناك صبارين تقريبًا، فكل الصبارين هربوا"[2].

وهكذا تسخر "بلوم" من تلك الشخصية اليهودية الصبارية التي راهن عليها الرواد الصهيونيون في تحقيق الحلم الصهيوني، ولكنها هربت من ساحة المعركة كما تقول بلوم في روايتها، لاسيما وقد أصبح المجتمع الإسرائيلي ساحة للقتال، القتال مع النفس، ومع الآخر، ومع الفكر الصهيوني، ومع حقيقة وواقع هذا العالم الذي يعيش فيه هؤلاء الإسرائيليون، وكأنهم يبحثون عن "عالم نقى"، هذا العالم الذي بحثت عنه شخصيات "بلوم" في الرواية وكررت "بلوم" هاتين الكلمتين (عالم نقى)[3] على مدار صفحات كثيرة من الرواية، لتعبر عن سأم المجتمع الإسرائيلي من هذا العالم وتلك الأرض التي لم تدر لبنًا ولا عسلاً.

وتسخر "بلوم" من الوضع الذي آل إليه هذا المجتمع بفعل انتفاضة الأقصى، ساخرة من الصهيونية الدينية التي ساهمت في مجيء اليهود إلى هذه الأرض، وهدأت من روع اليهود المتدينين الذين رفضوا قيام دولة لليهود، وأكدت أن قيام هذه الدولة هو مقدمة لمجيء المسيح المخلص:

---

(١) الصبار: أخذ ذلك المصطلح يتردد في أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة واستخدم للمرة الأولى في مدرسة " هرتسليا " الثانوية في تل أبيب، وهى مدرسة كانت تضم بين تلاميذها اليهود شبانًا من مواليد فلسطين إلى جانب الذين هاجروا مع آبائهم، والذين كانوا غالبًا ما يتفوقون على أولئك المولودين في فلسطين بسبب قدومهم من حضارة أكثر تقدمًا. وفي محاولة لتعويض الشعور بالنقص كان اليهود من مواليد فلسطين، يلجئون إلى الإمساك بثمرات التين الشوكي وتقشيرها بأيديهم، ويدخلون في مسابقات التقشير هذه مع أبناء المهاجرين، وكانت تنتهي عادة بأن يكسب أبناء اليهود من مواليد فلسطين هذا التحدي، ويتمكنون من نزع القشرة الشائكة ليحصلوا على الثمرة الحلوة. ومن هنا التصقت كلمة " التين الشوكي " (الصبار) بهذه الفئة من اليهود مواليد فلسطين ، ثم انتشرت التسمية لتغطى ما يسمى بجيل " الصباريم " الذي أصبح يقصد به أولئك اليهود الذين ولدوا في فلسطين على الرغم من تخلفهم الحضاري، فإنهم أكثر قدرة على تحمل المشاق.

(٢) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'٢٥)- أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، مرجع سابق (ص٢٥).

(٣) שם، (עמ'٤٣)- نفس المرجع (ص٤٣).

"تلك العمليات الفلسطينية، وذلك الشتاء الأوربي، يبشرون بمجيء المسيح، ولكن على شعب إسرائيل أن يتوحد أمام العدو وأمام أضرار حالة الجو"[1].

وتعليقًا على الوضع الأمني الذي عاشه الإسرائيليون إبان انتفاضة الأقصى، ترى "بلوم" أن المهاجرين الجدد دفعوا ثمن المجيء إلى هنا. والمعروف أن الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين، كانت أحد الركائز التي قامت عليها الحركة الصهيونية، فجندت كل إمكانيتها لتشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين، ومازالت الهجرة تمثل حدثًا حيويًا ومنعشًا لدولة إسرائيل، في حين أن الهجرة العكسية تمثل خطرًا شديدًا على هذه الدولة:

"... لا يمثل هذا شيئًا، سوى أن أي فرد يعيش هنا، لابد وأن يدفع ثمن الهجرة الجديدة إلى إسرائيل"[2].

وقد دفعت الانتفاضة الفلسطينية بعض الإسرائيليين إلى الندم على المجيء إلى هنا:

"مازالت تعيش حالة من الحداد على زوجها الذي مات في إسرائيل، وتتهم نفسها بأنها السبب في المجيء إلى هنا"[3].

واستمرارًا في هدم كل القيم الصهيونية، تعبر "كاستل بلوم" على تشرذم المجتمع الإسرائيلي بكل فئاته، في إشارة إلى تأثير مشكلات الاندماج داخل المجتمع الإسرائيلي التي راهنت الصهيونية على صهره في بوتقة واحدة، ورفعت شعار "بوتقة الانصهار"، حيث تشير "تاسارو" المهاجرة الإثيوبية الجديدة إلى صعوبة التكيف داخل المجتمع الإسرائيلي، في ظل هذه الوضع الأمني المتردي:

"بلغ عدد أخوتها وأخواتها سبعة، لم يستطع أحد منهم الاندماج في المجتمع الإسرائيلي"[4].

ورأى البعض أن الحل هو النزوح عن إسرائيل:

"عندما تعود تاساروا سيخبرها بالنزوح إلى كندا"[5].

وتعد مسألة الهجرة العكسية من الأمور التي تؤثر بصورة ملحوظة على الواقع الديموغرافى في إسرائيل، حيث شجعت الانتفاضة، وبشكل ملحوظ، على الهجرة

(1) אורלי קסטל־בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'45) - أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، مرجع سابق (ص45).

(2) שם، (עמ'59) نفس المرجع (ص59).

(3) שם، (עמ'191) نفس المرجع (ص191).

(4) שם، (עמ'179) نفس المرجع (ص179).

(5) שם، (עמ'220) نفس المرجع (ص220).

العكسية من إسرائيل، فطبقًا للبيانات الرسمية الصادرة من المؤسسات الحكومية، "فقد نزح ما يقرب من ٦٥٠ ألف إسرائيلي عن إسرائيل عام ٢٠٠٣"[١].

كما تبين "أن حوالي خمسين ألف مهاجر روسي لم يستطعوا التكيف مع المجتمع الإسرائيلي بسبب الأوضاع الأمنية المتردية، فنزحوا إلى بلادهم الأصلية. "وتشير بعض التقارير الرسمية إلى أن نسبة الراغبين في النزوح إلى وطنهم الأصلي من بين المهاجرين الروس في تزايد مستمر بفعل تلك الأوضاع الأمنية المتردية"[٢].

وهكذا، دفعت الانتفاضة ببعض اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل إلى العودة مرة أخرى إلى البلاد التي جاءوا منها، حيث فوجئت قطاعات كبيرة من الجمهور الإسرائيلي، وخاصة المهاجرين الجدد الذين لا يبدون استعدادًا لتحمل مخاطر البقاء في الدولة، بتدهور مستوى الأمن، بشكل جعل الكثير من رهانات المهاجرين الجدد تتبخر، لا سيما وأن الدوافع الأيديولوجية للبقاء في الدولة وتحمل المصاعب التي ينطوي عليها العيش هنا، قد تقلصت بشكل كبير.

وقد أدى ذلك إلى انخفاض نسبة المهاجرين إلى الدولة. ففي عام ٢٠٠٢ طرأ انخفاض بنسبة ٢٣٪ على عدد المهاجرين اليهود الذين وصلوا إلى إسرائيل من شتى أنحاء العالم. ويؤكد سالي مريدور رئيس الوكالة اليهودية (المعنية بتهجير اليهود من أرجاء العالم إلى إسرائيل)، أن مشاهد أشلاء الإسرائيليين وهي تتطاير في أعقاب تنفيذ عمليات التفجير التي يقوم بها الفلسطينيون، والتي تبث عبر الفضائيات، تجعل اليهود المنتشرون في بقاع الأرض يفكرون ألف مرة قبل التوجه لإسرائيل[٣].

وطبقًا لتقرير نشرته صحيفة "معاريف" الإسرائيلية فإن معدلات الهجرة الروسية إلى إسرائيل قد انخفضت بصورة ملحوظة خلال سنوات الانتفاضة بمقدار ٧٥٪، "ففي عام ١٩٩٩ هاجر إلى إسرائيل ٦٧ ألف يهودي، وفي عام ٢٠٠٠ تقلص عدد المهاجرين إلى ٥٢ ألف يهودي إلى إسرائيل، وفي عام ٢٠٠١ وصل عدد المهاجرين إلى ٣٥,٣ ألف يهودي، وفي عام ٢٠٠٢ كان عدد المهاجرين إلى إسرائيل ١٨,٥ ألف يهودي، وفي عام ٢٠٠٣ تقلص عدد المهاجرين بفعل الانتفاضة، بصورة ملحوظة، ووصل إلى ١٢,٥ ألف يهودي فقط"[٤].

---

(١) נא לעיין: עיתון מעריב، 2003/ 7/ 22ـ صحيفة معاريف، 2003/ 7/ 22.
(٢) נא לעיין: עיתון מעריב، 2004/ 1/ 9ـ صحيفة معاريف، 2004/ 1/ 9.
(٣) נא לעיין: עיתון מעריב، 2003/ 1/ 13ـ صحيفة معاريف، 2003/ 1/ 13.
(٤) נא לעיין: עיתון מעריב، 2004/ 1/ 9ـ صحيفة معاريف، 2004/ 1/ 9.

ومع ازدياد العمليات الاستشهادية للفلسطينيين وتقلص عدد اليهود المهاجرين، تساءل الكثيرون عن الحل والخروج من هذا المأزق، وكانت الصهيونية هي المتهم الأول في هذا الوضع الذي آل إليه الآخر (الإسرائيلي) الذي أتخمته الصهيونية بالقيم والمبادئ والراحة والإرث على أرض فلسطين، ولكنه تساءل عن وجهة الصراع ونهايته، ولعن كل من الصهيونية التي أتت به إلى هذه البقعة من الأرض، وتلك الدولة التي ما زالت ترضع من لبن الصهيونية وتعيش على العنف والحروب والصراع، وهو الأمر الذي جعل "أدير برجسون"، يصف إسرائيل في الرواية، بأنها مقبرة كبيرة يقبع فيها الكثير من المستوطنات التي ستتحول قريبًا إلى قبور لساكنيها:

"لم يكن في مقدوره أن يرى الموت كل يوم من حوله. ولكنه رأى أن إسرائيل مقبرة تترامى على أطرافها الكثير من المستوطنات، مازال يعيش عليها أناس، ولكن من المحتمل أن يلقوا حتفهم قريبًا. فكل يوم قتلى جدد، وجنازات وعمليات، وحوادث إطلاق نار، وصواريخ، وأحزمة ناسفة، ويبقى السؤال أين الحل"[1].

وربما يذكرنا هذا الوصف –وصف إسرائيل بالمقبرة- برواية (رواية روسية) عام ١٩٨٩ للأديب الإسرائيلي "مئير شاليف"، التي وصف فيها دولته بأنها مقبرة للرواد الصهيونيين والمستوطنين، وصورها كبستان جميل زرعه الجد ثم أعطاه لحفيده، الذي سرعان ما حوله إلى مقبرة تهافت عليها الكثير من الإسرائيليين لحجز مكان بها، في إشارة إلى انهيار القيم الصهيونية وإلى خديعة الصهيونية لجموع اليهود المهاجرين إلى هذا المكان، واصفًا ادعاء الصهيونية بالحق الديني والتاريخي لليهود في أرض فلسطين، بأنه أسطورة زائفة، روج لها الرواد الصهيونيون، ودفعوا اليهود للاعتقاد فيها، ولكنهم اكتشفوا حقيقة تلك الأرض التي دائمًا ما تلعب لعبة الصراع مع أصحابها، وحذر "شاليف" من المضي على درب الصهيونية التي لم تشيد دولة، بل شيدت مقبرة يتجمع فيها اليهود من كل صوب، دون أن يدركوا أنهم على موعد مع الموت.

ويمكن القول، إن الضغوط النفسية والاقتصادية والاجتماعية التي تتولد عن السلوك السياسي والعسكري لمتخذ القرار في إسرائيل، مهما بلغ حجمها وشكلها وطبيعتها، لا ترقى للمستوى الذي يجبر متخذ القرار في إسرائيل على تغيير قائمة أولوياته المعدة سلفا والموجودة منذ نشأة دولة إسرائيل. فقد ارتبط تأسيس دولة إسرائيل بما بدأه هرتسل منذ عام ١٨٩٧ في المؤتمر الصهيوني الأول لإنشاء وطن قومي لليهود، متبنيًا نظريات تقوم على

(١) אורלי קסטל-בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'٢١٩)- أورلى كاستل بلوم: أشلاء، رواية، مرجع سابق (ص٢١٩).

أساطير أرض إسرائيل التاريخية والدينية، وأرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وأسطورة شعب الله المختار وتحريم اختلاط الدم اليهودي بدماء الشعوب الأخرى (النجس). وهي أسس ونظريات أدت إلى اعتقاد كل الشرائح الثقافية المكونة للمجتمع الإسرائيلي بأنهم أصحاب الحق في امتلاك الأراضي المقدسة (فلسطين التاريخية والدينية). وهو أمر يجعل الصراع مع الآخر ممتد ومتواصل ما دام هناك امتداد وتواصل لادعاءات غير حقيقية قائمة على نظريات صهيونية بالحق الديني والتاريخي لليهود في فلسطين، وصفها بعض المفكرين الإسرائيليين بالأساطير الزائفة.

وربما نلحظ هذه النظرة التشاؤمية أيضًا على مدار تلك الرواية، التي أعادت فيها "كاستل بلوم" وصف دولتها بالمقبرة، وزادت على ذلك بوصفها، على لسان أحد أبطال الرواية، بأنها (دولة قذرة):

"لقد حكت لي عن أمور كثيرة، ما الذي يحدث هنا. إنها دولة قذرة، إنني أقول لك. دولة قذرة، في ظل كل هذه العمليات الفلسطينية"[1].

---

(1) אורלי קסטל־בלום: חלקים אנושיים، שם، (עמ'١٠٣)- أورلي كاستل بلوم: أشلاء، رواية، مرجع سابق (ص١٠٣).

الخاتمة

بعثت انتفاضة الأقصى برسائلها المباشرة الموجهة من الشعب الفلسطيني لإسرائيل ولسائر شعوب الأرض، وأكدت أن هناك شعبًا مازال يقبع تحت الاحتلال العسكري المباشر، هذا الشعب من شأنه أن يلحق أضرارًا بالغة بالمحتل، مهما وصلت حدود قوته، وأكدت أيضًا أن الصراع مع الآخر لا يعنى نفيه أو تشويهه أو تهميشه، وعبرت هذه الانتفاضة عن غضب شعب تجاهل الجميع حقوقه أو تناساها، ولكنه كان مؤثرًا وما زال.

ومن خلال ما سبق، نستطيع أن نستخلص النقاط التالية:

(١) جاءت رواية (أشلاء) للأديبة الإسرائيلية "كاستل بلوم" لتعبر عن التداعيات الحقيقية لانتفاضة الأقصى على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعكست تخبطات المجتمع الإسرائيلي تجاه هذه الظاهرة التي أوقعت الآخر (الإسرائيلي) في دوامة من التساؤلات الأخلاقية حول ماهية الصراع وأسبابه.

(٢) تعد هذه الرواية تأريخًا واقعيًا لحالة المجتمع الإسرائيلي إبان انتفاضة الأقصى، ويمكن اعتبارها مرجعًا تاريخيًا يمكن من خلاله وصف المجتمع الإسرائيلي إبان فترة الانتفاضة.

(٣) دفعت انتفاضة الأقصى ببطلان الادعاءات الصهيونية بتحقيق الأمن لجموع اليهود المهاجرة إلى أرض فلسطين، وأعادت من جديد، مسألة وضع الصهيونية في قفص الاتهام واتهامها من قبل المجتمع الإسرائيلي بأنها السبب في كل المحن التي وقعت فيها دولة إسرائيل، كما أنها ضربت إحدى مقومات الأيديولوجية الصهيونية، وهي الهجرة، في مقتل، وتسببت في تزايد أعداد النازحين عن إسرائيل، وعجلت بالحكم على الصهيونية التي جاءت بهؤلاء المهاجرين إلى تلك البقعة من الأرض التي وصفت في الرواية بأنها مقبرة لليهود.

(٤) كشفت بعض المفردات العبرية التي استخدمتها الكاتبة في الرواية للتعبير عن الانتفاضة-(مخرب- حادث تخريبي- أعداء- عدوان فلسطيني)- عن نظرة المجتمع الإسرائيلي للانتفاضة الفلسطينية ووضعها في إطار العمليات الإرهابية، في خلط واضح ومغلوط بين شرعية المقاومة والأعمال الإرهابية.

(٥) جاءت بعض الأسماء لأبطال هذه الرواية كرمز للواقع الذي عاشه المجتمع الإسرائيلي إبان الانتفاضة، مثل קטי בית הלחמי وكلمة לחם تعنى خبز، في

إشارة إلى حالة الفقر التي تعيشها أسرة قطي بيت هالحمى، ومثل תקוע رئيس الدولة، وهى كلمة عبرية تعنى (منغرز)، أو (مولج) في إشارة إلى هرولة رئيس الدولة بين جنازات ضحايا الانتفاضة، وفي مسميات الأبناءאושר – הירות – ועוז وهى كلمات عبرية تعنى (سعادة، وحرية، وملاذ) في إشارة إلى حاجة المجتمع الإسرائيلي إلى مثل هذه الأشياء.

(٦) (أجزاء بشرية) هي الترجمة الحرفية لعنوان الرواية، ولكننا ارتآينا ترجمتها إلى (أشلاء) لتساير أحداث الرواية، وذلك على الرغم من أن الأديبة ذكرت في حديث معها أنها حاولت الكشف عن الفارق الدقيق بين الأجزاء البشرية الحية لدى بعض البشر، وضامرة لدى البعض الآخر.

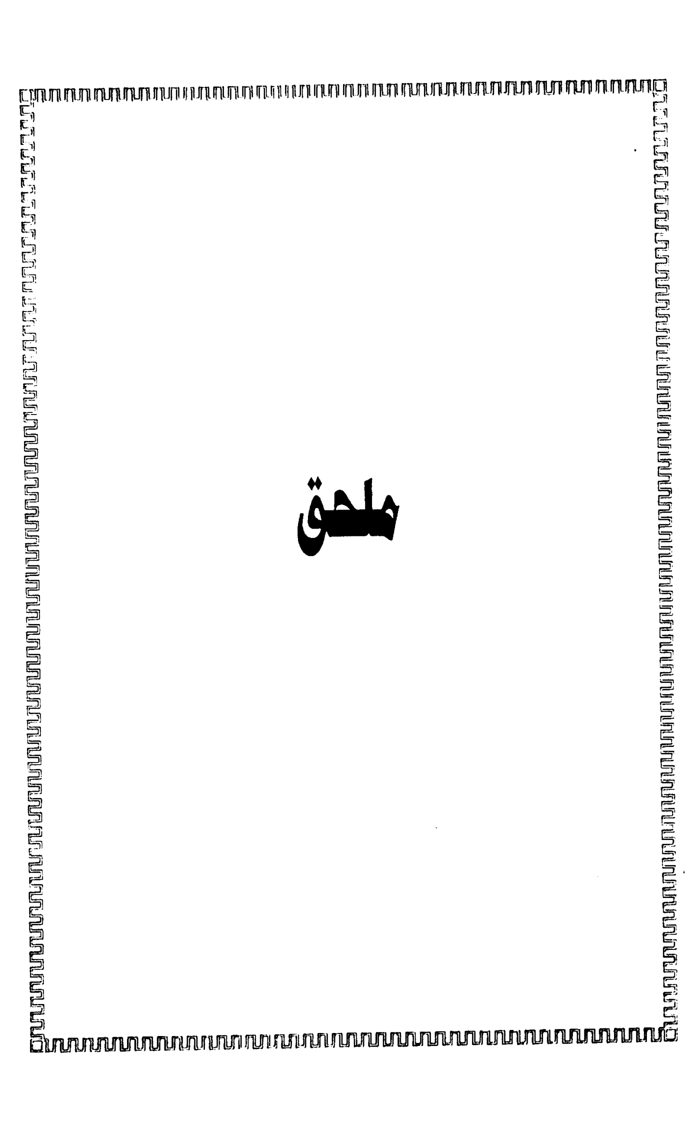
(٧) كان هناك اهتمام ملحوظ من قبل الأديبة في إطلاق أسماء الأنبياء اليهود -حبقوق، ملاخى، هوشع، عاموس، يونا، عوبديا، ناحوم- على بعض الشوارع في إسرائيل، رغبة منها في تأصيل الوجود اليهودي على هذه الأرض- محل الصراع- في مواجهة انتفاضة الأقصى.

(٨) امتلأت صفحات الرواية بضحايا الانتفاضة من القتلى والمصابين الإسرائيليين، في تحيز واضح من قبل الأديبة لصالح الآخر (الإسرائيلي) في الوقت الذي تجاهلت فيه ضحايا القصف الإسرائيلي للمناطق المحتلة.

(٩) كشفت هذه الرواية عن مرارة نفسية عميقة لدى الإسرائيليين، بعد حقبة طويلة من الحروب والصراعات، وأظهرت أن الانتفاضة الفلسطينية كانت أشد فتكًا وإيلاما من الحروب؛ لوجهتها ناحية المجتمع الإسرائيلي من الداخل.

اتهم بعض النقاد الإسرائيليين هذه الرواية بالانهزامية والتنصل من المسئولية، لأنها كشفت عن تصدع المجتمع الإسرائيلي وانهياره في مواجهة الانتفاضة.




ملحق



ملحق: إحصائيات حول انتفاضة الأقصى

إحصائية حول عدد الانتهاكات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني(١)

خلال الفترة من ٢٨/٩/٢٠٠٠ حتى ٣٠/٤/٢٠٠٧

إجمالي الشهداء	٥١١٥ شهيداً يضاف إليهم ٨٢ شهيداً لم يتم تسجيلهم بسبب الإجراءات الإسرائيلية
الشهداء من الأطفال أقل من سن ١٨ عاماً	٩٤٢ شهيداً
الشهيدات من الإناث	٣٥٣ شهيدة
الشهداء خارج إطار القانون "الاغتيالات والتصفية الجسدية"	٤٨١ مواطناً من المستهدفين
الشهداء من المرضى جراء الإعاقة على الحواجز الإسرائيلية	١٥١ شهيداً ما بين طفل وسيدة وشيخ مسن من مرضى القلب والكلى والسرطان
الشهداء جراء اعتداءات المستوطنين اليهود على المواطنين الفلسطينيين	٦٧ شهيداً
الشهداء من أفراد الأطقم الطبية والدفاع المدني	٣٦ شهيداً
الشهداء من الإعلاميين والصحفيين	٩ شهداء
شهداء الحركة الرياضية خلال انتفاضة الأقصى	٢٢٠ شهيداً رياضياً
إجمالي عدد الجرحى	٥٠٠٧٥ جريحاً
الأسرى والمعتقلون الذين ما زالوا في سجون الاحتلال	١٠٤٠٠ أسيراً منهم ٥٥٣ أسيراً معتقلين قبل انتفاضة الأقصى، وما زالوا في الأسر، وموزعين على أكثر من ٣٠ سجنا ومعتقلاً ومركز توقيف حتى ٢٨/٢/٢٠٠٧
المعتقلون من طلبة المدارس والجامعات	١١٨٩ طالباً وطالبة من طلبة المدارس والكليات والجامعات منهم ٣٣٠من الأطفال، رهن الاعتقال
المعتقلون من المعلمين والموظفين في التربية والتعليم العالي	١٠٧ معلماً وموظفاً
عدد المعتقلين الذين يعانون أمراض مزمنة	١١٥٠ أسير
عدد المعتقلات	١١٧ أسيرة
عدد المباني العامة والمباني والمنشآت الأمنية	٦٤٥ مقراً عاماً ومنشأة أمنية

(١) انظر: السلطة الوطنية الفلسطينية، الهيئة العامة للاستعلامات، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني.

إجمالي عدد المنازل التي تضررت بشكل كلي وجزئي	٧٢٧٣٧ منزلاً
عدد المنازل التي تضررت بشكل كلي	٣٠٨٧١ منزلاً، منها ٤٧٨٥منزلاً في قطاع غزة حتى ٣١ /١٠/ ٢٠٠٧
عدد المنازل التي تضررت بشكل جزئي	٦٤٦٩٣ منزلاً منها ٢٣٦٢٢ منزل في قطاع غزة حتى ٣١ /١٠/ ٢٠٠٧
عدد المدارس والجامعات التي تم إغلاقها بأوامر عسكرية	١٢ مدرسة وجامعة
عدد المدارس التي تم تعطيل الدراسة فيها جراء العدوان الإسرائيلي	١١٢٥ مدرسة ومؤسسة تعليم عالي
عدد مؤسسات التربية والتعليم التي تعرضت للقصف	٣٥٩مدرسة ومديرية ومكاتب تربية وتعليم وجامعة
عدد المدارس التي حولت إلى ثكنات عسكرية	٤٣ مدرسة
عدد الطلاب والمعلمين الذين استشهدوا برصاص الجيش الإسرائيلي	٨٤٨ طالباً من طلبة المدارس والجامعات
عدد الطلبة والطالبات والموظفين الذين أصيبوا برصاص الاحتلال الإسرائيلي	٤٧٩٢ طالباً من طلبة المدارس والكليات والجامعات والموظفين
إجمالي مساحة الأراضي التي تم تجريفها	٨٠٧١٢ دونماً في الضفة الغربية وقطاع غزة حتى ٣١/ ٦/ ٢٠٠٦ ٣٨٤٥ دونماً في قطاع غزة حتى ٣١/ ٨/ ٢٠٠٦م
عدد الأشجار التي تم اقتلاعها	١٣٥٧٢٩٦ شجرة في الضفة الغربية وقطاع غزة حتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ٢٢٧٨ دونماً في قطاع غزة حتى ٣١/ ٨/ ٢٠٠٦م
عدد المخازن الزراعية المهدمة من الاحتلال	٧٨٤ مخزناً في الضفة الغربية وقطاع غزة ١٦ في قطاع غزة حتى ٣١/ ٨/ ٢٠٠٦م
عدد مزارع الدواجن ومعداتها وحظائر الحيوانات التي هدمت	٧٨٨ مزرعة في الضفة و غزة حتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ٣٢ مزرعة في غزة حتى ٣١/٨/٢٠٠٦
موت أغنام وماعز	١٤٨٢٩ رأس غنم وماعز في الضفة وغزة حتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ٩٩ في غزة حتى ٣١/ ٨/ ٢٠٠٦م
قتل أبقار وحيوانات مزرعة	١٢١٥١ بقرة في الضفة وغزة حتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ١٩ في غزة حتى ٣١/ ٨/ ٢٠٠٦م
إتلاف خلايا نحل	١٦٥٤٩ خلية نحل في الضفة الغربية وغزة حتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦

	١٢٨٤ في غزة حتى ٣١/ ٨/ ٢٠٠٦
هدم آبار كاملة بملحقاتها	٤٢٥ بئراً في الضفة الغربية وغزة حتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ٢٢ في غزة حتى ٣١/ ٨/ ٢٠٠٦
هدم منازل مزارعين بالأثاث	٢٠٧ منزلاً
قتل دجاج لاحم	٨٩٩٧٦٧ دجاجة
قتل دجاج بياض	٣٥٠٢٩٢ دجاجة
قتل أرانب مزارع	١٦٥٠ ارنب
تجريف شبكات ري	٣٣٧٩٢ دونماً في الضفة وغزة حتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ٢٥٢٩ في غزة حتى ٢٠٠٦/٨/ ٣١
هدم برك وخزانات مياه	١٣٦٢ بركة وخزان في الضفة وغزة حتى ٢٠٠٦/ ٧/ ٣٠ ٣٥ في غزة حتى ٢٠٠٦/٨/ ٣١
تجريف سياج مزارع وجدران استنادية بالمتر الطولي	٦٣١١٨٢ متراً في الضفة الغربية وقطاع غزة حتى ٣١/٧/٢٠٠٦ ٢٥٣٤٠ متراً في غزة حتى ٢٠٠٦/٨/ ٣١
تجريف خطوط مياه رئيسية بالمتر الطولي	٩٧٩٢٣٩ متراً في الضفة الغربية وغزة حتى ٣١/٧/٢٠٠٦ ٦٨١٥٥ في غزة حتى ٢٠٠٦/٨/ ٣١
عدد المزارعين المتضررين	١٦١٩٥ مزارعاً
عدد المشاتل المجرفة	١٦ مشتل
إتلاف جرارات ومعدات زراعية مختلفة	١٦ جراراً
عدد المحلات والبسطات التي تم تدميرها بالكامل منذ ٢٠٠١/ ١٠/ ١	٩٢٥٧ (الورش، المحلات، والبسطات)
عدد العاطلين عن العمل	٢٨٤٥٠٠ عامل حتى ٢٠٠٦/ ٩/ ٣٠
نسبة العاطلين عن العمل	٢٨,٤٪ حسب نتائج مسح الربع الرابع من ٢٠٠٦
نسبة الفقر في الأراضي الفلسطينية جراء الإغلاق والحصار الإسرائيلي	أكثر من ٧٠٪ في الأراضي الفلسطينية حسب نتائج مسح الربع الثالث ٢٠٠٦
الانتهاكات ضد الصحفيين	١١٤٧ حالة اعتداء
قصف الأحياء السكنية منذ ٢٠٠١/ ١٠/ ١	٣٦٧٢٤مرة
الحواجز العسكرية الإسرائيلية منذ ٢٠٠١/ ١٠/ ١	٥٠٠١نقطة عسكرية جديدة
إجمالي مساحة الأراضي التي تم مصادرتها لخدمة الجدار الفاصل منذ ٢٠٠٣/ ٣/ ٢٩	٢٤٧٢٩١ دونماً
الأضرار الصناعية	٤٣٢ منشأة صناعية، حسب ما ورد من وزارة الاقتصاد الوطني

إحصاءات حول شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/١/٢٠٠٥

التقرير العام

جدول يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى

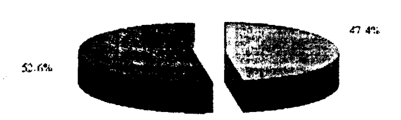
في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/١/٢٠٠٥

المحافظة	عدد الشهداء	%
الضفة الغربية	١٨٩٤	٤٧,٤
قطاع غزة	٢٠٩٩	٥٢,٦
المجموع	٣٩٩٣	١٠٠

ملاحظة: تم إضافة عدد ٦٢ شهيدا من الشهداء المرضى الذين سقطوا على الحواجز العسكرية الإسرائيلية، كما أضيف ٢٣ شهيدا ، منهم ١٤ شهيدا داخل الخط الأخضر ، شهيدان من جنوب لبنان ، شهيدان إيطاليا الجنسية ، شهيدان مصريا الجنسية ، شهيدة من أمريكا و شهيدان من بريطانيا، وبذلك يصبح عدد الشهداء حتى ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٤م (٣٨٠٠) .

رسم بياني يوضح النسبة المئوية لعدد شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/١/٢٠٠٥ في الضفة الغربية و قطاع غزة



إحصاءات حول شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/١٢/٢٠٠٤

التقرير العام

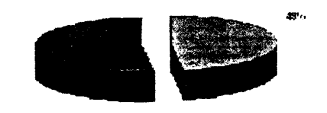
جدول يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/١٢/ ٢٠٠٤

المحافظة	عدد الشهداء	%
الضفة الغربية	١٨٨١	٤٨
قطاع غزة	٢٠٣٨	٥٢
المجموع	٣٩١٩	١٠٠

ملاحظة: تم إضافة عدد ٦٢ شهيدا من الشهداء المرضى الذين سقطوا على الحواجز العسكرية الإسرائيلية، كما أضيف ٢٣ شهيدا ، منهم ١٤ شهيدا داخل الخط الأخضر ، شهيدان من جنوب لبنان ، شهيدان ايطاليا الجنسية ، شهيدان مصريا الجنسية ، شهيدة من أمريكا و شهيدان من بريطانيا، وبذلك يصبح عدد الشهداء حتى ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٤م (٣٩١٩).

رسم بياني يوضح النسبة المئوية لعدد الشهداء
في الفترة ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/١٢/٢٠٠٤ في الضفة الغربية وقطاع غزة



إحصاءات حول شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣٠/١١/٢٠٠٤

التقرير العام

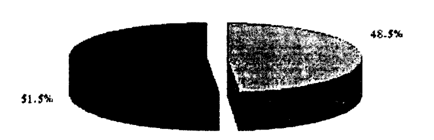
جدول يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣٠/١١/ ٢٠٠٤

المحافظة	عدد الشهداء	%
الضفة الغربية	١٨٧٢	٤٨,٥
قطاع غزة	١٩٨٤	٥١,٥
المجموع	٣٨٥٦	١٠٠

ملاحظة: تم إضافة عدد ٦٢ شهيدا من الشهداء المرضى الذين سقطوا على الحواجز العسكرية الإسرائيلية ، كما أضيف ٢٣ شهيدا ، منهم ١٤ شهيدا داخل الخط الأخضر ، شهيدان من جنوب لبنان ، شهيدان ايطاليا الجنسية ، شهيدان مصريا الجنسية ، شهيدة من أمريكا و شهيدان من بريطانيا، وبذلك يصبح عدد الشهداء حتى ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٤م (٣٨٠٠) .

رسم يوضح النسبة المئوية لعدد الشهداء في الفترة ٢٨/٩/٢٠٠٠ حتى ٣٠/١١/٢٠٠٤



إحصاءات حول شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/١٠/٢٠٠٤

التقرير العام

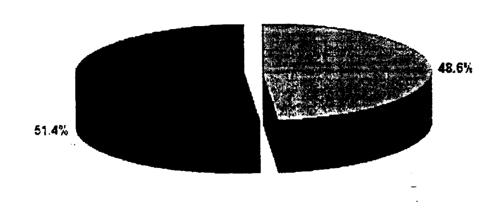
جدول يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/١٠/ ٢٠٠٤

المحافظة	عدد الشهداء	%
الضفة الغربية	١٨٤٨	٤٨.٦
قطاع غزة	١٩٥٦	٥١.٤
المجموع	٣٨٠٤	١٠٠

ملاحظة: تم إضافة عدد ٦٢ شهيدا من الشهداء المرضى الذين سقطوا على الحواجز العسكرية الإسرائيلية ، كما أضيف ٢٣ شهيدا ، منهم ١٤ شهيدا داخل الخط الأخضر ، شهيدان من جنوب لبنان ، شهيدان ايطاليا الجنسية ، شهيدان مصريا الجنسية ، شهيدة من أمريكا و شهيدان من بريطانيا، وبذلك يصبح.عدد الشهداء حتى ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٤م (٣٨٠٤) .

رسم يوضح النسبة المئوية لعدد الشهداء في الفترة ٢٨/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/١٠/٢٠٠٤



قطاع غزة ■ الضفة الغربية ▨

إحصاءات حول شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣٠/٩/٢٠٠٤

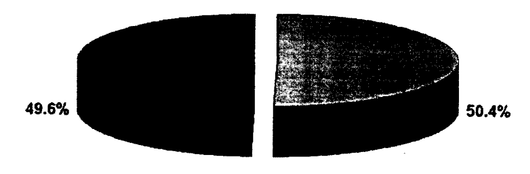
التقرير العام

جدول يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣٠/٩/٢٠٠٤

المحافظة	عدد الشهداء	%
الضفة الغربية	١٨٣٩	٥٠,٤
قطاع غزة	١٨١٢	٤٩,٦
المجموع	٣٦٥١	١٠٠

ملاحظة: تم إضافة عدد ٦٢ شهيدا من الشهداء المرضى الذين سقطوا على الحواجز العسكرية الإسرائيلية ، كما أضيف ٢٣ شهيدا ، منهم ١٤ شهيدا داخل الخط الأخضر ، شهيدان من جنوب لبنان ، شهيدان ايطاليا الجنسية ، شهيدان مصريا الجنسية ، شهيدة من أمريكا و شهيدان من بريطانيا، وبذلك يصبح عدد الشهداء حتى ٣٠/ ٩/ ٢٠٠٤م (٣٦٥١) .

رسم بياني يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى حسب المنطقة
في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣٠/٩/٢٠٠٤ في محافظات الوطن



حقائق وأرقام

إحصائية حول شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ إلى ٣١/٨/٢٠٠٤

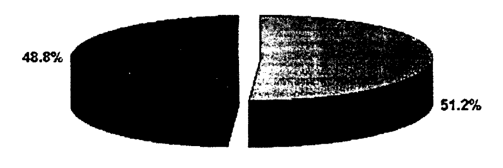
التقرير العام

جدول يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/٨/٢٠٠٤

المحافظة	عدد الشهداء	%
الضفة الغربية	١٨٠٨	٥١,٢
قطاع غزة	١٧٢٢	٤٨,٨
المجموع	٣٥٣٠	١٠٠

ملاحظة : تم إضافة عدد ٦٢ شهيدا من الشهداء المرضى الذين سقطوا على الحواجز العسكرية الإسرائيلية ، كما أضيف ٢٣ شهيدا ، منهم ١٤ شهيدا داخل الخط الأخضر ، شهيدان من جنوب لبنان ، شهيدان ايطالي الجنسية ، شهيدان مصري الجنسية ، وشهيدة من أمريكا و شهيدان من بريطانيا، وبذلك يصبح عدد الشهداء حتى ٣٠/٦/٢٠٠٤م (٣٣٩٤) .

رسم بياني يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى حسب المنطقة
في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣١/٨/٢٠٠٤ في محافظات الوطن



حقائق وأرقام

إحصائية حول شهداء انتفاضة الأقصى في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ إلى ٣٠/١١/٢٠٠٣ التقرير العام

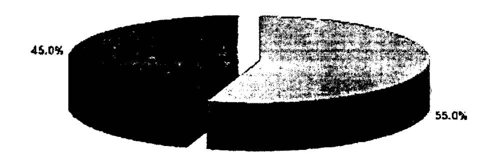
جدول يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى

في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ إلى ٣٠/١١/٢٠٠٣

المحافظة	عدد الشهداء	%
الضفة الغربية	١٥٤٧	٥٥
قطاع غزة	١٢٦٦	٤٥
المجموع	٢٨١٣	١٠٠

ملاحظة: يضاف إلى مجموع الشهداء في الجدول السابق عدد شهداء مناطق ٤٨ وهم ١٤ شهيد، وشهيدين من جنوب لبنان، وشهيدين من جمهورية مصر العربية وشهيدين ايطالي الجنسية وشهيدة أمريكية الجنسية وشهيد بريطاني الجنسية وبهذا يصبح مجموع عدد الشهداء ٢٨٣٣ شهيد.

رسم بياني يوضح عدد شهداء انتفاضة الأقصى حسب المنطقة
في الفترة من ٢٩/٩/٢٠٠٠ حتى ٣٠/١١/٢٠٠٣ في محافظات الوطن



قطاع غزة ■ الضفة الغربية □

إحصائيات انتفاضة الأقصى[1]

٢٩/٠٩/٢٠٠٠/٢١/٠٣/٢٠٠٧

الشهداء المدنيين الفلسطينيين الذين سقطوا على أيدي قوات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة (٣٢٣٥) ، هذا الرقم لا يشمل القتلى من الفلسطينيين في اشتباكات مسلحة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

الشهداء الفلسطينيين الذين سقطوا على أيدي قوات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة في اشتباكات مسلحة (٨٤٩) .

المنطقة	النسبة المئوية من مجموع الشهداء	المدنيين عدد الشهداء من
الضفة الغربية	٤٩%	١٥٨٨
قطاع غزة	٥١%	١٦٤٧

الشهداء المدنيين على أيدي قوات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة حسب مجموعات خاصة

المجموعة	عدد الشهداء	النسبة المئوية من مجموع الشهداء المدنيين
أطفال	٧٦٤	٢٣%
الشهداء من النساء	١٤١	٤%
أطقم طبية	٢٥	
صحافيين	١٠	
أجانب	٦	---

الأطفال الفلسطينيين الذي قتلوا خلال الانتفاضة

الرقم	الاسم	العدد	النسبة من مجموع الشهداء
٤.	أطفال قتلوا في الضفة الغربية	٣٠١	١٩%.من شهداء الضفة
٥.	أطفال قتلوا في قطاع غزة	٤٦٣	٢٨% من شهداء غزة
٦.	أطفال قتلوا في عمليات اغتيال	٧١	١٢% من مجموع شهداء الاغتيال
٧.	نسبة الأطفال من المجموع العام للشهداء	٢٣%	

(١) أنظر : المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان.

الاغتيالات :

الفئة	المجموع
مستهدفين	٤٠٢
غير مستهدفين	٢١٢
العام لشهداء المجوع الاغتيال	٦١٤

مجموع المصابين في قطاع غزة من بداية الانتفاضة على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي ١١٠٣٠ مصاب

مجموع المصابين في الضفة الغربية من بداية الانتفاضة على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي ١٣١٠٠ مصاب

هدم منازل في قطاع غزة

المحا فضة	هدم بشكل كلي	.هدم بشكل جزئي
الشمال	٣٤٤	٨٧٠
غزة	١٩٧	٣٣١
الوسطى	١٦٢	١٦٩
خان يونس	٦٥٧	٣٥٤
رفح	١٥٥٤	١١١٤
المجموع	٢٩١٤	٢٨٣٨

الهدم على خلفية البناء بدون ترخيص في الضفة الغربية بما فيها القدس

التاريخ	القدس	الضفة الغربية	المجموع
٩/٢٨ - ٢٠٠٠/١٢/٣١	١	٢	٣
عام ٢٠٠١	٤٩	٥٤	٤٠٣
عام ٢٠٠٢	٤٢	٣٥٠	٣٩٢
عام ٢٠٠٣	٥٤	٨٣	١٣٧
المجموع	١٤٦	٤٨٩	٦٣٥

تجريف الأراضي الزراعية

بلغ مجموع الأراضي المجرفة في قطاع غزة من قبل قوات الاحتلال ٣٦٢٠٠ دونم

المحتويات